كمال ناصر

مدونة ابو عبدو

الآثار النثرية

أعدها وقدم لها
ناجي علوش



لجنة تخليد تراث كمال ناصر

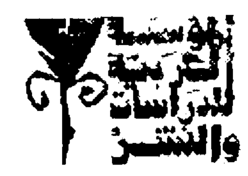
الآثار النثرية

صمم الغلاف : الفنان حلمي التوني

كمال ناصر



اعداد وتقديم
ناجي علوش



حقوق النشر محفوظة

الطبعة الاولى
آذار ١٩٧٤

«ان الاعلام الموحد والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين يعتبران ان من أهم مهماتهما المشاركة في تخليد تراث الشهيد كمال ناصر. لا باعتباره اديبا وصحفيا ومناضلا وشهيدا فحسب . بل باعتباره واضع دعائم الاعلام الموحد . وراعي تجربته الاولى من جهة . ومن المساهمين الاساسيين في انشاء الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين من جهة أخرى .

وكان بود الاعلام الموحد والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ان يصدرا هذا المجلد ؛ بمناسبة الذكرى الاولى لاستشهاد كمال . ولكن اضطلاع لجنة تخليد تراث كمال ناصر بهذه المهمة ؛ وحرصها على اصدار مؤلفات الشهيد كاملة . جعلنا نضع كل امكانياتنا تحت تصرفها ، ونكتفي بهذه الاشارة ؛ آملين ان تصدر كل مؤلفات كمال في القريب العاجل . لتكون معنا في مسيرتنا الطويلة الشاقة» .

الاعلام الموحد
بمنظمة التحرير الفلسطينية

الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

استشهادنا هو خيارنا الوحيد

ليس من السهل ان يكتب المرء عن كمال ناصر . فالرجل ليس شهيدا وحسب ؛ انه شاعر واديب وسياسي ومناضل ، وهو فوق ذلك يتدفـــق شفافية ويفيض احاسيس . ولقد عاش السنين الخمس والعشرين الاخيرة في غمرة النضال . لم نكن على الهامش ، ولا كان منفرجا ؛ بل كان في قلب اللجة دائما ، ما عدا بعض المحطات القليلة التي حط فيها متألما ممزقا .

ولنبدأ القصة من اولها :

عندما صدر قرار التقسيم وهب الشعب الفلسطيني للدفاع عـــن ارضه ؛ عاش كمال ناصر وسط اهله وجماهير شعبه . وكان شعلة متوقدة؛ يحرّض ويعبىء ؛ يلقي القصائد ، ويكتب المقالات ؛ ويشارك في كل اشكال النشاط كما كان من قبل ؛ حتى في «الفزعات» التي كانت تنظمها القرى لصد هجوم مفاجىء ، او تحسبا من هجوم متوقع .

ولقد اقيم احتفال في بلدة الشهيد بيرزيت . بمناسبة استشهاد قائد قوات الجهاد المقدس آنذاك عبد القادر الحسيني في نيسان سنة ١٩٤٨ ، فألقى قصيدته التي مطلعها :

ايها الموت نحن علمنا وكابر   لم يطش سهمك اللئيم الغادر

وكانت القصيدة النارية تقابل بزغاريد النساء وطلقات الرصاص .

وحين قامت دولة الاحتلال الصهيوني وفرضت الهدنة . هب كمال ناصر مناضلا ضد المؤامرة ، بكل الامكانيات التي يملكها . أصدر صحفـــا ومجلات . ومنها مجلته «الجيل الجديد» ، شارك في النشاطات السياسية، ـ وحرّض ، وتعرض للمطاردة والسجن والاعتقال ... وفي هذه الفترة بالذات وقف موقفه المشهود امام الملك عبد الله في رام الله... جاء الملك الى رام الله ، واقيم له احتفال في سينما دنيا على ما أذكر ، ووقف كمال ناصر خطيبا . ماذا قال ؟ لقد قال فيما قال ، موجها الكلام الى الجمهور: « لمـن تزينون ؟ لمن تقيمون الاقواس ؟ للذين باعوا البلاد . للذين خانوا القضية ؟ ثم التفت الى الملك وقال : اذهب وحرر فلسطين بجيشك ـ اذا كان لـك جيش ـ وعد ، وعندئذ سنقيم لك الزينات والاقواس» . فما كان من الملك الا ان هب محاولا صفعه .

وحين اطبق النظام الاردني بكل طاقته على شعبنا في الضفة الغربيـة والشرقية غادر كمال ناصر الى الكويت مهزوما ومجروحا ينتظر الجماهير التي يثق بها ان تهب ويغني للمسيرة غناء المحب المفارق المجروح .

لم تطل غيبته في الكويت ، ذلك ان الجماهير التي انتظرها لم تخيب امله ، فعاد ليشارك في الموجة التي تعالت في اواسط الخمسينات ، والتي بلغت احدى ذراها باسقاط محاولات ضم الاردن الى حلف بغداد ، أواخر ة ١٩٥٥ .

عاد يشارك في النشاطات ، كما كان ، وكان شعره من اسلحته الحادة. وانضم في أوائل صيف ١٩٥٦ الى حزب البعث العربي الاشتراكي ، ودخل الانتخابات ممثلا عنه في منطقة رام الله ، فنجح ، واصبح نائبا في البرلمان. وهكذا شارك في قيام الحكم الوطني في الاردن مع زملائه من الوطنيين . ولكن الحكم الوطني تعرض للهجوم المضاد في ربيع سنة ١٩٥٧ ، واستطاعت القوى المضادة ان تسيطر . بعد صدامات دامت اكثر من اسبوعين ، اظهرت فيها الجماهير كل الاستعداد للتضحية وللدفاع عن مكاسبها .

خرج كمال ناصر من الاردن وعاش في سوريا . وهناك عاش تمزقا لم يعشه من قبل ، خاصة حين حدث الانشقاق في حزب البعث العربـــي الاشتراكي صيف سنة ١٩٥٩ . ثم عاش ازمة اخرى عندما بدات الصراعات

بين الرئيس عبد الناصر وحزب البعث العربي الاشتراكي . وكمال قومي عربي ، مع حزب البعث ؛ لانه عضو فيه ، ولانه يؤمن بالنضال الجماهيري المنظم ؛ ولكنه مع الوحدة ايضا . ويرى في عبد الناصر الفارس القادر على ان يحقق ما لا يستطيع غيره ان يحققه في تلك المرحلة . وهو — الى جانب ذلك — مع الوفاق وضد الشقاق . كما هو دائما . وعلى الرغم من ذلك لم يسلم في هذه المعركه من ان يهاجم شخصيا . ويساء اليه .

وحين استولى حزب البعث على السلطة سنة ١٩٦٣ في العراق (شباط) وفي سوريا (اذار) اخذ كمال يحس بالانمماش . ولكن هذا الحلم الكبير لم يدم طويلا .

وما لبث كمال ان وجد نفسه في المنفى من جديد سنة ١٩٦٦ . لقد اصبح خارج الحزب هذه المرة . لم يكن يريد ذلك ، ولا كان يحب ان يعيش حياة المنفى . ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن .

وكتب كمال في هذه المرحلة قصائد حزينة لم يكتبها من قبل : مثل «المظلة الضائعة» و«رسالة الى امي» وغيرهما . وشاءت الظروف ان يكون في القسم الباقي من فلسطين عند وقوع حرب ١٩٦٧ .

وهناك عاد كمال الى نفسه والى الجماهير التي يحبها ويثق بها مرة اخرى ، من خلال النشاطات السياسية التي شارك فيها . انه يأبى ان يبقى منفيا ومنفرجا ، ولا يستطيع ان يفعل ذلك . انه يعيش القضية بكل جوارحه ؛ ولا يستطيع ان يبقى بعيدا عنها . وفي الثورة الفلسطينية اعطى كل ما لديه ؛ حتى دمه . ولقد ظل في الارض المحتلة يناضل حتى ابعدته سلطات الاحتلال الصهيوني ، ليجد نفسه في حضن الثورة الفلسطينية .

ومنذ انضم عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في شباط سنة ١٩٦٩ ، وهو يناضل ويصارع على اكثر من جبهة . لقد سلم مسؤولية الاعلام في اللجنة التنفيذية ؛ فأخذ يعمل هنا على جبهتين : اولاهما : تتعلق باعطاء صورة صحيحة عن الثورة تجسد مطامح الشعب الفلسطيني . وكمال

المناضل المثقف الشفاف من أقدر واجدر من يمثل هذه الصورة ، ومن يقدمها . وثانيهما : تتعلق بوحدة موقف الثورة اعلاميا ، وهذا ما حرص كمال عليه ، وبذل جهودا جبارة من اجله ؛ وحين صدر قرار بانشاء الاعلام الموحد شعر بنوع من الراحة العميقة ، واستعد للمزيد من العمل والنشاط .

وناضل جهده في الاعلام الموحد من اجل ما يلي :

اولا : خلق اجهزة اعلامية قادرة ، تضم كفاءات من كل المنظمات ، وتعمل على اساس «الثورة الفلسطينية» لا على اساس الانتماءات التنظيمية. وكان يسعى دائما لكي تضم هذه الاجهزة الكفاءات الاعلامية الفلسطينية المستقلة .

ثانيا : ضبط قضية توحيد الاعلام والحيلولة دون بروز اي شكل من اشكال التسيّب والتشرذم ؛ او العصبية التنظيمية . وكثيرا ما انتقد ، او غضب كثيرا ، بسبب تصريح يعطيه هذا او ذاك ، او نشرة توزعها هذه الجهة او تلك .

ثالثا : انشاء وسائل الاعلام القادرة على تمثيل الثورة الفلسطينية وتجسيد مطامحها والتعبير عن مواقفها .

وكان في ذلك كله يستلهم ايمانه بالثورة ، واخلاصه لها ويعمل من اجل تصعيدها وتخليصها من الشوائب والرواسب والاخطاء والانحرافات .

وكان دوره السياسي كبيرا ايضا . ذلك انه كان «الضمير» فعلا . انه يتحسس ويتلمس بشفافية ونفاد ، ويحاول ان يكون موحدا لا مفرقا . وهو يفعل ذلك في مساعيه لتتوحد المنظمات ، كما يفعله في جهوده لحشد طاقات الشعب الفلسطيني . وهو فوق هذا وذاك يريد الثورة الفلسطينية ان تكون لكل الامة العربية ، دون ان تكون لاحد من دولها او احزابها . لان الثورة طليعة عربية ، ولان «برج بابل العربي» ــ كما يسميه ــ منزلق لا يجوز الضياع فيه .

كان كمال دائما مع الوحده ضد الانقسام ، ومع الحوار الهادىء ضد المهاترة والمكابرة ، ومع الثورة ضد التخاذل والاستسلام . ولم يكن في ذلك يزاود او يهاود . انه كان يعبر عن نفسه الثائرة المحبة الجياشة .

وهذه الصفحات التي اسميناها «صفحات من فلسطين الثورة» تضم مجموع افتتاحياته في مجلة «فلسطين الثورة» . المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية . كما تضم ذكريات نشرها في «فلسطين الثورة» عن تجربته في ظل الاحتلال الصهيوني . وهذه الصفحات هي المجلد الاول من كتاباته السياسية التي ستصدر القسم الباقي منها ، فيما بعد . اما كتاباته الادبية ورسائله وذكرياته ومذكراته فستصدر ايضا ، بعد ذلك .

وهذه الصفحات تجسد مواقف كمال ناصر . خلال الفترة الممتدة بين صدور «فلسطين الثورة» واستشهاده ليلة العاشر من نيسان سنة ١٩٧٣ . وهي فترة هامة في تاريخ نضال شعبنا . وكان كمال ناصر في كل ما كتب يؤكد على الحقائق التالية :

اولا : صحة المنطلقات التي قامت عليها الثورة ، والتي تؤكدها الوقائع كلها ، كما تؤكدها «عبرة فياتنام» (ص ١٠٣) وهو هنا معني بالدفاع عن منطلقات الثورة ، لانه معني بالدفاع عن وجودها واستمرارها امام الهجمات وحملات الدس والتشكيك .

ثانيا : ان شروط استمرار الثورة متوافره لها : انها متوافرة لها في : «فكرها السياسي النظري المعبر عنه بمنطلقاتها الاساسية ، والتي يضمها اليوم ميثاقها الوطني وبرنامجها السياسي ، وحصيلة الافكار والنقاشات والحوارات التي دارت في مؤسسات الثورة العلمية والتخطيطية والاعلامية ، والتي تشكل في رأينا قمة من قمم الفكر الثوري المعاصر ، ولدت وتكرست من خلال النضال والمعاناة والعطاء ، هذه الافكار التي تشكل بمجموعها دليل عمل حركة المقاومة النظري والعملي - وترسي الاسس السليمة «لمعنى الانطلاقة» واهدافها ، وتضع استراتيجيتها الشاملة في الكفاح المسلح وحرب الشعب من اجل التحرير الشامل والتي اعطت للثورة مضمونها التقدمي الحقيقي» (ص ١٢٩) .

ثالثا : ان القيادة للبنادق الملتزمه بالثورة وحدها . هذه البنادق هي وحدها التي من حقها ان تقود . وهي «...عزاؤنا الوحيد ، امام كل مظاهر العجز والخطأ والاستسلام ...» «... هذه البنادق التي من حقها وحدها ان تقود وان تنظر وان تخطط وان تناضل للنصر ، دون ان تلتفت للمعادلات والتسويات والتراجعات ... قافلة بعد قافلة وجيلا بعد جيل ؛ ومن غير ان تأذن لاحد او تسمح لطامح او ضعيف من ابناء شعبنا ان يكون جزءا من التسويات المذلة المطروحة علينا في الساحة» (ص ١٢٢) . والقيادة للبندقية الملتزمة بالثورة لانها وحدها ضمانة استمرار القتال حتى النصر والتحرير والعودة .

رابعا : ان قضية فلسطين هي محور كل القضايا العربية . هي كذلك من المنظور القومي العربي ، وهكذا كان يراها كمال . وعلى هذا كان يؤكد ويشدد في كل ما يكتب . لقد كان يرى البعد العربي للقضية الفلسطينية جيدا ؛ وكان يرى ان «مصير هذه الامة» العربية «يدور من حولها» (ص ١١٥) . ولذلك فهو يربط بين تحرير فلسطين «... وتحقيق التحرر الكامل للارادة العربية وحتمية قيام حركة التغير العربية الحضارية الشاملة» (ص ١١٣) .

خامسا : ان عبرة فيتنام انتصار تاريخي كبير ، يعلمنا الكثير . انه يؤكد صحة منطلقات ثورتنا ، ولكن هذه العبرة يجب «ان تعلمنا ايضا المزيد من الدقة والمزيد من التنظيم ، والمزيد من الفداء والعطاء والمزيد من المحبة والتواضع ونحن نحمل الراية ونسير نحو النصر (ص ١٥٣) .

وتؤكد هذه الكتابات على حقائق اخرى كثيرة ، نتركها للقراء والدارسين ، لانها اكبر من ان تحيط بها مقدمة قصيرة .

ويستطيع الذي يقرأ ذكريات كمال عن تجربته تحت نير الاحتلال الصهيوني ان يرى كمال ناصر ذاته ، ان يراه بشخصيته الحقيقية . انه هنا كمال الذي نعرفه ونحبه ... كمال الذي يستقبل القضايا بكل شفافية الشاعر وكل عفوية المحب ، وكل حماسة الملتزم .

وبعد هذا ماذا نقول عن كمال ايضا ؟

لن نضيف شيئا عنه الا انه كان يعرف ان «... نضالنا واستشهادنا من اجل امتنا هو خيارنا الوحيد ، بالكفاح المسلح وحرب الشعب» (ص ١٣٤) . وكان يدرك ابعاد ذلك كله ، ولكنه يعرف حق المعرفة ان هذه هي طريقنا نحو النصر . وكان واثقا من اننا قادرون على صنع النصر .

وحين اخبره احد المطلعين قبل استشهاده بفترة وجيزة ان عليه ان يختار بين السلامة والشهادة جاء الى بعض اصدقائه قائلا: «انا مخيَّر بين التساقط او السقوط شهيدا . ولقد اخترت ...»

وكان يحس ان الساعة تقترب ، فالمؤامرة تزداد شراسة ، وخيارنا ان نناضل ونتحدى يعني ان نستشهد ، ولكن الشهادة ليست طريق الفناء والنهاية بل طريق البقاء والاستمرار . ولذلك انهى آخر افتتاحية كتبها لـ «فلسطين الثورة» بهذه الكلمات : «اما القيادات فتتغير ، واما الاشخاص فيزولون . ونبقى القضية اكبر من القيادات والاشخاص ، ولا بد من ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة قبل ان تسقط الثورة كما فعلت في الماضي القريب الاجزاء التي لا تستحق الحياة» (ص ١٩٧) .

كان واثقا ان الثوره ستستمر لان شروط الاستمرار متوافرة لها . ومع انه كان متواضعا في حياته ، لا يدعي انه فارس الفرسان ، فلقد اخرج مسدسه عندما داهموه ، واطلق بضعة رصاصات ، وعندما جاء اصدقاؤه، بعد الهجوم الغادر ، كانت دماء الاعداء منثورة من باب بيته الى الشارع .. لقد توّج حياته النضالية الكبيرة بوقفة بطولية عظيمة .

ناجي علوش

القِسمُ الأول

افتتاحيات فلسطين الثورة

في موضوع الوحدة الوطنية
الجماهير ترفض التزوير والتبرير

الخطوات التي أنجزت على طريق الوحدة الوطنية

اقر المجلس الوطني الفلسطيني في جلسته المنعقدة بالقاهرة في النصف الاول من نيسان وبتوصية من المؤتمر الشعبي الفلسطيني العسيفة التي انبثقت عن لجنة الوحدة الوطنية وهي تحقيق الوحدة من خلال «جبهة في القيادة واندماج في المؤسسات» ولقد قطعت القيادة السياسية اشواطا في تنفيذ القرار كما أسهمت لجنة المتابعة عن المجلس الوطني فى دفع وتسهيل مهمة القيادة السياسية . وفيما يلي الخطوات التي انجزت حتى الان .

اولا : على صعيد الوحدة السياسية . اقرت اللجنة التنفيذية البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية بالاجماع ؛ وذلك بعد ان توحدت رؤيا فصائل الثورة تجاه المواضيع الرئيسية لمسيرة الكفاح الشعبي المسلح ومن بينها العلاقة مع الجماهير العربية ، وتعيين اعداء الثورة والموقف من النظام الاردني .

ثانيا : على صعيد الوحدة العسكرية : تشكل المجلس العسكري الاعلى لحركة المقاومة، وعقد سلسلة اجتماعات تنظيمية عامة ، تأخذ اليوم دورها في التنفيذ .

ثالثا : على صعيد الوحدة المالية : أعد الصندوق القومي الفلسطيني دراسة راقية ومشروع برنامج لتحقيق الوحدة المالية (وحدة الجباية والصرف) سيتم اقراره وتطبيقه بعد تنفيذ تحقيق الوحدة العسكرية والاعلامية من خلال الممارسة .

رابعا : تقدم مجلس التخطيط ببرنامج تنظيمي كان موضوعا للاجتهادات ووجهات نظر متعددة وتقرر تكليف لجنة باعادة صياغته وتعديله ، وتقرر ان تنفذ اللجنة التنفيذية الخطوات

الوحدوية بالممارسة الديموقراطية للتوصل الى دمج مؤسسات المقاومة ولتكون هذه الممارسة دليل عمل يسهم في تحقيق الهدف .

خامسا : على صعيد الوحدة الاعلامية . فقد صدر عن اللجنة التمهيدية قرار متكامل حول الوحدة الاعلامية ، من ضمنه تشكيل مجلس اعلام مركزي . واصدار مجلة مركزية واحده ، وانشاء وكالة انباء فلسطينية وقد حددت اللجنة التنفيذية الخامس من حزيران موعدا لتنفيذ هذا القرار . واجتمع مجلس الاعلام المركزي ، وقدم توجيهاته لدائرة الاعلام المركزي التي ارتبطت بقرار اللجنة التنفيذية عن طريق وحدة ادوات الاعلام ، وسارت الدائرة بعد ذلك من خلال توجيه مجلس الاعلام لتعديل بعض الخطوات ووضع الاسس المتينة للوحدة الاعلامية . ولاول مرة التقت عناصر الثورة من جميع الفصائل ومعهم بعض ابناء فلسطين من الاعلاميين في بيت «فلسطين الثورة» يتنافسون ويتعاونون ويرتفعون على كل الاعتبارات الضيقة ليكون صوت الثورة واحدا . وبالرغم من قصر المدة التي تركتها القيادة من اجل تامين صدور «فلسطين الثورة» «ووكالة وفا» وتوحيد اجهزة الاذاعة : فان العمل يجري على قدم وساق لانجاز كل ذلك ، فقد صدرت «وفا» وستاخذ حجمها ومكانها في السوق الاعلامية، كما ان «مجلة الثورة» صدرت ونأمل ان ترفع من سويتها في المستقبل .

لقد توقفت معظم وسائل اعلام المنظمات عن الصدور قبل البدء بهذا الانجاز ويتوقف ما تبقى منها عند صدور هذا العدد لتنضم كافة الكفاءات الثورية الملتزمة الى جهاز اعلام الثورة الموحد .

وختاما ، ان الثورة المضادة حاولت وما زالت تحاول ان تشق المقاومة ولقد تحدث الكثيرون عن الوحدة الوطنية لحركة المقاومة ، ولكن هذا الحديث في كثير من الحالات «كلام حق يراد به باطل» وان الثورة الفلسطينية كانت وما زالت مدعوة لان تفوت الفرصة بالوحدة الحقيقية على هذه القوى .

★★★

ان هذا العدد من «فلسطين الثورة» هو تجسيد أولي للمساعي الدؤوبة، والنضال الطويل نحو تحقيق الوحدة العضوية بين فصائل المقاومة . ولعل صدور هذه المجلة في هذا الظرف الذي تستحوذ فيه على جماهيرنا العربية هموم القضايا المصيرية وقلق المأزق الذي تعيش فيه الثورة مؤشر الى التصميم على الخروج من المأزق وتأكيد الالتزام ، وضبط الخطوات وتوضيح الرؤيا . فمجلة الثورة الفلسطينية هي التعبير عن فكر الثورة ، ووحدة مواقفها ومرتكزاتها التوجيهية في مرحلة التحرير الوطني والتي من شأنها ان تنفي حالة الضياع والبعثرة والتشرذم التي مرت بها المسيرة .

ولهذا فاننا اليوم ومن خلال هذا الوضع المتردي الذي تعيشه امتنا نطل على جماهيرنا وقرائنا بهدف القاء الاضواء على طريق المقاومة الجادة والمجدية من مواقع ايماننا والتزامنا بوحدة العمل الفلسطيني ووحدة ادواته الثوريه آملين ومن خلال معاناتنا الفكرية وممارستنا العمليه ؛ ان نتمكن من ايصال الارادة الثورية بصدق وصراحة وشجاعة .

اننا اليوم ونحن في طريق استكمال وحدتنا الوطنية ودفعها خطوة الى الامام نؤكد ان وحدة كافة قوى الشعب لمواجهة القوى المضادة المعادية هو ضرورة استراتيجية في مرحلة التحرر الوطني ، وهذه الضرورة نابعة من حاجة كل شعب اغتصبت ارضه . حاجته الماسة الى التكاتف والتضامن والاتحاد في مواجهة المغتصب والمحتل والتصدي لهما ، كما ان هذه الضرورة نابعة من حاجة الثورة الى رص صفوفها بهدف زيادة فعاليتها ؛ اي من المستلزم ان تكون اداة الشعب في الانتقال من مرحلة الاحتلال الى مرحلة الاستقلال . اداة صلبة وحادة وفاعلة ، كما انه يجب التأكيد ان الوحدة ، اية وحدة ؛ تحمل قيمة نوعية في ذاتها ، بغض النظر عن كل الظروف والاعتبارات من حولها .

وبعد هذا كله وقبله ايضا ، فان تحقيق وحدة فصائل الثورة كان ولا يزال مطلبا اكيدا للجماهير الفلسطينية والعربية لا تقبل فيه التبرير والتزوير ، وسيبقى مطلبا معلنا للارادة الشعبية العربية في هذه المرحلة الحساسة والحاسمة من التاريخ العربي كله حتى يتم ويتحقق على الوجه الامثل والاشمل، ولا بد هنا من القول انه ان لم يكن من الممكن ان تغرب الشمس على فصائل الثورة وهي مبعثرة مستقلة عن بعضها البعض، لتشرق عليها وهي في وحدة واحدة ، ذلك أن ما تحقق من وحدة حركة المقاومة الان كان عبر نضال شاق صعب في السعي من اجل تجاوز اسباب التشتت الفلسطيني تحت الاحتلال وفي المنفى ، وكذلك تجاوز محاولات الاحتواء والاخضاع والتصفية التي تعرضت لها الثورة من السلطات الرسمية في بعض الساحات العربية .

وللموضوعية والاخلاص تجاه قضية وحدة حركة المقاومة فان الطريق ما زال غير قصير من اجل اتمام وحدة حركة المقاومة الفلسطينية ، وانه ينبغي عدم السقوط في وهم اعتبار وحدة فصائل المقاومة في حد ذاتها هي الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وحتى توحيد وضم المستقلين الملتزمين داخل حركة المقاومة ليس تعبيرا عن الوحدة الفلسطينية . وانما وحدتها ان ترتقي الى مرحلة اعلى لتنظيم الجماهير الفلسطينية منها لتزداد

عملية التفاعل للثورة الفلسطينية . ولا ينبغي القول انه من اصعب مهـــام حركة المقاومة ان تحقق ذلك في قفزة واحدة ؛ الا ان الفارق بين النضال والايفاء بهذه المهمة ، وبين عدم السعي من اجله وتحقيقه هو الفارق بين ان تكون ثورة فلسطينية او لا تكون .

ظل ان نقول اننا في انطلاقتنا هذه ونحن نعرف ماذا نريد بالضبط . لا نخضع للمزايدات ولا للمناقصات ، فلا ميوعة تحت غطاء المرونة ، ولا تشنج باسم التصلب ، يحكمنا البرنامج السياسي والقوانين العلمية الثوريـــة والعلاقات الجدلية التي هي وحدها تحدد الخطوات .

هذه المجلة تفتح صدرها لكل الاقلام والكفاءات الثورية الملتزمة وتطمع ان تصل الى عقل ووجدان كل جماهيرنا في الوطن العربي .

فلسطين الثورة : العدد ١

٢٨ حزيران ١٩٧٢

أزمة القمة وقمة الأزمات

ما الذي حرّك عيدي امين ؟

الرئيس الاوغندي عيدي امين يتحرك هذه الايام كثيرا ، ويصرح كثيرا . وعيدي امين الرجل الذي اخرج النفوذ الاستعماري الاسرائيلي من بلاده ومد يده للدول العربية الافريقية في هذه المرحلة الخطرة من تاريخها ما زال الى اليوم مثار اعتزاز وفخر للعرب .

ما الذي حرك عيدي امين اليوم ؟ ومن دفعه لان يلعب دور الوسيط بين بعض الدول العربية الوطنية والملك حسين ؟ ما الذي جعله يأخذ زمام المبادرة فيزور عمان ومن ثم يعود ليصرح ان مهمته نجحت وان الملك حسين على استعداد لان ينضم لاخوته العرب ويقف الى جانبهم في السراء والضراء ؟

قد تكون المبادرة ذاتية ، وقد يكون عيدي امين صاحب احسن واصدق النوايا وانــه يسعى لتوحيد كلمة العرب حول موضوع «اسرائيل» التي اصبح يعاديها جهارا في كــل مناسبة . ونحن نميل الى ترجيح النوايا على الشكوك لاسيما وان لبعض العرب بعض الايادي البيضاء في مواقفه الاخيرة ، كما اننا لسنا من دعاة التفرقة بل من دعاة الوحدة القومية نتمناها على الانظمة كما تتمنى جماهيرنا علينا الوحدة الوطنية .

ولكن الذي نخشاه ان تكون طريق الجنة معبدة باصحاب النوايا الحسنة ، والذي لا نشك فيه ان الاخ عيدي امين لا يعرف المنطقة على حقيقتها ، ولا يفهم طبيعة الصراعــات والملابسات والانحرافات والمؤامرات وحقول الالغام في ارضها وأجوائها ، ومن هنا كان من حقنا ان نتساءل : لمصلحة من يعمل عيدي امين ؟ ومن أدخله اللعبة ؟ وما الذي يعرفه من الاردن نظام ارتبط عضويا بالاستعمار وسيظل مرتبطا حتى يتحرر بالفعل من صانعي تاريخه الحديث وتزول بقع الدم التي خضبت أرجاءه ومرابعه في ايلول وتشرين وتموز وعلى امتداد

عمره السياسي الطويل ؟

ما الذي يعرفه عبدي امين عن مدى استعداد الاردن للاسهام في الجبهة الشرقية ورائحة مشروع الملك حسين بالتصفية المفضوحة للقضية الفلسطينية ما زالت تزكم الانوف بالاستسلام والانحراف ؟..

نعم المصالحات العشائرية على حساب المصير والوجود العربي ، فلا بد من اسس ولا بد من مواصفات ولا بد من شروط لقيام اية علاقة موضوعية من اجل التحرير والقتال .

نحن نحيي عبدي امين لمحاولته البريئة وقد زار الاردن وعاد منه ، ولكننا وبعد كل الذي حدث وجرى هنا وهناك اسقطنا كل التمنيات من حساباتنا وحسبنا اليوم ان نقول لهم : ان فاقد الشيء لا يعطيه .

★★★

برزت دعوة رسمية ـ ابان ازمة لبنان الاخيرة ـ لعقد مؤتمر قمة عربي جديد . ومثل هذه الدعوة يبرز عادة في الازمات حيث تبحث العواصم العربية عن مخرج فتتجه نحو مؤتمرات القمة .

ونحن اذ نتصدى لهذا الموضوع الهام ، انما نفعل هذا من موقع المحبة والفهم والالتزام ، وعن ثقة كاملة بأننا جزء من حركة التحرر العربي ، وان مصير القضية الفلسطينية هو مصير الامة العربية ذاته ، فلا مزايدة في مرحلة المناقصة ولا تجريح في مرحلة الجراح .

ولذلك من حقنا ان نتساءل : بماذا افادت مؤتمرات القمة العربية منذ ان بدأت اعمالها في القاهرة عام ١٩٦٤ وحتى الان ؟؟

نذكر في البداية ان القائد الراحل جمال عبد الناصر كان قد دعا الى اول مؤتمر قمة عربي تحت شعار «لنرى من يريد ان يقاتل ومن لا يريد ان يقاتل» وحتى الان فان الدول العربية لم تحسم موقفها من هذا الشعار ولم يفرزها مؤتمر القمة على اساس هذا المعيار ، وكل ما فعلته مؤتمرات القمة هو دفع الرؤساء والملوك العرب الى التعايش فيما بينهم ، الامر الذي افلح فيه توالي النكبات اكثر مما افلحت فيه مؤتمرات القمة نفسها .

اما الشعب العربي الفلسطيني فقد خبر مؤتمرات القمة طويلا ، وكانت تجربته معها مرة ولا تزال منذ مؤتمر الاسكندرية عام ١٩٦٤ ومرورا بمؤتمر الرباط عام ١٩٦٩ ووصولا الى مؤتمر القاهرة عام ١٩٧٠ .

وفي ايلول الاسود اجتمع مؤتمر القمة العربي في القاهرة لايقاف القتال

في الاردن الذي نجم عن الهجمة الرجعية والامبريالية والصهيونية المخططة ضد حركة المقاومة ، وقد نجح هذا المؤتمر في ايقاف القتال بالفعل ، وأدان النظام الاردني ، الا ان لجنة المتابعة العربية التي انبثقت عن هذا المؤتمر نفذت بالساحة الاردنية في النهاية ما في مصلحة النظام الاردني بعضها ببراءة .. والبعض الاخر بغير براءة .!

والذي لا ريب فيه ان مؤتمرات القمة لا تعكس صورة واقعية لحقيقة الاوضاع العربية ذلك لان دولة عربية ما قد تأخذ دورا جانبيا في المؤتمر بينما تكتوي اصابعها بالنار على خط وقف اطلاق النار ؛ وفي المقابل فان دولة عربية اخرى لا تقف في جبهات القتال تأخذ لنفسها دور المواجهة داخل المؤتمر مما يجعل الوضع العربي يقف على راسه داخل القمة ؛ ولذلك فان مؤتمرات القمة عندما لا تتوصل الى تحقيق النتائج التي تتوخاها الجماهير العربية منها او حتى بعض هذه النتائج انما تحقق عكس ما يراد بها اي انها تصبح تعويضا باطلا عن الانجازات الايجابية باستنزاف جهود المسؤولين العرب وامتصاص نقمة الجماهير العربية على الاوضاع المتردية ، واجهاض الجهود البناءة العربية .

وفي الحقيقة فان العواصم العربية التي لا تملك تحديد مهامها تجاه المرحلة والمعركة فتتحمل واجبات هذه المهام خارج اطار القمة، لا يمكنها ابدا ان تحدد هذه المهام وتتحمل مسؤولياتها بجدية داخل اطار القمة المذكور .

ان الدول العربية ليست بحاجة الى مواجهة سياسية وكلامية فيما بينها، كضرورة مسبقة لتعرف واجبها تجاه المجابهة الشاملة ضد الصهيونية والامبريالية ؛ وانما هي مدعوة في الاصل الى اذابة جميع التناقضات الثانوية بينها وتسخير جهودها في مواجهة التناقض الرئيسي مع اعدائها .

وهنا يبرز سؤال : لماذا لا يجتمع المسؤولون الاسرائيليون في دورات قمة على اعلى من مستوى الحكومة؛ بل لماذا لا يدعون الى مؤتمر قمة يجمعهم مع كبار مسؤولي الحركة الصهيونية كلما تفاقم الوضع في المنطقة ؟؟ انه من المؤلم ان يكون الجواب على هذا السؤال أن هؤلاء يعرفون مهامهم بالضبط ويتحملونها عن قناعة وبجدية ، وذلك عملا بروح المرحلة وبضغط من التحدي التاريخي ..

ولم يعد خافيا انه لن يكون بوسع حركة القومية العربية مواجهة التحدي الصهيوني ـ الامبريالي وهزيمته الا اذا ارتفعت بمستوى جديتها الى مستوى اعلى من جدية الحركة الصهيونية العالمية من حيث تحديد مهام المرحلة ،

وتحمل مسؤولياتها .

من هنا ضرورة استبدال الدعوة الى مؤتمر القمة بالعمل والنضال على تحقيق قومية المعركة ، الامر الذي نفهمه ، بأن يدرك جميع العرب حجم التحدي التاريخي الذي يواجههم ، فيعمدون من جانبهم الى مواجهتــــه بتقديم كل منهم احسن ما لديه ، واكثر ما عنده في المعركة . ولقد اثبتت الممارسة حتى الان ان القمة العربية شيء وان قومية المعركة شيء آخر ، اي ان مؤتمرات القمة أعجز من ان تدفع الدول والجماهير العربية باتجاه قومية المعركة ، وانه لافضل ان تنتقل الدول العربية لتحقيق قومية المعركة عن الانشغال بارسال الوفود واطلاق الدعوات من اجل عقد القمة .

لقد بدأت مؤتمرات القمة العربية «في انشاص» قبل النكبة ، وبعثت من جديد في القاهرة قبل هزيمة حزيران تحت شعار «لنرى من يريد ان يقاتل ومن لا يريد ان يقاتل» . ولكن هذه المؤتمرات لم تمنع النكبـــة او النكسة وابتعدت في الطريق الطويل عن مهمتها وكادت تتعارض معها فـــي الوقت الحاضر . . . اما الجهود العربية المطلوبة من اجل المعركة فهي الكفيلة بتحقيق شعار «لنرى من يريد ان يقاتل ومن لا يريد ان يقاتل» وهي القادرة على تجاوز هذا الشعار ايضا على طريق الفرز والحشد والاعداد والمواجهة.

وفي هذه المرحلة القصيرة بالذات ، يبدو ان لبنان يعطي ما عنده للقضية العربية ، مما دفع بعض المراقبين العرب الى القول بأن : «لبنان هو مفاجأة العروبة لنفسها» بدعوى انه يجعل من نفسه احدى الرئات التي تتنفس منها القضية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الصهيوني، بعدما كان قد احتضن التراث العربي ابان الاحتلال التركي .

ورغم تحفظنا تجاه هذا التحليل فمن المؤلم ان يكون اقرب الى الصحة، وهو مؤلم لان العطاء بأحسن ما لدى الدول العربية واكثر ما لديها ايضا لا يمكن ان يقتصر على دولة عربية دون اخرى . فالعطاء من جانب واحد اذا لم يدعم بالعطاء من الجوانب الاخرى انما يتيح فرصة للدولة الصهيونية تنفذ منها للانفراد بالدولة العربية المعنية على حدة .

وبالتالي الضغط على نظامها من اجل منع عطائه ، الامر الذي يتحقق في النهاية مع انخداع الرأي العام ، بأن هذا النظام اعطى كل ما يستطيع ، وهذا ينسحب على كل دولة عربية تأخذ موقفا وطنيا او تحمل عليه في غياب اطار قومية المعركة .

لقد قيل في الماضي عن الحكام العرب انهم «اتفقوا على ان لا يتفقوا» .

وقبل اخيرا في قادة حركة المقاومة انهم «اتفقوا على ان لا يختلفــــوا» . ومطلوب الان من الحكام العرب ومن قادة حركة المقاومة ان «يتفقوا على ان تفقوا» . والطريق الى هذا لا تمر عبر مؤتمرات القمة العربية .

فلسطين الثورة : العدد ٢
٥ تموز ١٩٧٢

على طريق الشهادة

يا غسان ...

لو تجدي الكلمات ، لاستنهضناك من لحدك ، وللمنا شظاياك المبعثرة ، فنا وفكرا وأدبا عبر وادي الحازمية ، ولسيسنا منها كل العبارات النابضة الخالدة لنبكيك ونرثيك ونتفجع عليك !

يا غسان ...

لو يجدي الحرف في التعزية ، وتجدي العبارة الحزينة في فلسفة مصرعك واستشهادك ، لاغترفنا من معينك الثر ، وسرقنا من الحانك وأوزانك في التفجع ، والتحليل والتبرير والتفسير !..

ولكنك يا صريع النضال ، وصاحب الحرف المشرق . وانت هناك في مثواك تعرف اكثر مما يعرف غيرك ، بان الحرف لا يجدي، ولا الكلمة تجدي، ولا البكاء والتفجع عليك يجديان . كما تعرف في مثواك ويعرف من عرفك وزاملك واحبك ، بأنك قيمة في حد ذاتها اكبر من كل هذا ، وذلك ، وذاك.

وبعد ، ماذا اقول لك ايها الفلسطيني المشرد في وطنه الكبير وبين اهله؛ ماذا اقول لك يا غريب الدار والديار ؟؟

انني لاتساءل في غمرة هذا الشجى الذي بلغنا اليوم ، ما الذي كان يمكن ان تقوله انت في صدد مصرعك ، وفي صدد الغدر الذي احال شظاياك الى شظايا ستستمر في التفجر والعطاء حتى النصر ...

أتخيلك تجلس وراء مكتبك المبعثر في غرفتك المتواضعة في مجلة «الهدف» ، وقلمك كعادته يرتجف بين اناملك لتكتب في«الموضوع» لا لتبكي فأنت واحد مثلنا من ابناء شعبنا جفت الدموع في مقلتيك ، وربما فقدت

القدرة على البكاء ، وانت في كل يوم تشيع بطلا ، وتدفن شهيدا ، وتؤبن مقاتلا . . .

أتخيلك عقدت حاجبيك على وجهك الصبوح ، ورحت تتساءل بينك وبين نفسك : هل تكتب عن «معنى الانتماء للثورة ؟» ام هل تكتب عن «معنى الاختيار ؟» ام عن «الطريق الى الشهادة ؟» ام . . ام . . أم عن ماذا ؟

مواضيع وافكار ومعان كنت تكتب فيها ، وتعلم فيها ، وتمنح العزاء فيها لمن يبحثون عن العزاء في الطريق الصعب الشاق الطويل الذي يخوضه ثوارنا من اجل الحياة . . .

والآن نحن معك في مثواك ، في لحدك : نغمض أجفاننا على طيفك ، ونضمك الى جوانحنا ، ونكتب لابنائنا ، ارفاقنا ، لاخوتنا المناضلين ، للحزانى من اهلك واخوانك وأصدقائك ما كنت انت ستقوله لهم جميعا في مثل هذا المجال وحول مصرع مناضل مكافح عنيد من مناضلي الثورة الفلسطينية . .

ان اختيارنا الواعي لطريق النضال ، ومن خلال فهمنا وادراكنا لطبيعة المعركة معركة المصير التيتخوضها امتنا العربية ضد الامبرياليةوالصهيونية، والتي تخوضها الطلائع الثورية الفلسطينية على اكثر من جبهة ، تحتم علينا ان نعرف وان ندرك بأن مزيدا من الدم والشهداء يجب ان يسيل وان يسقط في المعركة . . .

اننا نعرف ان الطريق صعب وشاق وطويل ، ونعرف ونفهم قيمة الثورة التاريخية التي فجرتها طلائعنا الثورية في المنطقة ؛ ونعي كل الوعي على التناقضات الرئيسية التي أوجدتها في المجتمع العربي بين ما هو كائن وبين ما يجب ان يكون ، ومن هنا كان لا بد ان تستأسد القوى المضادة للثورة ، لتحول دون تصاعد هذه الثورة ، فتعمل على خنقها في المهد لتحول بينها وبين تفجير طاقاتها في أرجاء الوطن العربي .

أجل كان لا بد ان تتحرك كل هذه القوى على امتداد العالم الامبريالي الرجعي ، خارج المنطقة وداخلها ، ومن خلال كل الاساليب والسبل لاجهاض بذور الثورة الشعبية المسلحة التي اعتمدت الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية الوسيلة الوحيدة للتحرير والنصر ، كان لا بد ان تتحرك كل هذه القوى على اكثر من جبهة وبشتى السبل والاساليب لتقضي على بذور هذه الثورة التي اعتمدت استراتيجية صحيحة جديدة ربما لم تغب نظريا عن حركة التحرر العربي في المنطقة ، ولكنها بالضرورة غابت بالممارسة والفداء، فارتفعت بذلك الممارسة الى مستوى الفكر والنظرية . . .

على اكثر من جبهة ، وبشتى الاساليب تحركت الامبريالية والصهيونية العالمية وكل قوى الثورة المضادة في المنطقة لاجهاض هذه الشعلة بالحصار والتطويق حينا ، وبالتصفيات الجسدية الجماعية والفردية احيانا اخرى..

اما الشواهد على ذلك فاكثر من ان تعد ولا مجال او داع حتى لذكرها ، فذاكرة الانسان العربي تستوعبها وتعيها ، الانسان العربي الذي لم ينتزع ولم يستكمل حريته بعد ، الانسان العربي الذي لم تنتظم صفوفه كما يجب حتى الان ، الانسان العربي ، الذي عاش كابوسا مخيفا طيلة عشرين عاما باسم العودة والتحرير ...

ورب قائل هنا : «والاخطاء ماذا فعلتم وتفعلون بها انتم ، يا من جئتم تغيرون الواقع وتحركون الجمود ، ومارستم استراتيجيتكم الجديدة في الكفاح المسلح طريقا واحدا للتحرير» ؟

ولهؤلاء نحن نقول ونكرر وللمرة الالف بعد المليون ، نحن لا ننفي وجود هذه الاخطاء ولقد كدنا نقع في فخ الثورة المضادة عندما ؛ وفي معرض النقد الذاتي رفعنا الاخطاء الى مستوى الخطايا ، والتآمر الشرس المجرم على الثورة البرعم التي ستبث وسط كل هذه الانقاض ؛ ومن خلال هذا الحطام المريض بالهزيمة والانحلال ..

نحن لا ننفي الاخطاء ، ولكننا نؤكد من جديد اننا لسنا بديلا عن كل شيء متقدم متحرك في المنطقة وبالذات عن حركة التحرر العربي ، نحن جزء طليعي متواضع منها ، نكملها ونتفاعل بها ؛ دورنا من دورها التاريخي الكبير ، ان لم يكن بالتحرير الشامل السريع ، فبتأمين القاعدة الصلبة التي تتحرك منها وعليها الثورة ...

ليس من شأن الثورة ان تزايد على احد ، او تحرج احدا ، فالاخ لا يحرج ولا يزايد على اخيه ، ولكننا ومن خلال تحليلنا لكل ما يجري على الصعيدين العربي والدولي ، ومن خلال فهمنا لحقائق الامور نتأكد في كل يوم ان استراتيجيتنا هي الاسلم ولا بديل عنها ، لانتزاع النصر وبالنفس الطويل ضد عدونا الامبريالي الاستيطاني ...

كل شيء طرح في المنطقة حتى الان من حلول وتسويات سقط حتى الان ، وسيسقط بالضرورة ، فلعبة الخداع والقوة التي تمارسها الصهيونية ومن ورائها الامبريالية العالمية لا يمكن ان تجابه الا بالقوة والقتال وحدهما، والمطلوب اليوم ان تتوفر مثل هذه القناعة فيحشد لها ويعمل من اجل تنفيذها ، فنحن لا نطالب بالقتال من اجل القتال ، ولكننا نطالب بالقتال من اجل النصر ، ومن هنا فنحن مصممون على المضي في التحرك لنسهم في

تشكيل هذه القناعات لدى كل من يحس بالخطر المصيري الذي يتهدد الامة العربية بأسرها ، وللاسهام في تهيئة الشروط الموضوعية للنصر وهي متواجدة بوفرة في الوطن العربي ، لاسيما وان جماهير الامة بدات تدرك في كل يوم ان المأزق الحقيقي لا يكمن في الثورة الفلسطينية ، كما بدا يعي ضرورة واهمية استراتيجيتها في التحرير .

استشهد غسان كنفاني ، ونحن نعلم بالضبط انه يعلم لماذا استشهد ، وستظل روحه خالدة مطمئنة .. ومن فرحة الاقدار ان يصادف استشهاده في ذكرى عام واحد على استشهاد المناضل البطل ابو علي اياد في احراج جرش وعجلون ...

يد واحدة اغتالتهما وان اختلفت الاداة ، واحدة صهيونية ، والاخرى عربية ، والله أعلم ... والله اعلم . عبرة جديدة يجب ان يعمقها استشهاد غسان في نفوسنا ، وهي ان لا ننتظر الموت والاستشهاد احيانا بل نمشي اليه ، يجب ان نمشي اليه في كل مكان قبل فوات الاوان وحتى لا نعطش كما عطشنا في ايلول ، وتشرين ، وكانون وعلى مدار الاعوام نحن ومعنا كل الشرفاء والثوار في العالم ...

فلسطين الثورة : العدد ٣
١٢ تموز ١٩٧٢

كيف نثأر للشهيد؟

كل الذين يحاولون تصوير الثورة على غير حقيقتها ، واظهارها على انها ردة فعل على فعل ، يقعون في المحظور ، ويحرفون الثورة وما تمثله عن اهدافها الثورية الصحيحة ، ويبلبلون المسيرة من حيث لا يدرون .

ولعل اكثر ما تحتاج اليه الثورة اليوم : عبر حقول الالغام والاشراك المنصوبة لها هنا وهناك ، ان تتحلى بهدوء الاعصاب او ان تعمق رؤيتها بالقاء نظرة نافذة صادقة الى داخلها ، وعلى كل ما حولها ، وعبر كل ما يجري لتتأكد من ان الكمائن التي نصبت لها في مختلف الساحات الدولية والعربية في الماضي القريب ، ما تزال منصوبة لها اليوم . وبأسلوب ادق واخطر ، يستهدف الثورة في الجذور وفي الراس ، وبالتالي يستدرجها الى معارك جانبية ، جماعية كانت ام فردية ، تحول حركة المقاومة من اداة فعل وتخطيط ، الى اداة ردود فعل وتبسيط ، تبعد المقاومة عن اهدافها الحقيقية ، وتنعكس سلبيا على استراتيجيتها في الامدين الوسيط والطويل ...

وهذا يستتبع بالضرورة النفاذ الى صميم البعد الثوري للثأر ، وليس افتراض بعد انتقامي للثورة ، وشتان بين المفهومين عند الذين يدركون ان الثورة تخطيط ، ونهج ، واستمرارية ، وفداء متواصل ، وبين الذين يكون عندهم الانتقام وليد مفهوم سطحي للكرامة القومية . وانه لمن الخطورة بمكان ان يستحوذ الثاني على الاول فيفقد الاستشهاد جدواه ، ويزداد النزيف على حساب الاستراتيجية الاستمرارية والنصر ، كما انه قد ثبت بالممارسة ان التشنج العملي واللفظي يكون على حساب علمية الالتزام

وصدقه . اذا افسح المجال امام النزوات ـالتي قد تكون طبيعيةـ لتستنفذ نفسها ان لم تكن من ضمن خطة سليمة متكاملة غير قابلة للاجهاض ...

ان «معنى الشهادة» في المجتمع العربي ، له قدسية واحترام وصدى لا يفهم ولا يدرك بالعمق الروحي ذاته في مجتمعات اخرى ؛ وحتى لا نذبح هذه المعاني ؛ وحتى نبقي لها وقارها في غمرة الاستفزازات المضنية التي يواجه الثورة في كل يوم ، وفي غمرة ردود الفعل والتشنجات التي تلوح بين الحين والحين ، عند هذا وذاك ، وحتى نؤكد للمخططين في قوى الثورة المضادة وعملائها في المنطقة ، انهم لن يفقدونا القدرة على التمييز . طرحنا السؤال :

كيف نثار للشهيد بالمفهوم الثوري ؟!

في ظل هذا السؤال الهام يمكن تحديد العشرات والعشرات من الاساليب والوسائل التي تمس صميم مشاكل واوضاع حركة المقاومة الراهنة . وطبيعة العلاقات بين فصائل الثورة داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية على امتداد السنوات الخمس الاخيرة ، وفي هذا المجال كان للمقاومة اكثر من وقفة صادقة ؛ ولكنها لم تكن بالصرامة المطلوبة مما ادى الى مزيد من التمييع والخلل بالرغم من معرفة قيادة المقاومة لاسباب ومسببات هذا التمييع والخلل .

والمطلوب اليوم وحتى نثار للشهيد بالمفهوم الثوري الحقيقي ؛ انن نستكمل وحدة قوى الثورة ونناضل من اجل ازالة هذه الاسباب والمسببات وندفع على طريق تنفيذ خطوات الوحدة الوطنية التي اقرها المجلس الوطني الفلسطيني خطوات اخرى الى الامام ؛ تفوت على قوى الثورة المضادة الاستفادة من بقايا البعثرة الموجودة في الساحة الفلسطينية ، فتتكرس القيادة السياسية الواحدة في مفهومها الوحدوي الجبهوي وتتجسد وحدة المؤسسات في الممارسات الديمقراطية المنشودة ...

وهذا يعني بالضرورة قفزة نوعية الى الامام تلزم الثورة بميثاقها الوطني وبرنامجها السياسي الذي اقر بالاجماع ، وتسهل عملية التخطيط المشترك على كافة المستويات ، وتعيد ما فقدته الثورة من ثقة عند بعض قطاعات الشعب غير الملتزمة بسبب الحصار والمجازر والتطويق الذي مارسته قوى الثورة المضادة والامبريالية ضد الثورة ، وبسبب الاخطاء والهفوات التي ارتكبتها حركة المقاومة في كثير من الحالات ، والتي سبق ان تحدثنا واشرنا اليها في اكثر من مناسبة .

وحتى نستطيع ان نثأر للشهيد ، لا بد من استكمال عملية الفرز في

معسكر الاعداء والاصدقاء ، فليس للثورة اي مبرر بعد كل الذي حدث ويحدث ان يشوب موقفها اي غموض في موقفها من قوى التقدم والحرية في العالم ، وفي موقفها من المنظومة الاشتراكية حليفة الامة العربية في نضالها ضد الصهيونية والامبريالية العالمية ، كما عليها ان تفرز القوى الوطنية والدول التي تتفهم عدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني المطلق في تقرير مصيره .

وحتى نستطيع ان نثأر للشهيد ، فلا داعي لان يكون هناك اي غموض في علاقتنا بالانظمة العربية المسؤولة في الساحة العربية ، فالثورة الواثقة بنفسها تحدد علاقة واضحة صريحة من ضمن فهمها وقناعتها باستراتيجيتها التي طرحتها للامة العربية بأسرها ، وليس شعار التداخل والتعامل هو احسن الشعارات في كل الحالات ، فالقضية الفلسطينية قضية داخلية لكل مجتمع عربي ، وحركة التحرر الفلسطينية جزء من حركة التحرر العربي . تتكامل بها ، وتتفاعل معها في معركة المصير الواحد ، ومن هنا فلا بد ايضا من استكمال عملية الفرز في الساحة العربية بالممارسة .

والثورة لا تقول هذا من باب المزايدة على احد ، فهي تعرف بالضبط من تخاطب ومع من تتحدث ، وحديث الصدق والشرف مع الاشقاء لا يجوز ان يجرحهم او يعرضها لمزيد من الحصار لانه من اولى مهام الثورة ان تحمي امنها ، وتحمي ثوارها ، حملة البنادق ، ولذلك فهي تغلب التعامل على التداخل حيث يجب ان تفعل ، وتسهم في التعاون وتنمية قوى الثورة ضد الصهيونية والامبريالية حيث تكون ، ولكنها لم تصمت في الماضي ولن تصمت في المستقبل اذا تعرضت للذبح ، وهذا ينسحب على كل موقع في الوطن العربي دون استثناء تشعر فيه الثورة انها في خطر ، وفي المجال العربي فان الثورة تشعر ان من أولى مهامها اليوم على الصعيد السياسي ان تلعب دورها في تقريب بعض وجهات النظر العربية حول جوهر القضية المصيرية المشتركة خاصة وان الدفع الامبريالي للاستسلام قد عاد يشتد ويقوى ، ليؤمن (السلام الاسرائيلي) الذي لا يعني سوى الانسحاق والاستسلام امام العدو وشروطه ، هذا العدو التوسعي الصهيوني الذي ثبت بالتحليل وبالتجربة وبالممارسة ان لا سبيل الى دحره الا بالقتال وبالصراع، كما ان الثورة تؤمن بأن الطاقة العربية الوطنية بأسرها لو حشدت ونظمت ونسقت فيما بينها قادرة على الاعداد لمعركة طويلة يكون النصر فيها للامة العربية .

وحتى نستطيع ان نثأر للشهيد، لا بد ان نعمق اتصالنا بجماهير الثورة،

وتنظيمها ، الجماهير العملاقة التي تبرز وتظهر في اعراس الشهداء ، هذه الجماهير وحدها كانت وستظل ينبوع الثورة وسياجها الذي يرفدها بالشهداء صانعي التاريخ ، فالثورة الفلسطينية انطلقت كثورة جماهيرية ، وستظل كذلك . فالوجه العلني والسري منها ، وجهان لحقيقة ثورية واحدة ، وحتى نحافظ على شرعيتها وجماهيريتها لا بد ان تبقى وان تعيش وان تتنفس بين الجماهير العربية في كل مكان حتى يتم الالتحام المصيري بينها وبين هذه الجماهير لمعركة النصر الكبرى التي لا بد ان تحسم وعلى النفَس الطويل مهما طال الزمن . . .

واخيرا وحتى نستطيع ان نثأر للشهيد لا بد ان يكون موقف الثوار من الثورة هو موقف من الموت والحياة نفسها ، وهذا يستتبع ان يعمق معنى الاختيار في نفوس الثوار ، وان تؤلف وتجمع بينهم ارادة الحركة والقتال والتخطيط من جانب ، وشعلة المحبة والتعاضد والتواضع من جوانب اخرى ، فالمناقبية والاخلاق الوطنية اساس في العمل الثوري ، من لا يملكه لا يحق له ان يمارس في الثورة ولسنا نزعم ان هذا وحده يكون ويشكل البديل عن الاسس النظرية والتنظيمية ، ولكن الثورة بدون مناقبية وأخلاق تعمى عن فهم وممارسة البديهيات . . وبعد كل شيء فلا بد ان تكون اخلاق الثائر من اخلاق الشهيد الحقيقية ليقوى على الاستشهاد . . . ان الثأر للشهيد لا يجوز ان يأتي مفصولا عن مجموع العمل الثوري الذي يستهدف بالاساس الثأر من وجود الاحتلال بكامله .

فلسطين الثورة : العدد ٤
١٩ تموز ١٩٧٢

لماذا .. وما العمل ؟

مسكين لينين ! كم من الجرائم ترتكب باسمه في هذا العصر ، على كل المستويات ، وفي كافة المجالات ، ومن خلال الكثير من المقالات والتحليلات. وعبر الكثير من الاحزاب والتنظيمات ..!

مسكين لينين ! لانه ليس بيننا هذه الايام ، ليتسنى له الحسم حول ما خلفه من نظريات ودراسات ومقولات وبيانات !

وربما نكون نحن المساكين ، متفقين معه او مختلفين ، او البعض منا ، من الذين دأبوا عبر العشرين سنة الماضية ، على طرح وتكرار السؤال الكبير الذي طرحه لينين : ما العمل ؟

والذي لا شك فيه انه من الضرورة بمكان ، بل من الواجب ان يتصدى الانسان العربي ـ امام الاخطار الكبيرة المحدقة به ـ لايجاد الرد الثوري المتكامل على هذا السؤال الكبير : ما العمل ؟ في القضية ـ المشكلة ، التي يدور فيها ومن حولها مصير الانسان العربي وجودا وعدما ..

نحن لا ننفي مثل هذه الضرورة بل نؤكدها ، ولكننا نقول انه من الخطر بمكان ان نطيل التساؤلات والاسئلة حول الاسس والبديهيات في قضية ظهرت أبعادها وخفاياها ، وأسبابها ومسبباتها ، وتحدد اخصامها ، وتبلورت فلسفة هؤلاء الاخصام بالتوسع والاستيطان والاحتلال لكل فلسطين واجزاء كبيرة اخرى من الوطن العربي عبر العشرين سنة الماضية .

ففي عام ١٩٤٨ وبعد ـ ما سمي بالنكبة او النكسة ، توقفت الامة العربية وعلى راسها قادتها وزعمائها وتساءلوا ما العمل ؟

وبعد كل انفجار او انقلاب وقع في الوطن العربي ، باسم التغيير

والتصحيح ، تساءل الناس والانقلابيون انفسهم : ما العمل ؟ وبعد كل انتصار جزئي وما يليه من نكسة عاجلة ، طرح الناس السؤال الكبير . ففي الاردن عام ١٩٥٧ وبعد سقوط الحكم الوطني وانحسار الحركة الوطنية فيه، تساءلت القوى العربية الوطنية : ما العمل ؟

وبعد نكسة الوحدة بين مصر وسوريا وفشل التجربة بين القطرين ، وعبر الصراع المرير الذي دار بين قوى التقدم في المنطقة بين مصر وسوريا والعراق عام ١٩٦٣ صرخ الجميع وبصوت واحد : ما العمل ؟

ولقد توجت كل هذه الانفجارات والمساعي والمحاولات عام ١٩٦٧ بنكبة اكبر من تصور العالم ، وفوق قدرة تحمل واستيعاب الانسان العربي ومختلف قياداته ، فطغى الانين على ذلة الهزيمة وصرخ كل العرب من خليجهم لمحيطهم ملوك ورؤساء ، وحكاما : ما العمل ؟

وفي الفراغ شقت الثورة الفلسطينية ببراءة وصدق طريقها من خلال الركام والانقاض ، ومن ضمن استراتيجية واضحة في الكفاح المسلح ؛ لترد على السؤال الكبير : ما العمل ؟ فبذلت اكثر من محاولة لذبحها وحصرها ، وحملت اكثر من قدراتها ولكن سرعان ما تبلورت الامور ، وحدد «موقع المأزق» ومع ذلك فلا زالت المحاولات تجري لتصفية وجودها السياسي والمادي باسم الاخطاء والخطايا .

فما العمل ؟

في رأينا ان السؤال ـ على ضرورته ـ اصبح يثير من السخرية والمهانة في هذا الظرف بالذات ، اكثر مما يثيره من الجدية والاحترام ، ولعله اجدر بنا ، واجدى لنا ، لو توقفنا قليلا لنتساءل : لماذا ؟ لماذا يحدث كل ذلك ؟ فلربما ومن خلال هذا السؤال ، وهو الاكثر وضوحا ، والاكثر ايلاما ، نستطيع ان نتلمس الطريق للرد على السؤال الكبير : ما العمل ؟

لسنا من دعاة توزيع قرابين الانحراف والتهم ، فالقضية اكبر واخطر وادق من ان تفتح فيها المعارك الجانبية ، وحسبنا ما عانيناه من قوى الثورة المضادة ، المنظور منها وغير المنظور في هذا السبيل ، كما اننا لسنا مع تجاهل الحقائق والظروف والعوامل الموضوعية والذاتية التي تحيط بالقضية ـ المأساة . كما اننا نعرف بالضبط «ان الذي يتجاهل هذه الظروف والعوامل والحقائق تتجاهله بدورها» ، فيدخل في دوامة الضياع والبحث اليومي وراء السؤال الكبير : ما العمل ؟

اذن ماذا ؟ ولماذا يحدث كل ذلك ؟ ولماذا نضطر الى طرح السؤال الكبير ما العمل ؟ بمعدل مائة مرة في السنة الواحدة ..!

في رأينا ومن خلال متابعة سلسلة الاحداث والانجازات والتغيرات عبر العشرين سنة الماضية وبالرغم من كافة المحاولات المخلصة التي جرت هنا وهناك لتلمس الطريق الصحيح ، في رأينا ان القوى المسؤولة الحاكمة بأسرها . من راس الهرم الى قاعدته وبالعكس ، قد قدمت «المهم في قضيتها الاساسية على الاهم» مما جعلها تتخبط وتتناقض على الصعيدين الداخلي والخارجي . والذي لا ريب فيه ان ذلك لم يحدث بالصدفة مطلقا في معظمه ، انما حدث بالوعي الكامل في الكثير من الحالات ، كما تم نتيجة للجهل وسوء التدبير وعدم الوعي في كثير من الحالات الاخرى . نقول هذا بعد التأكيد على فهمنا لابعاد الصراع الداخلي والخارجي في المنطقة ، والاسباب والمسببات لهذا الصراع ، ومن خلال «عدم تجاهلنا لكافة الحقائق حتى لا تتجاهلنا هذه الحقائق نفسها» ، والمطلوب هنا ايضا معرفة هذه الحقائق وعدم تقديم المهم فيها على الاهم ، والتفريق بين السياسي منها وما يدخل في نطاق مراكز القوى والصراعات والخلافات المذهبية ، وبين الذاتي منها وما يدخل في نطاق الارادة والتصميم والتخطيط والعقل .

ومرة اخرى ومن خلال فهمنا لكل ذلك ، وعبر كل هذه التجارب المرة ، تقتضي الحقيقة ان نقول ان كافة المحاولات التي ما زالت تتصدى حتى الان للرد على السؤال الكبير ما العمل ؟ تبنى اليوم كما بنيت في الماضي على ردود الفعل مما يشير ويؤكد نمو وتزايد تأثير العقل «التجريبي والذرائعي» في العمل الوطني العربي ، وهذا يدفعنا بالضرورة الى رفع شعار محاربة واسقاط هذا العقل الذي ادى ويؤدي الى حالة الجمود والكبت التي تعيشها الامة العربية اليوم ، والذي يغلب فيها اللاحسم على الحسم في قضايا المصير ، وقضايا الثورة التي لا تفهم ولا تقبل التجزئة في منطقها . .

حديثنا اليوم موجه الى هذه المجموعة من الناس في مختلف الاقطار العربية ، والتي تتحمل اليوم مسؤولية العبء التاريخي في مجابهة الخطر المباشر في معركتنا مع الامبريالية والصهيونية العالمية ، وهو حديث تمليه المصلحة القومية قبل كل شيء ولا تحركه دوافع الشعور بالخطر والمسؤولية التي تحتم الوقوف في وجه كل محاولات التنظيم والتفسير والتبرير التي يهيمن ويسيطر عليه «العقل التجريبي الذرائعي» الذي اشرنا اليه . هذا العقل الذي لا يجوز ان يبقى مهيمنا في الساحة العربية على امتداد هذه السنوات الطويلة المفعمة بالمرارة وخيبات الامل المتكررة ، بحيث اصبح يبدو منه ان الثورة والتمرد والرفض والقتال وتحرير الارض بالقوة هو «الفرع» في عملية الخلاص المنشودة ، بينما الضغط والمناورة والعمل

السياسي ، وطرح البدائل هو «الاصل» الذي قد يعطي بعض النتائج .

وحتى لا نجادل في «المطلق» لان كل منطق وكل مساومة تنهزم في التحليل النهائي امام المنطق الثوري الذي لا يعرف المستحيل ، وحتى لا نتهم «بتجاهلنا للحقائق حتى لا تتجاهلنا هذه الحقائق» ، نحب ان نقول ان هذا العقل التجريبي الذرائعي اخذ فرصته الكاملة ان لم يكن عبر العشرين سنة الماضية ، فقد اخذها منذ نكبة الخامس من حزيران وعلى امتداد خمسة سنوات وحتى اليوم ، ولقد اضطر للتراجع عبر العديد من الصيغ والحلول التي اعتبرها ذات يوم تشكل الحد الادنى الذي يمكن القبول به .

وليس هناك ما يدعو الى ذكر الوقائع والشواهد ، فهذه امور لا يحكم عليها الا بالنتائج وعندما تتجسد وتتكرس — معاذ الله — في الواقع الذي يرفضه الانسان العربي بعقله وقلبه وشرفه ، لان هذا الواقع اذا تكرس يمس المبدأ ، ويكرس بالتالي الوجود الصهيوني الى زمن لا يعرف مداه الا علماء الغيب !

وهنا نعود لنلفت النظر الى خطورة سيطرة العقل التجريبي الذرائعي حتى في العمل السياسي ، لان ذلك لا يمكن ان يؤدي الا الى الخطأ المستقيم وتغليب التمنيات على الحقائق التي لا يجوز ان نتجاهلها فلو رحنا نستعرض علاقاتنا بالولايات المتحدة وما تمثله في العالم اليوم ، لوجدناها تتأرجح بين التبسيط والتعقيد : فمن قمة التشنج وقطع العلاقات ، الى محاولة تحييدها — اي الولايات المتحدة — الى استجدائها غير المباشر للضغط على اسرائيل من اجل التراجع او الانسحاب .

او استعرضنا علاقاتنا حتى بأصدقائنا لوجدناها ايضا تتأرجح بين التبسيط والتعقيد ، فمن قمة المحبة والاعجاب والتلاحم . الى قمة الاعتماد على الغير والتواكل «والمواقف» المتأرجحة .

ان هذه المواقف كانت وستبقى ثمرة للعقل التجريبي الذرائعي الذي يؤدي في كثير من الحالات الى الخلط بين معسكر الاعداء ومعسكر الاصدقاء ، فيعجز عن الفرز والتمييز ، بالرغم من محاولاته المتكررة ويفقدنا انماء وتصعيد قوتنا الذاتية في المعركة . فلو عرفنا طبيعة العلاقة بين الامبريالية والصهيونية العالمية لكانت اساليبنا في مواجهة اميركا ومصالحها والتأثير فيها اجدى وافعل ، ولو فهمنا معنى وطبيعة الارتباط العضوي بحركة التحرر العالمية من ضمن فهمنا لحقائق الامور ، وانتهاجنا للنفس الطويل في معركتنا الضارية من اجل التحرير لما تعرضت علاقاتنا لمختلف الهزات مع الاصدقاء .

ان كل ما تقدم يقودنا الى الحديث عن الاختيارات او البدائل المطروحة هنا وهناك امام الامة العربية في مواجهة العدو ، وحتى لا نناقش هــــذه الاختيارات وهذه البدائل التي قد تتغير بين ليلة وضحاها فيتقدم فيهـــا المهم على الاهم من حيث يريد المنظرون ، او لا يريدون ، نحب ان نؤكد ان طرح كل هذه البدائل والتنظير لها لا يجيب على السؤال الكبير ما العمل ؟ وانما يزيد في ارباكنا ، ويجعلنا نخطىء في ترتيب الاولويات ، ونخطىء في البديهيات .

ويبدو انه ومع الاسف الشديد اننا في غمرة التنظير والتفسير والتبرير نسينا كل الحقائق الاساسية او تجاهلناها خجلا ، لانها تمس ذواتنا جميعا، وربما صميم خصائصنا في هذه المرحلة ، وربما لصالحنا ايضا ، لانهـــا تفضحنا وتعرينا بيننا وبين انفسنا ، وهذه الحقائق الاساسية تتعلـــق بارادتنا ، وبقوتنا الذاتية . بتناسينا لابسط المثل والقيم التي هي جزء من حضارتنا وتاريخنا ومصالحنا ايضا وبالتالي تتعلق بصميم نظرتنا المستجدة الخاطئة والطارئة للبديهيات ، في قضايا الوطن والاوطان .

ان طرح البدائل والاختيارات لا يعفينا من رواية كل الحقيقة في مجال معركتنا المصيرية . وتتحدد هذه الحقيقة بوجود العدو الصهيوني التوسعي على ارضنا ، وتتحدد هذه الحقيقة ايضا برفض هذا العدو الانسحـــاب والتراجع ولو شبرا واحدا ، وتتحدد هذه الحقيقة ايضا بأن كل المحاولات غير الثورية استنفدت في اجلائه ، وان المنطق التجريبي الذرائعي قد سقط بالممارسة كذلك . فما الذي بقي وما الذي ظل ؟ وما العمل ؟

كلام بسيط ، بساطة المقاتلين الذين ما زالوا في ارض المعركة ، كلام لا نقوله للمزايدة او المناقصة ولكن من ضمن فهمنا لكافة الحقائق في مختلـف الساحات المعادية والصديقة اذ انه لا بديل للاحتلال الا بالقتال ، والقتال ، والقتال . . .

لقد اكدنا في اكثر من مناسبة ان الخيار ليس بين اطلاق الزناد واشعال النار فورا ، وبين الاستسلام او التنظير من اجل السلام والاستسلام ولكن الخيار الحقيقي هو ان يقنع الذين ما زالت في يدهم مقاليـــد الامور ان الاستسلام لاسرائيل هو وحده المطروح ، وان الرد على كل ذلك لا يكون الا بالحشد والتعبئة والاعداد للمعركة في المدى الطويل من ضمن المفهوم الثوري القتالي لقومية المعركة .

ان الثورة الفلسطينية ، لا تحرض احدا ولا تورط احدا ، ولا تطلب المستحيل ، ولكنها تدعو الى عدم الخوف من النتائج اذا اعتمد من بيدهم

مقاليد الامور في المعسكر الوطني ، النفس الطويل ، والقناعـــة بضرورة القتال ، لانه ليس عند هذه الامة من شيء تخسره سوى سلاسلها وقيودها وليس هناك من موقع في الوطن العربي اغلى من موقع آخر ، والمطلـــوب اليوم اعادة النظر جذريا في العلاقات العربية بعضها ببعض ، والمطلوب اليوم ان تتم عملية الفرز والحشد والتعبئة ، والمطلوب اليوم ان يفك الحصار عن حركة المقاومة ، والمطلوب اليوم ان يخضع النفط لسيادة الامة العربيـــة انتاجا وتسويقا . وكل هذا ممكن صنعه وعمله اذا لم نكن لنعيش ونتمي لعصر الاقزام . .

فما العمل ؟

طريقان لا ثالث لهما ، اولهما ان تتبين القيادات والتنظيمات والاحزاب الوطنية طريق التصعيد والحشد والتعبئة بكل الامكانيات وهي متوفـــرة وموجودة ، وبالتالي الاعداد المعركة والقتال على الرغم من كل الحقائـــق الموجودة في مختلف . وثانيها ان يستسلـــم المستسلمون المترددون في كل مكان ، ويتحملوا نتائج استسلامهم على كل المستويات فتنتهي جريمة اللاسلم واللاحرب، وتسقط الاقنعة؛ ويتم سقوط المرحلة موضوعيا وذاتيا، وتفرز الامور بشكل حاسم ونهائي ، فلا ينتهي العذاب والصراع كما يتصور البعض في الخارج والداخل ، وانما يبدأ العذاب للمستسلمين ، والصراع الحقيقي للذين يؤمنون بحق شعبهم في الحرية والانتصار ، لانه ما من شعب يمكن ان يقبل هزيمة بهذا الحجم ، ويستحق ان يبقى على ظهر الارض .

ومن خلال هذا الصراع المرير الطويل النفس لا بد ان يخرج اولئك الذين يستطيعون ان يجيبوا على السؤال الكبير ما العمل ؟

فلسطين الثورة : العدد ٥
٢٦ تموز ١٩٧٢

البعد الأممي لمعركة المصير

عندما يأتي الحديث من مواقع الالتزام الثوري الكامل : تتوجب المكاشفة والمصارحة الى ابعد الحدود في القضية المصيرية المشتركة ، التي تتصدى للدفاع عنها اليوم في الساحة العربية ، حركة التحرر العربي وطليعتها المقاومة الفلسطينية .

من هذا الموقع الملتزم ، ومن ضمن فهم الثورة الفلسطينية لكل حقائق الامور عبر تجربتها المريرة ، ومن خلال فهمها لشتى العوامل والتيارات التي تحكمت في الماضي وما زالت تتحكم بالساحة العربية ، نتوقف اليوم وعلى ضوء كل الملابسات التي وقعت هنا وهناك ، والغموض الذي نشأ عن هذه الملابسات ، نتوقف للاسهام في توضيح معالم الطريق المليئة بالالغام والاشواك ، بحس تاريخي لا تحركه سوى المصلحة القومية العليا للامة العربية التي تخوض اشرس معاركها المصيرية ضد الامبريالية والصهيونية في هذه المرحلة بالذات .

وفي رأينا أن الاسباب الحقيقية للمأزق الذي تعيشه الامة العربية اليوم ، ينبع من ذاتها ، ومن داخلها في الاساس ، وكذلك من وجود كل العوامل والتيارات والحقائق الموضوعيةالخارجية التي لا يمكن تجاهلها ابدا. فلو ركزت الامة العربية على تجميع طاقاتها وبناء قوتها الذاتية غير المحدودة للطاقة ، جاءت مواقفنا في معظمها ردة فعل على فعل فوقعنا في المحظور الكبير ، وخلطنا بين الاستراتيجية والتكتيك ، فضاعت الرؤيا منا ، وكادت تضيع بالتالي معالم الطريق في المسيرة الطويلة الشائكة .

لقد توصلت القوى والانظمة الوطنية في المنطقة الى حقيقة اساسية تأكدت في اكثر من مناسبة ، وهي ان الارتباط بين الكيان الصهيوني

والامبريالية الاميركية هو ارتباط عضوي ، وتاريخ العلاقة وشريط الاحداث يؤكد مثل هذه الحقيقة في كل يوم ، وهذا يعني ان الامبريالية الاميركية هي بالضرورة عدو مفروض علينا لا يمكن تجاهله ، ولا بد من موازنته بالقوة الذاتية والقوة الصديقة معا .

ان بناء القوة الذاتية للامة العربية ، ضرورة وحقيقة بديهية ، فالقوة الذاتية هي الاساس والمنطلق لاي ارادة فعل ، وهي العمود الفقري لاي قوة فعل . ومن الوهم التصور ان الحق يمكن ان يكون لنا ، بدون ان تكون لنا الكفاية على احقاق الحق . ومن الوهم ان نتصور ايضا ان معركتنا المصيرية يمكن «تضمينها» لقوى خارجية ، او حتى لحركة الثورة العالمية ، او ان النصر يمكن تحقيقه بقفزة في الهواء ، بدل المسيرة الشاقة الطويلة .

الا اننا عندما ندعو الى الاعتماد على القوة الذاتية للقومية العربية نتساءل : ما هي عناصر هذه القوة ؟ وهل الرجعية العربية بين هذه العناصر؟ وهل المطلوب هو الوحدة الوطنية ؟ ام وحدة القوى الوطنية والتقدمية داخل كل قطر عربي ، لينطلق من هناك بناء الجبهة القومية والتقدمية الشاملة ؟ نقول هذا مع فهمنا لحقيقة هامة تتعلق بدور البرجوازية الوطنية في حركة التحرر الوطني ، غير ان الرجعية تعني شيئا آخر ، فالرجعية بطبيعتها مرتبطة بالامبريالية المعادية للتقدم حفاظا على ذاتها ومصالحها .

فاذا كانت الرجعية العربية قد شمتت في الآونة الاخيرة — وعن سوء تقدير — بالحركة التقدمية والوطنية العربية ، بحجة ان الاتحاد السوفياتي لم يقدم للعرب كل ما طلب منه لقاء اعتزازهم الفائق بصداقته ، فهل الرجعية العربية قادرة بالفعل ان تعطي وطنها الصغير ، وأمتها العربية ، ومعركة المصير ما لم يقدمه ولا يقدر عليه الاتحاد السوفياتي .

ان التحليل العلمي والموضوعي لطبيعة الرجعية قد توصل الى حقيقة الارتباط العضوي بين الرجعية والامبريالية، ومن هنا فانه من العبث الاتكال على الرجعية العربية في القيام بعملية الضغط على المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة او ضربها ، مهما تركنا للتمنيات والعواطف من فرص بهذا الخصوص . ولذلك فان هذه المهمة هي مسؤولية حركة التحرر الوطني العربية ومنها البرجوازية الوطنية التي تتوفر فيها مواصفات تعطيها حق المشاركة في جبهة التحرير الوطنية .

ظل على البرجوازية الوطنية ، على أساس مقاييسها الخاصة ، ان تحدد وتهيىء الدور الذي يمكن ان تقوم به في معركة المصير ، ليس لان الموضوعية الثورية تكفل لها دورا في هذا المجال وانما بالمقارنة مع الدور الذي كان

للبرجوازية الوطنية في معارك التحرر الوطني في التاريخ .

لقد علمنا شعب فيتنام البطل ، المعتمد على قوته الذاتية القومية في الاساس ، علمنا كيف يمكن لحركة التحرر الوطني ان تستفيد من البعد الاممي في تعزيز كفاحها ، فكان صديقا للاتحاد السوفياتي وللصين الشعبية معا ، وعرف كيف يستقطب دعمهما ويحثهما على اداء واجباتهما الاممية ، وكيف يحرضهما على التمسك بها .

نقول هذا ، مع فارق الموقع بين ثورة فيتنام وحركة التحرر العربية من العملاقين الاشتراكيين ، ليس على الصعيد الجغرافي فحسب ، وانما على الصعيد العقائدي ايضا .

لقد تحددت علاقات الامة العربية بالاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية كلها ، على انها علاقات صداقة استراتيجية ، تقوم على الاشتراك في التصدي للامبريالية والرجعية ، والمساواة والمنفعة المتبادلة ، وهذه الصداقة الاستراتيجية هي اكثر الحاحا على معركة المصير . بعدما تأكد لنا ان الامبريالية عدو مفروض علينا بالضرورة وهي ابعد الحاحا بعدما تكشف بالممارسة ما تكشف بالتحليل عن طبيعة الارتباط العضوي بين الرجعية العربية والامبريالية الاميركية .

وفي هذا الموقع فاننا نتمنى ان تستوعب القيادة السوفياتية وتقتنع بتصورنا ، وهو ان معركة المصير على الارض العربية هي جزء من معركة التحرر والتقدم والانسانية ، لنا ولجميع القوى الوطنية والتقدمية في العالم ، للطابع الامبريالي والفاشي لدى عدوينا الرئيسيين في الصراع وهما الاستعمار الاميركي والحركة الصهيونية .

فالحركة الصهيونية حركة استعمارية قام بانشائها نفر من البرجوازيين اليهود ، استغلوا قطاعات واسعة من مواطني العالم الذين يدينون باليهودية في تحقيق اهدافها ، واقتلعوا العرب عن ديارهم وقذفوا بهم الى الصحراء، كل ذلك تحقيقا لاهداف الامبريالية للحركة الصهيونية والاستعمار العالمي .

وليس صدفة ان الحركة الصهيونية بدات تتجرا على الاتحاد السوفياتي داخل دياره وفي الكواليس الدولية في أعقاب هزيمة العرب في حرب حزيران ١٩٦٧ .

ومن هنا فالمطلوب من الاتحاد السوفياتي ، ان يزداد تصلبا وتشددا في مواجهة الحركة الصهيونية ، ليس دعما للكفاح العربي وحده ، وانما دفاعا على خط متقدم عن المصالح الحيوية والاستراتيجية للاتحاد السوفياتي ذاته .

وانه ليكفي الامة العربية في معركة المصير شرف التصدي وحدها بين شعوب الارض للحركة الصهيونية ، وموقف المؤسسة العالمية على ما هـو عليه من الرضوخ للصهيونية عند البعض واكتفاء شرها عند البعض الآخر ، وما للحركة الصهيونية من نفوذ وامتدادات في مواقع استراتيجية هامة من المؤسسة الدولية ، يكفي الامة العربية شرف أن تكون وحدها في التصدي بهذا التصميم والاصرار للحركة الصهيونية ، ليس دفاعا عن حقوقها القومية فحسب ، وانما دفاعا عن قضية التحرر والتقدم والسلام في العالم أجمع .

وفي التحليل النهائي يكون القبول باستمرار الامر الواقع خيانة ، لانـه يتضمن الاقرار بمكاسب العدو والتعامل معه على اسس انها حقوق لـه ، وهذا ما لا تقبل به الوطنية العربية في مصر أو في أي قطر من اقطار القومية العربية ، ولا ترضى به قوى معركة المصير التي جاءت لدحره عدوانا واحتلالا واستعمارا .

وما دامت الهجمة الامبريالية شاملة ، وما دامت البرجوازية الوطنيـة في الوطن العربي محدودة القدرة على المشاركة في معركة التحرر الوطني ، وما دام عبء التصدي والكفاح يقع على عاتق الحركة التقدميـة والوطنيـة والعربية وحدها ، فان تعزيز البعد الاممي لمعركة المصير يكون لازمة حتميـة وحاسمة . وهو يكون كذلك أكثر الحاحا في حال عدم اكتمال القوة الذاتية القومية وعدم استحواذ حركة التحرر الوطني عليها ، وفي حال انشغـال قوى التحرر العربي في استكمال بناء القوة الذاتية القومية ايضا .

فلسطين الثورة : العدد ٦
٢ آب ١٩٧٢

الوحدة من أجل ماذا ؟ ومن ؟ وكيف ؟

كل عربي لا يناضل من أجل الوحدة العربية ؛ لا يستحق ولا يجوز له ان ينتسب للامة العربية .

وكل عربي يحاول التشكيك بمبدأ الوحدة ، او يحاول ان يضع العراقيل امام انجازها ؛ لا يستحق ولا يجوز له أيضا الانتماء والانتساب لهذه الامة .

وكل عربي مناضل ملتزم ، او مؤسسة ثورية لا تبدي رأيها عند قيام اية وحدة عبر التجارب الماضية في تطبيق الوحدة وممارستها ، لا يحق له او لها ، ممارسة النضال والتزامه ، لان ابداء الرأي وطرح التساؤلات في القضايا الاساسية المصيرية هو جزء من المشاركة الفعالة في تعميق وانجاز هذه القضايا .

ان اية خطوة وحدوية واعية هي في حد ذاتها خطوة للامام تعكس في الوجدان العربي مدى أهمية الوحدة وضرورتها الملحة ، وتدفع بالمناضل العربي لمزيد من الالتزام والنضال من أجل تحقيقها ، واغنائها بالمضامين الصحيحة التي تؤمن لها الاستمرار ، وتحقق لها اداء دورها التاريخي والحضاري والانساني على الصعيدين العربي والعالمي .

والشعب العربي الفلسطيني الذي كان اول من اصطدم بالغزوة الصهيونية فحمل عن الانظمة العربية عام ١٩٤٨ مأساة الاغتصاب الصهيوني لمرحلة طويلة ، يجد اليوم نفسه اكثر الشعوب العربية الحاحا على تحقيق الوحدة ، لانه ادرك بالمعاناة والممارسة انه اول ضحايا عدم تحقيقها . ولذلك فان من حقه بل من واجبه ابداء الرأي في قضية الوحدة وسلامة مضمونها وتكوينها ، من ضمن التزامه بها ، وحرصه عليها والنضال من اجل ترسيخها .

والذي يزيد من ضرورة هذا الواجب ، ان محاولات وحدوية متباينة مختلفة ، مورست على الارض العربية في الماضي القريب فلم يكتب لهـا النجاح والاستمرار مع اختلاف الاسباب والمسببات ، وبالرغم من كون بعض هذه المحاولات رائدة في اغناء التجربة الوحدوية واثرائها .

ومن هنا كان لا بد من استيعاب هذه التجارب وفهمها والاعتبار بهـا ، والا طالت مرحلة التجربة والخطأ على حساب القضية المركزية نفسها ، في مرحلة يتعرض فيها الوجود العربي بأسره للخطر مما زاد في قناعة المواطن العربي بضرورة تحقيق الوحدة التي اصبحت بالنسبة له هدفـا ومطلبـا استراتيجيا ، بقدر ما هي مطلب قومي ، ونداء وجداني ، تمليـه وحـدة التاريخ والمصير .

والذي لا شك فيه، ومن خلال فهمنا لظروف المجتمع العربي الموضوعية الذي فعلت فيه عوامل التجزئة ما فعلت ، وصنعت فيه ما صنعت ، ان كل محاولة لتحقيق الوحدة الصحيحة ليست سهلة ، ومن هنا فلا بد ان يكون حجم المعاناة بحجم القضية المطروحة ، ولا بد ان يكتشف الذين يتصـدون اليوم لصنع الوحدة وتحقيقها ، الطريق السليم وسط حقول الالغام ، لمعرفة الاسباب الذاتية والموضوعية ، والاسباب الداخلية والخارجية ايضا التي حالت في الماضي دون وضع وارساء القواعد والاسس الصحيحة والسليمة للوحدة ، ليتمكنوا من ازالة العقبات في طريق الوحدة وتأمين استمرارهـا وعطائهـا .

ان الخطوة المصريه الليبية نحو الوحدة الكاملة تجيء اليوم في أعقـاب انتكاسة كبيرة ، ووسط هدنة وبلبلة خلقت واوجدت مناخا مرهقا ووضعـا مزريا في الوطن العربي ، والذي لا شك فيه ان هذه الخطوة نحو الوحـدة تنطوي على احتمالات عديدة لا بد من اغنائها ودفعها وتعميقها وتنميتها .

فمن أجل ماذا الوحدة ؟ ومن ؟ وكيف ؟

من البديهي ان نعود فنكرر ان لا مناص ولا خلاص مـن المأزق الكبـير الذي يجابه الامة العربية الا بالقتال . اذن اولى ضرورات هـذه الوحـدة ومرتكزاتها ان تعبىء وتحشد من اجل القتال والتحرير ، فالوحدة ليست هدفا في حد ذاتها بدون محتوى ، ولا يمكن ان تكون بديلا عن التحرير .

كذلك فان الوحدة لا يمكن ان تكون وحدة فوقية مهما خلصت النوايـا والارادات ، وانما هي وحدة الجماهير التي لا يجوز ان يقتصر دورها عـلى الموافقة فقط وانما على المشاركة في صنع الوحـدة بكافـة مؤسساتهـا وكوادرها الملتزمة ، المؤمنة بضرورة الوحدة في معركة المصير . فالجماهـير

وحدها التي تستطيع بناء الوحدة وتزيل مع الزمن الممارسات البيروقراطية التي مارسها بعض ادعياء الوحدة في الماضي فسهلوا للاستعمار وللقوى المضادة فرصة الانقضاض على الوحدة ، وكانوا من أسباب انفصالها . ولذلك فانه من الضروري خلق المزيد من المؤسسات وتربية المزيد من الكوادر الملتزمة في عملية بناء الوحدة .

وهذا يتبع بالضرورة ان يكون مضمون الوحدة تقدميا لان ذلك يزيل سيطرة الاحتكار على مواقع التوجيه الاقتصادي وبالتالي على الثروة الطبيعية ويفسح امام الجماهير فرص المشاركة بالثروة القومية . ومن هنا فان الوحدة الصحيحة لا بد ان تنطوي على تفجير طاقات التغيير في الوطن العربي لمصلحة التحرير .

لقد سبق للجماهير العربية في الماضي ان رفضت اشكال الاتحادات التي فرضت عليها ، والتي كانت تسهل للرجعية مهامها وسيطرتها على الانسان العربي ، فتحول دونه ودون مشاركته في شؤون بلاده بالرغم من كل قوى الحديد والنار والدعم التي كانت تحيط بمثل هذه الاشكال من الاتحادات . كما استطاع الاستعمار وقوى الثورة المضادة ان تنفذ الى اختراق وحدة مصر وسوريا بسبب الاخطاء هنا وهناك ، ولعدم وجود المرتكزات والمؤسسات والاسس السليمة المتكاملة التي تبني الوحدة الصحيحة في ذلك الحين ، مستقطبة بعض القطاعات ورواسبها اللاوحدوية بفعل التجزئة والتخلف .

ان كل هذا يؤكد ضرورة وضع الركائز والاسس السليمة من اجل بناء الوحدة ، فاذا كان للفروسية والشجاعة والالهام دور لا نستطيع اغفاله في تحقيق الوحدة ، فان الدور الاكبر يبقى للمرتكزات والمؤسسات، وللتخطيط والعقل في ترسيخ الوحدة ، فنحن نعيش في القرن العشرين . ولا بد ان نقيم وحدتنا بالمستوى الحضاري للقرن الذي نعيش فيه ، نقيمها على أسس علمية حديثة تلتزم العصر ، بعيدة عن العشائرية والاقليمية والطائفية ، آخذين بعين الاعتبار التفاوت الموضوعي في مختلف الاقطار ومتفهمين قيمة الخصائص الروحية للمجتمع الذي نعيش فيه .

ان الخطوة المصرية الليبية نحو الوحدة الكاملة في هذا الظرف العصيب بالذات ، ووسط كل هذه الاجواء، تجعل مسؤولياتها اكبر في تحمل العبء، والذي نأمله ان يكون لرأي الجماهير وآمالها في دعم هذه الخطوة أثره وآثاره البالغة عليها على امتداد السنة المقبلة التي سيجري خلالها ارساء قواعد الوحدة وتطبيقها .

ظل ان نقول ان من حق الوحدة على كافة طلابهــا في الوطــن العربي ، انظمة وشعوبا تؤمن بالتقدم والتحرير ، ان تسهم وتعمل على تعميق هــذه الخطوة وتنميتها . وليس كثيرا على طلاب الوحدة اينما كانــوا ، واينمـــا ناضلوا ، واينما حكموا ، اذا ما وضعت الاسس والمرتكـزات والمضامــين السليمة لها ، ان يرتفعوا على كافة الصيغ والاشكال والاسماء في سبيــل تحقيق الوحدة وتجنيدها في معركة المصير ، فالوحدة اكبر من الجميــع ، اكبر من القيادات ، اكبر من القادة انفسهم ، وليس اجدى وافعل منها في استرداد الكرامة المهيضة والحق السليب .

ان جماهير الامة العربية صاحبة المصلحة الحقيقية في التحرير ، والتي حرمت من تأدية دورها كاملا في الماضي نتيجة للارهاب في بعض الحالات ، ولسوء الفهم والاخطاء في بعض الحالات الاخرى ، هي المؤهلــة وحدهـــا لحماية مكاسب الوحدة ومنجزاتها ، بالدم والفداء ، اذا ما رأتها تتبلور في الاتجاه والعمق الصحيحين . فالجماهير وحدها ستكون حــزب الوحـــدة القادر بالتعبئة والالتزام ان يتغلب على التجزئة وحماية الوحـــدة مــن اخصامهــا .

ان الامة العربية تتطلع اليوم بأمل الى هذه الخطوة الجديدة في سلسلة المحاولات التجريبية من اجل بناء الوحدة السليمة ، وكلها امل بوعــي مصر العربية على دورها في الواقع التقدمي العربي ، الــذي حــاول ومـــا زال الاستعمار الاميركي يحاول ان يدفعها للتخلي عنه لمصلحة الصهيونية . كما تتطلع الامة وكلها امل الى حرارة القيادات الشابة في ليبيا طامحة بأن تغنى ثورتهم بالممارسة والعمل الوحدوي الرائد .

والثورة الفلسطينية المناضلة في معركة الحرية والتحرير والمحاصرة على اكثر من صعيد وعلى اكثر من جبهة تنظر اليوم وهي تتابع نضالها ببسالــة فائقة من اجل كسر الطوق عنها ، الى تحقيق الوحدة على الاسس المذكــورة فترى في ذلك عاملا قويا فعالا يسهم في فك الحصار عنها ، ويعطيها مداها الكامل في النضال حتى النصر والتحرير مؤكدة انهــا تنطلق في تقييمهـــا للعمل الوحدوي من خلال مفهومها الثوري للقتال ومن ضمن استراتيجيتها الواضحة المعالم في الكفاح المسلح .

فلسطين الثورة : العدد ٧
٩ آب ١٩٧٢

دفاعاً عن أنفسنا لا دفاعاً عن السوفيات

كان الموضوع المعد لافتتاحية هذا العدد من «فلسطين الثورة» بعنوان عرب المقاومة وعرب الاستسلام استوحيناه من الواقع الذي تعيشه الامة العربية في هذه المرحلة بالذات، ابتداء بنغمة الاستسلام الشاذة التي تصدر هنا وهناك ، والتي يدعو لها اكثر من «بيتان كبير» او «بيتان صغير» من خارج الوطن المحتل وداخله ، ومرورا بموقف حركة المقاومة الرسمي برفض وقف اطلاق النار ، والذي اكدت عليه بمناسبة مرور سنتين على صدوره في المنطقة العربية وانتهاء بتركيز الاضواء على قوى الرفض والمقاومة التي تلوح وسط هذا الظلام في اكثر من موقع ، ليس اولها ولا آخرها موقف اهالي قريتي«كفر برعم» و«اقرت» في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وموقف المطران «ريا» الذي أعلن العصيان في وجه الحكم الاسرائيلي ، فعلق الصلوات واغلق الكنائس حتى يعود اهالي «كفر برعم واقرت» الى منازلهم وارضهم . فكاد بموقفه هذا يقسم الحكم الاسرائيلي ذاته .

وسيبقى لموضوع «عرب المقاومة وعرب الاستسلام» مكانه في الحديث حتى يحسم لصالح عرب المقاومة . من خلال عملية الفرز التي تسير في العمق والتي لا بد من ان تكشف كافة الامور ، وتوضح كل المواقف ، ولكل الاطراف المسؤولة والمعنية في الصراع المصيري بين الامة العربية من جهة ، وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية من جهة اخرى ، فتبيض ساعتئذ وجوه ، وتسود وتسقط وجوه .

ولكن يبدو ان الذين ينظرون ويفلسفون ويبررون اليوم للتسويات من بعض قادة الرأي وبعض كبار الصحفيين في المنطقة ، يرون ان الموضوع الاكثر الحاحا والاكثر اهمية للتعليق عليه والحوار والجدل فيه ومن حوله ،

هو موضوع العلاقات العربية ـ السوفياتية .

وليس دفاعا عن الاتحاد السوفياتي ما نريد ان نسجله اليوم . فالسوفيات أقدر على الدفاع عن انفسهم اذا كانوا في موضع الملامة والنقد، لا يوجد في الدنيا من هو بعيد عن النقد والملامة . ولكن دفاعا عن انفسنا امام حملة التشكيك والتعطيل والتزوير لعلاقة حركة التحرر العربية بالاتحاد السوفياتي . . وكيف . . ؟ باسم اعادة النظر وفتح الحوار وتحسين وتقوية الروابط والاواصر وتجديد طبيعة العلاقات بين الامة العربية وبين الاتحاد السوفياتي ، على المستويات العقائدية والسياسية والعسكرية . . . ومتى . . ؟

في ظل هذه الازمة الراهنة بالذات . وفي وقت ما زال الرئيس انور السادات وكل الوطنيين العرب يسعون الى تطويق الازمة ، ووضعها في حجمها الطبيعي . مؤكدين على ضرورة الصداقة وضرورة الالتحام في المعركة المصيرية ضد الامبريالية والصهيونية العالمية .

نحن لسنا ضد اعادة النظر في اي موضوع او مشكلة تنشأ بيننا وبين الاصدقاء ، وحتى بيننا وبين الخصوم ، ونحن مع فتح الحوار عند ضرورة فتح الحوار، ولكن علينا بالضرورة ان نميز في المنطلق والاسلوب بين معسكر الاصدقاء ومعسكر الاعداء عند اعادة النظر او فتح الحوار ، فشتان بين موقع الالتزام وموقع التربص ، وشتان بين منطلقات التفسير ومنطلقات التزوير .

ونحن ايضا لا يمكن ان نقبل عقلا واحدا ، او تجربة واحدة بحكم موقعها السياسي او المنبري ، تحدد وترسم وتخطط وتعيد النظر ، فتقرب ، وتباعد من خلال منطلقها وفهمها وظروفها مهما كان هذا الموقع ، ومهما علا هذا المنبر ، فالقضية المصيرية التي نحن في صددها هي قضية مصير الامة العربية ، وقضية حركة التحرر العربي بأسرها في الوطن العربي المستهدفة في التحليل النهائي . ولذلك فلا بد ان يكون الاجتهاد من ضمن منطقها وفهمها ، لطبيعة العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والامة العربية ، والا اصبح الاجتهاد موقفا فرديا يزيد في التعقيد والتشكيك والتخريب ، لاسيما من المواقع المنبرية الهامة او غير المسؤولة التي أشرنا اليها .

فما الذي أراد بعض هؤلاء الكتاب ان يقولوه عند فتح هذا الحوار على مختلف مستوياته ؟ وما الذي يستهدفونه من وراء ذلك ؟ وهل يخدم كل ما جاء في كلامهم وتصورهم وتنظيرهم الهدف والقصد المعلنين من وراء كل ما قالوه ؟؟ وهل فيما لو سلمنا جدلا بأن بعض الذي قيل قريب من الحقيقة او

ما ينسبه الحقيقة . فهل صحيح ان يقال انه الحقيقة وبهذا الاسلوب . وفي هذا الوقت بالذات ؟

وهل صحيح ان يقال ان خمس طائرات «ميغ» بقيادة سوفياتيةاسقطت خلال دقيقة واحدة من قبل الاسرائيليين ؟

وهل صحيح القول عن ان ستالين اثناء الفترة النازية احتجب ثلاثة ايام في غرفته يتعاطى الخمر ، ثم دعا اللجنة المركزية.وقال لها : بشكل دراماتيكي : ــ على ذمة خروتشيف للكاتب ــ «ايها الرفاق لقد انتهت دولة لينين» ؟!! رغم ان الذين يعرفون التاريخ يعلمون ان ستالين رفض في الحرب العالمية الثانية ان يبادل من خلال الصليب الاحمر الدولي ابنه يعقوب ، بمارشال الماني ، فاعدم ولده رميا بالرصاص في برلين .

وهل صحيح ان يقال كل ذلك واكثر منه بكثير ونحن في صدد تصحيح الاوضاع واعادة النظر وتطويق الازمات واعادة الثقة ؟!

وحتى لا نعزل كل هذا الكلام عن مضمون كل ما جاء في المسلسل السوفياتي ــ العربي ، الذي نشرته الصحف في الاشهر الماضية، وخصوصا في الحلقة الاخيرة منه ، لا بد من ان ندعو المواطن العربي الى اعادة قراءته ، حتى لا نتهم باللاموضوعية ، فنحن اكثر جدية ، ومسؤولية وحرصا من تنصيب انفسنا لتوزيع قرابين الوطنية والانحراف على الناس ، ولكن هذا التجاوز وهذا التفرد ، وهذا التسيب ، وهذا الاسلوب بلغ مداه واصبح بشكل محورا ، ويستقطب منطقا ، عند المغفلين والمنحازين ضد مصلحة جماهير الامة العربية .

والحمد لله اننا من شهود هذا العصر ومن الذين عاشوا احداثه بانتصاراتها وهزائمها ، ومرة اخرى فليس دفاعا عن السوفييت ولكن دفاعا عن انفسنا ومن اجل ان لا تختلط الامور بعضها ببعض ، ومن اجل ان لا يتساوى الذين مع الثورة العربية المرجوة والذين ضدها ، نجد من واجبنا ان نوضح ما يلي :

اولا ، انها لمحاولة خطرة ان نحاول نقل التناقض بيننا وبين الصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية ، الى تناقض بيننا وبين الاتحاد السوفياتي فقد يؤدي هذا التناقض اذا ما دبر ، وان يؤدي الحوار والصراع له وعليه الى تناقض بيننا وبين انفسنا .

فالمستفيد الوحيد من عدم تصوير التناقض الرئيسي على حقيقته، ومن عدم تحديد علاقات التناقض الثانوي ايضا ، ومن جعل الصراع بين العرب وبين العرب ، هو اعداء العرب وحدهم .

ثانيا ، لقد اتضحت العلاقة العضوية بين الدولة الصهيونية وبين الولايات المتحدة الاميركية . واذا كنا لا نستطيع التوصل الى موازنة هذه العلاقة العضوية المعادية باخرى بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ، فان خيارنا ليس تحويل العلاقة غير العضوية بيننا وبين الاتحاد السوفياتي الى علاقة سلبية او علاقة تناقض ثانوي .

وما دامت موازين القوى على حالها في معسكر العدو باستمرار العلاقة العضوية بين الصهيونية والامبريالية الاميركية ، فليس هناك سبب او مبرر لتغيير موازين القوى داخل معسكرنا ، خصوصا وان اي تغيير في معسكرنا لا يمكن ان يكون اجدى مما هو كائن وقد يكون اسوأ بكثير .

ثالثا : لقد تعهد الحزب الشيوعي السوفياتي في مؤتمره العشرين بمساندة حركات التحرر الوطني في العالم في نضالها ضد الاستعمار والامبريالية وفي سبيل التحرر . وعاد فتعهد في مؤتمره الرابع والعشرين بدعم نضال الشعب العربي الفلسطيني والشعب العربي في جميع اقطاره ضد الغزوة الصهيونية والامبريالية .

وفي عام ١٩٧٢ الحالي أقر الاتحاد السوفياتي بحق العرب في اللجوء الى مختلف الوسائل وبينها القتال لتصفية نتائج العدوان الناجمة عن حرب ١٩٦٧ .

رابعا ، وسبق هذا ولحقه ايضا ان قدم الاتحاد السوفياتي مساعدات انمائية لمصر وللاقطار العربية كانت خزان بناء «دول الاستقلال» العربية بعدما حققت هذه الدول استقلالها .

وكان ان اعلنت القاهرة ان حاجتها الى الدعم والمساعدات من الاتحاد السوفياتي لا تقتصر على حالة الحرب الراهنة وانما تنسحب ايضا على حالة السلام اللاحقة لتصفية الاحتلال الاسرائيلي .

خامسا ، علينا ان نكون مع انفسنا قبل ان ننتظر من اي دولة كبرى او صغرى ان تكون معنا . ولا يتم هذا الا اذا بدانا بتحديد معسكر الاعداء من معسكر الاصدقاء، والتزمنا بهذا التحديد في عملنا وتحركنا وبنائنا واعدادنا للمعركة .

وفي التحليل النهائي فاننا لا يمكن ان نكون مع انفسنا ولانفسنا الا اذا بدانا مقاومة الاحتلال على اساس خطة منظمة وتضحوية وشجاعة ، عملا بأحد قوانين التاريخ وهو انه لا يمكن الانتقال من مرحلة الاحتلال الى مرحلة الاستقلال الا عبر مرحلة النضال والمقاومة .

سادسا ، رغم قناعتنا الكاملة بحتمية الصداقة الاستراتيجية بيننا وبين

الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي الاخرى ، فان فراغ المنطقة لا يمكن ان تملأه سوى القومية العربية، وان يملأه ابناؤها المناضلون المخلصون في الحركة الوطنية والتقدمية العربية .

ولكن لا بد من الانتباه الى ان العدوان والاحتلال الصهيونيين والامبرياليين هما اللذان يملآن فراغ المنطقة في الوقت الحاضر ، وان الصهيونية نوع من الاستعمار غير مستعد للرحيل ولا قادر عليه . وان العقيدة الاشتراكية لا تستطيع ان تملأ فراغا في المنطقة بالتعايش مع الوجود الصهيوني والامبريالي .

مرة اخرى ، دفاعا عن انفسنا وليس عن الاتحاد السوفياتي : اي القوى يريد لها المنظرون للقيام بعملية مسح شاملة للعلاقات العربية ـ السوفياتية. ان تملأ فراغ رحيل السوفيات عن الارض العربية !! .

الامبريالية الاميركية ؟ أم الرجعية العربية ؟ أم الصهيونية العالمية ؟ أم كل هذه القوى مجتمعة ، وهي في الحساب النهائي قوى المعسكر المعادي لحركة التحرر العربية وحركة القومية العربية ؟؟!!

فلسطين الثورة : العدد ٨
١٦ آب ١٩٧٢

المقاومة تدعوكم

في هذه الايام التي تبدو فيها نوافذ الاستسلام مشرعة في اماكن كثيرة من الوطن العربي ، عن عجز في بعض الحالات ؛ وعن تصميم وارادة وانحراف في حالات اخرى !

في هذه الايام التي تتجسد فيها التراجعات بالممارسة ، وعبر التصريحات والخطب التي تلقى هنا وهناك بالدعوة للاستسلام والتسويات وانصاف الحلول ؛ من حكام ومخاتير ووجهاء شاءت لهم الظروف ان يكونوا في مواقع مؤثرة في هذه المرحلة المصيرية بالذات !!

في هذه الايام التي تفتح فيها الجسور امام الاعداء لاقتحام الاوطان وتركيز اعلامهم السياسية ؛ والعسكرية والاقتصادية والثقافية على هضاب وسفوح ومرتفعات وجنبات الوطن العربي !

في هذه الايام ـ من هذا الزمن الرديء ـ الذي تشير فيه كل الدلائل الى المحاولات الجادة الهادفة لتصفية قضية فلسطين ؛ التي يدور من حولها مصير الانسان العربي وجودا وعدما !

يتساءل الانسان العربي البسيط . المجروح الوجدان بالعجز وخيبة الامل ، يتساءل : الى اين ؟؟ وهو بين مكذب ومصدق ان «مزاد» التصفية هذا يتناوله على مرأى منه وامام عينيه !

وان كان للانسان العربي البسيط ان يفاجأ بكل ما يحدث عبر الساحات العربية والدولية المختلفة ، فليس من حق المثقفين الثوريين وغير الثوريين منهم ان يفاجأوا بالذي يجري ويدور من حول القضية الكبرى . فلقد كانت كل المقدمات التي تلت حرب الخامس من حزيران تؤدي الى مثل هذه النتائج ؛ بالرغم عن التمنيات والاماني التي كانت تساورنا بين الفينة

والفينة ، والاضواء البراقة التي كانت توحي بأننا قد عرفنا الطريق ؛ فمضينا الى تحقيق الاهداف من خلال فهمنا لكافة أبعاد معركة المصير ومعطياتها .

ولسنا هنا في مجال التنديد او التهويل ، ولكن هناك أكثر من سبب مرئي ، واكثر من ظاهرة خطر داهم ، يدعونا الى القول بأن قضيتنا المصيرية لا يمكن ولا يجوز معالجتها على مستوى الصفقة بالرضوخ للمخطط المعادي، وكأنها لا تتعلق بوجود هذه الامة حاضرا ومستقبلا .

والسؤال الكبير الذي لا بد من طرحه في هذه الايام التي وصفناها هو : هل صحيح ان العرب ، ـ ومن ضمن اوضاعهم القائمة ـ لا يملكون خيارا الا الرضوخ للمخطط الامبريالي والصهيوني والرجعي ، الذي يستهدف السيطرة على المنطقة ودفع العرب الى الصحراء ؟!

كلنا يعلم ان امتنا في هذه المرحلة من تاريخها وفي مواجهة كل هذه التحديات ، أمة ناشئة ، خرجت لتوها من تحت السيطرة الاستعمارية التركية ، والبريطانية والفرنسية وغيرها وهي طرية العود ، تعاني من التخلف وفيها اكثر من موقع ضعف . الا انها في مواجهة المخطط المعادي ، اما ان تبني لنفسها القوة الذاتية لمقابلته ، وتخلق المناعة لديها للتغلب عليه، واما ان ترضخ لهذا المخطط وتستسلم له . وبذلك تكون هذه الامة او لا تكون .

ولذلك فان الذي سيقرر مصير الامة العربية ليس حجم الهجمة وشمولها وجسارتها فقط ، وانما يقرره قبل هذا الاسلوب الذي تأخذ به في مواجهة هذه الهجمة فهما ومعالجة .

من هنا لا نجد مدعاة للتشاؤم ولا مبررا لليأس ، امام ضخامة الهجمة المعادية وشمولها وجسارتها ، وانما الواجب والمهم ان نجد افضل الوسائل لمواجهة هذا التحدي والعمل باستمرار على تعزيز وتنمية هذه الوسائل والارتقاء بها .

مرة اخرى ، من واجبنا ان نسأل : لماذا لا تقاتل الامة العربية اعداءها بأبسط الوسائل المتوفرة لديها ؟ وهل صحيح ان هذه الامة الناشئة قد تبرجزت ، بحيث لم تعد تستطيع القتال الا بالاسلحة الحديثة والصواريخ والطائرات ؟ وهل ما زلنا غافلين عن تجارب حرب الشعب في التاريخ؟ وهل نصر فقط على الاكتفاء بالحرب النظامية ؟

أيضا ، اذا كانت الهجمة المعادية على ما تحتويه من خطورة ، فلماذا يتحمل الحكام وحدهم مسؤولية التصدي لها ؟ لماذا لا يشركون الشعب في

اتخاذ القرار ، ولا يستعينون به في التصدي ؟ لماذا لا تكون الديموقراطية هي الاداة للقرار الاسلم والمواجهة الاكثر استعدادا واستمرارا . لماذا يعطي بعض حكامنا ومسؤولينا التنازلات للاعداء ولا يتنازلون للشعب ؟؟

اسئلة اخرى كثيرة ملحة لا بد من طرحها في هذا السياق من منطلق الامل والالتزام والتمني ، تدخلنا مباشرة الى بعض التفاصيل فنسأل : ما الذي يمنع من تحقيق الوحدة بين سوريا والعراق أو دخولهما في وحدة عربية أكبر من خلال المضمون القومي التقدمي الذي يناديان به؟ وهل صحيح ان حزب البعث العربي الاشتراكي صاحب استراتيجية الوحدة ، اصبح في وضعه الراهن عقبة امام الوحدة ؟؟ أم ان الاقليمية اصبحت تستعدي البعث على الوحدة في سبيل المصالح القطرية الضيقة ؟؟

ثم هذه الثروة النفطية العربية الكامنة في الخليج ، هل صحيح انها ملك نفر من الحكام والاتباع ، أم انها ثروة الامة العربية كلها ، ومن حق هذه الامة استخدام هذه الثروة في بناء قوتها الذاتية ؟؟ ان هذه الثروة لم تستخدم في التنمية ولا في بناء القوة الذاتية على النحو الواجب وانما تم استغلالها من قبل الاعداء واستنزافهم لها ، كما ان هذه الثروة وهي من أمضى الاسلحة في أيدي العرب لحاجة العالم الماسة لها ما زالت تستعمل من قبل العرب على العرب أنفسهم بدليل انه عندما دعت الحاجة الى مساندة التأميم العربي للنفط ، قامت بعض دول النفط العربية ومعها ايران ، برفع انتاجها من البترول ، الامر الذي يجعل الدول الغربية تستغني عن النفط العربي المؤمم ، وبهذا تسيء الى التحرر والاكتفاء العربيين .

ثم ماذا عن تحييد البحر المتوسط ، واخراج الاسطول السوفياتي منه؟؟

ان تحييد البحر الابيض المتوسط دعوة ضرورية اذا ما كان الوضع في منطقة الشرق الاوسط طبيعيا ، وحاجة المنطقة في الاساس هي للسلام والاستقرار والتنمية . الا انه لا بد من التذكر ان الحقيقة البارزة في هذه المنطقة الان هي الامر الواقع الاسرائيلي . «فاسرائيل» دولة متوسطية وهي التي تعلن هذه الهوية لنفسها بصوت عال ، ولذلك فان اي تحييد للبحر المتوسط لا بد ان يتم بمشاركتها ، او موافقتها المباشرة او غير المباشرة ، فالدولة الصهيونية المطلة على المتوسط ، والتي خرجت الدعوة الاميركية اخيرا لاعتبارها الولاية الحادية والخمسين هي في الوقت ذاته اطلالة للامبريالية الاميركية على هذا البحر .

وبالرغم من ان الدول الاوروبية قد تجاوبت مع الموقف العربي بعد حرب حزيران ، فانه لا بد من تذكر حقيقة ، وهي ان اغلب دول اوروبا ، تابعة

للاحلاف الغربية الامبريالية ، ولذلك فان الاشتراك معها في عملية التحييد من ضمن الوضع الراهن يساعد على تكريس الامر الواقع ولا يساعد في العمل على تعديله وتصفيته .

ولذلك فما دامت «اسرائيل» هناك فان الدعوة للتحييد تكون على الصعيد العملي دعوة الى اخراج السوفييت من المتوسط ، دون الوجود الاميركي الامبريالي . كذلك فان الحرص على بقاء السوفييت في المتوسط اثناء المرحلة الراهنة ليس بديلا عن بناء القوة الذاتية العربية ، وانما لا يمكن استكمال ابعاد الهيئة العربية لمواجهة المخطط المعادي دون توضيح وتعزيز وتعميق البعد الاممي لهذه التهيئة .

ان المنطق الجدلي للثورة العربية يؤكد على كل الابعاد الوطنية والقومية والاممية في بناء القوة الذاتية العربية . فلا بد لهذه القوة من مضامين الحرية والتقدم . ولا بد لها من البعد القومي المناضل بالاتجاه الى الوحدة ولا بد لها كذلك من تعزيز العلاقة مع الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية بأسرها .

وقبل كل هذا ، فان بناء القوة الذاتية العربية لا بد ان يتم حول عمود فقري هو التحرر ، وهذه الحقيقة اكثر الحاحا في حالة العدوان والاحتلال، والتوسع الصهيوني والامبريالي . فالانسان العربي ليس بحاجة الى الخبز مع الزبدة كما يتصور بعض المشغولين بالتنمية عن التحرر ، وانما يكفيه الخبز وحده ، على ان ينبت قمحه في ارض تسقيها دماء التحرير ، وعلى ان يهبط عليه ندى العزة والكرامة .

فقبل فوات الاوان ، حيث لا يجدي البكاء ولا صرير الاسنان ، علينا ان نفهم ان ليس خيار العرب هو الرضوخ للمخطط الصهيوني والامبريالي . وانما خيارهم في ايجاد الوسيلة الفضلى لمواجهة الهجمة المعادية . وهذه مسؤولية القادة والحكام . وستكون أسهل عليهم وانفع لامتهم اذا اشركوا في حقوقها وواجباتها جماهير الشعب التائقة الى التحرر .

والى كل هذا ، فان المقاومة تدعوهم !

فلسطين الثورة : العدد ٩

٢٣ آب ١٩٧٢

«الهنود الحمر» يعرفون طريقهم

ليس الحديث عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني جديدا ، فالقضية مطروحة منذ غزا الاستعمار الغربي الارض العربية ومنذ بدات الصهيونية تنفذ مخططاتها على أرض فلسطين . الا ان الجديد في هذا الحديث هو انه يأخذ ، ضمن الاوضاع الراهنة الرديئة ، بعدا سلبيا خطيرا ، يهدف الى تفريغ مفهوم شعب فلسطين من محتواه ومعناه .

ومن هنا فان ما يستجد اليوم من احاديث عن حقوق شعب فلسطين وفي هذه المرحلة بالذات ، انما هو في الحقيقة حديث عن الانتقاص من حقوق شعب فلسطين ، خصوصا لدى قوى المعسكر المعادي للامة العربية، وهي الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية .

فكيف تنظر وكيف ترى قوى المعسكر المعادي للامة العربية حقوق شعب فلسطين ؟ وكيف نرى نحن وكيف نناضل من اجل هذه الحقوق ؟

ان الصهيونية العالمية تفهم ــ بالنظرية والممارسة ــ حق الشعب الفلسطيني في الموت دون الحياة ، بل تطلب ان يكون موته وفناءه باسلوبها وعلى هواها فتحرمه من التضحية والاستشهاد . وكل الذي يمكن ان تعترف به الصهيونية من شعب فلسطين ، وسط الضغوط الدولية والتسوية الاستسلامية المطروحة ، هو تلك الفئة من الوجهاء الرجعيين التي تقبل بالتواجد المرحلي الفلسطيني هنا وهناك باسم حق شعب فلسطين ، وتشكل بالتالي جسر عبور الصهيونية الى الامة العربية من المحيط الى الخليج . الا ان الصهيونية وقد أوشكت ان تصبح حرة الارادة ، تمارس طبيعتها ممارسة حقيقية ، لا تقبل مصيرا لشعب فلسطين الا مصير «الهنود الحمر» ، الذين اصبحوا في الولايات المتحدة مجتمعا صغيرا شبه منقرض ، يستحضرون له

السواح ، ويصلح في ترويج افلام «رعاة البقر» !

اما الامبريالية ألتي تربطها علاقة عضوية بالحركة الصهيونية ، فترفض وعلى كافة المستويات ان تعترف بوجود شعب فلسطين ، وأقصى تعريف تملكه الامبريالية لحقوق شعب فلسطين هو حقه في «التعويض» بمعنى ان يبيع كامل حقوقه «بالدولارات الاميركية» الى الصهيونية والامبريالية . وهي تقبل حتى بهذا التعريف الاقصى من ضمن المعادلة والموازين الدولية وضغوط المعسكر الاشتراكي .

واما حقوق شعب فلسطين لدى الرجعية العربية وبعض المبرقعين بالوجوه الوطنية فهو ايضا حقه في «التعويض» «والتوطين»بشرط ان ينفتح عليها خزان الدولارات الاميركية باسم التنمية والانعاش واستثمار رؤوس الاموال . وأقصى ما يمكن ان تبلغه هذه الحقوق في عرفها هو حق شعب فلسطين في «دولة» صغيرة على رقعة من فلسطين ، يتجمع فيها الشعب كأنه في معسكر اعتقال او ابادة . وهذه القوى الرجعية بحكم طبيعتها وارتباطها العضوي بالامبريالية والصهيونية مضطرة بالقبول «بالدويلة» الفلسطينية الدائرة في فلك الصهيونية .

وللنظام الاردني كما يبدو لنا بالتجربة التاريخية الممارسة ، دوره الخاص على قضية فلسطين ، فهو يرى حقوق شعب فلسطين على انها حقه في ان يقول نعم ، ويؤيد دون مناقشة للنظام الاردني نفسه ، كما انه يفهم هذا الحق لتنازل الشعب الفلسطيني عن حقوقه ليس تجاه الصهيونية فقط وانما تجاهه ايضا ، ناسيا كغيره من بعض الانظمة العربية ان الضفة الغربية وديعة وضعت بين ايديها حتى يحين موعد التحرير وليس موعد التسليم والتزوير .

اذن من يملك التعبير والتجسيد لمعنى حقوق شعب فلسطين ؟

انه الشعب العربي الفلسطيني ذاته . والذي لا نظنه عنصريا بحيث يريد تعريفا لحقوقه اوسع من تعريف حقوق أي شعب في التاريخ ، هو حقه في تقرير مصيره بارادته الحرة .

فهل كان شعب فلسطين حر الارادة بعد هزيمة عام ١٩٤٨ ؟ وهل شعب فلسطين اليوم وهو رازح تحت اسوأ انواع الاحتلال ، وهو الاحتلال الصهيوني في فلسطين المحتلة ، واحتلال العنف الرجعي الذي يلاحقه في كل مكان ، حر الارادة يملك حق التعبير عن حقوقه الاصيلة ؟!

لقد كانت فرصة كبيرة لشعب فلسطين عبر فيها عن ارادته بعد هزيمة حزيران ، يوم اندفعت صفوفه لتنخرط في حركة المقاومة . يومها علم

العرب والعالم بأسره انه اختار الكفاح المسلح تعبيرا عن ارادته .

ولكن الصهيونية والامبريالية والرجعية ذعرت لهذا الاعلان عن حقيقة ارادة شعب فلسطين ؛ فتحالفت قواها ونسقت وخططت فيما بينها ، ثم انقضت على حركة المقاومة ذبحا وتصفية .

ولم تكن ضخامة الهجمة وشراستها موجهة في الحقيقة ضد القوات الفدائية المتواجدة هنا وهناك وانما كانت موجهة ضد طبيعة هذه القوى الثورية بصفتها تعبيرا عن ارادة شعب فلسطين . فلم تكن الهجمة المعادية لحركة المقاومة ضد العمل الفدائي فحسب ، وانما كانت ضد ارادة شعب فلسطين .

واليوم اذ تظن القوى المعادية انها أفلحت في محاولتها هذه ، تنتقل الى مرحلة اعلى ؛ وهي مرحلة التمويه على ارادة الشعب الفلسطيني ، والعمل على تطويقها والنيل منها . الا ان كل قوانين التاريخ تؤكد ان ابرز حقوق اي شعب من الشعوب في ظل الاحتلال هو حقه في مقاومة الاحتلال . ولذلك فان الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية التي ترفض حق شعب فلسطين في المقاومة اثناء مرحلة الاحتلال ، انما ترفض كامل حقوق شعب فلسطين في حالتي السلم والحرب .

وانه احد قوانين التاريخ ايضا الذي طالما سبق وأكدنا عليه وهو : انه عندما يقع الاحتلال تسقط الشرعية الرسمية داخل الوطن وتصبح الشرعية للمقاومة وحدها . والمقاومة الفلسطينية كانت وستبقى حتى النصر لا تقاس بحجمها الحالي ، ولا بظروفها الحالية ، وانما تقاس بحجمها المستقبلي وقدرتها على الاستمرار .

ومن هنا فان الذين يقاومون الاحتلال ويرفضونه هم وحدهم المعبرون عن الشرعية الوطنية ، وهذا يعني انه ليس من حق طبقة أو فئة أو مجموعة لا ترفع السلاح في وجه الاحتلال والصهيونية ان تدعي تمثيل شعب فلسطين .

أما الذين يتعاونون مع الاحتلال بحجة «انقاذ ما يمكن انقاذه» من حقوق الشعب الفلسطيني فانهم ليسوا خارجين عن تمثيل الشعب فقط ، بل ان الحكم عليهم هو الحكم ذاته على الاحتلال ، وموقف المقاومة منهم هو موقفها ذاته من الاحتلال .

فليس من حق اي فلسطيني، او طبقة فلسطينية، او حركة فلسطينية، المساومة على حقوق شعب فلسطين . فالقرار في حقوق شعب فلسطين هو قرار الاجيال الفلسطينية السابقة التي قارعت الصهيونية منذ العشرينيات،

وهو ايضا قرار الاجيال الصاعدة التي لا يمكن ان يكون ميدانها الابادة او الضياع أو العار . وكل واجب القيادات والاجيال الفلسطينية الحاضرة ان لم يكن حسم قضية فلسطين لمصلحة الامة العربية ، وان لم يكن لاحياء هذه القضية والتأكيد على حقوق شعب فلسطين ، فهو تسليم الامانة للاجيال الفلسطينية والعربية المقبلة .

واذا كان التنازل والمساومة والتفريط تبدو وكأنها ردود فعل طبيعية في هذه المرحلة ، فانها تبدو كذلك لانها من طبيعة مرحلة الاحتلال ، ولا يعيب الشعب العربي الفلسطيني ان يكون بعض وجهائه ضالعين في ردود الفعل هذه ، فلقد ظهرت في حالات احتلال الاوطان عبر التاريخ فئات تنازلت وساومت وفرطت ، ولم يكن الجنرال «بيتان» اولهم ولا آخرهم في التاريخ المعاصر . ولكن الشعوب تعود فتطلب الثمن من كل هؤلاء مهما تأخر الزمن ، ولذلك فانه انفع للوجهاء الفلسطينيين تحت الاحتلال ان يقرأوا التاريخ في هذا الوقت بدلا من الانشغال في الحوار مع الاحتلال والرجعية، فخلفهم النصر الذي حققته حركات المقاومة في التاريخ وامامهم النصر الحتمي لمقاومة شعب فلسطين .

ان قوى المعسكر المعادي تعتقد انها بالارهاب الجماعي والارهاب الفردي قادرة على اخفاء التعبير عن حقيقة ارادة شعب فلسطين تمهيدا لتغيير الارادة ذاتها ، الا ان الارهاب الرجعي يولد العنف الثوري على الدوام ، وبالعنف الثوري يجدد شباب الثورة فتستمر وتنبض ، وبهذا تعطي القوى المعادية للثورة الحياة للثورة ، ومن العنف الثوري تأخذ الثورة دمها الذي تنتصر بـه .

وفي كل دقيقة يستشهد فيها فلسطيني مقاوم يولد المئات على الارض التي زرعت فيها بذور المقاومة ، بل يولد مئات العرب على ارض المقاومة .

ان الثورة تعتبر حقوق شعب فلسطين هو حق الامة العربية في كامل ترابها في فلسطين ، وحق الفلسطينيين ان يعيشوا احرارا عليها .

وتؤكد على ان ابرز حقوق الشعب العربي الفلسطيني في ظل الاحتلال، هو مقاومة الاحتلال .

واخيرا ، فليست حقوق شعب فلسطين صكا تجاريا تتهاوى قيمته أو تسقط بمرور الزمن ، وانما هي صلب حقوق الامة العربية في ان تعيش وتزاول ارادتها الحرة ، وتبني مجتمعها وتشارك في تأمين السلام وصنع الحضارة للبشرية .

فلسطين الثورة : العدد ١٠
٣٠ آب ١٩٧٢

الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ..

حتى يصبح النصر في أعيونكم

ان لقاء هذا الحشد من الكتاب والصحفيين في المؤتمر العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين دليل على ان الثورة الفلسطينية قادرة بالرغم من الحصار والتطويق ومحاولات التصفية التي تجري ضدها ، ان تتجاوز هذه الظروف وتتفوق على واقعها .

وفي مرحلة الهزيمة والاحتلال التي تعيشها الامة العربية اليوم ، فان الثوار الحقيقيين وحدهم ، واهل الفكر والقلم الملتزمين هم المؤهلون دون سواهم لاستشفاف الحقيقة من خلال الظلمة التي تخيم هنا وهناك ، وتوضيح معالم الطريق للذين ضاعت اقدامهم وعقولهم وسط العواصف والاعاصير ، كما انهم وحدهم هم الذين يعرفون ان مرحلة الاحتلال والتعاون والاستسلام ليست كل شيء ، وليست نهاية المطاف ، لان خلف هذه المرحلة نضالات الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩١٩ ، وامامها المزيد من هذه النضالات الى ان تتمكن الامة العربية من تصفية الاستعمار على أرضها وانهاء أوضاع التخلف فيها ومن حولها .

والذين يعرفون هذا هم اصحاب البصيرة من الثوار الحقيقيين ورجال الفكر الاصلاء ، اذ انه لا يكفي ان يكون لدى المرء بصر يرى به ما حوله وانما هناك الطلائع الفكرية والسياسية والكفاحية التي تخترق بصيرتها حجاب الحاضر المظلم الى المستقبل المشرق ، من خلال المعاناة والصراع والقدرة على تصور الاحداث والمفاجاءات ولذلك فانهم وحدهم القادرون على زرع الصمود في نفوس الجماهير ، وتعهده ورعايته وحمايته حتى يتحول الى ثورة شاملة حقيقية على المدى الطويل .

ومن هنا كان على صاحب البصيرة ان يأخذ بيد صاحب البصر الذي لا

يرى في الوقت الحاضر سوى الاحتلال والمتعاونين معه والمتجهين الى الاستسلام ، لينقله الى المستقبل عبر الاشواك والحفر والصعوبات ، حتى يطلع خيط الفجر الاول فتلتقي نظرة البصر ، برؤية البصيرة . كما ان على اصحاب الحس الثوري اذا هم ما درسوا واستوعبوا نتاج حركات التحرر الوطني ، وتراث حركة التحرر العالمي ، فاهتدوا بالقوانين العامة للثورة الى الحقيقة . عليهم ان ينفذوا للمستقبل فيسهمون في توضيح معالم الطريق ، لان القدرة على النفاذ للمستقبل ليست كلمة فحسب ، وانما هي جهد ومعاناة وتضحية واستعداد فكري .

ولما كانت الهجمة الصهيونية والامبريالية والرجعية على الامة العربية غزوة مدنية مشوهة ، تستهدف قهر هذه الامة بتراثها الانساني والروحي والكفاحي ، وكذلك تستهدف فرض السيطرة الرأسمالية والفاشية والامبريالية عليها ، فان الكتاب والصحفيين يتحملون في مواجهة هذه الهجمة مسؤولية خاصة ، لانه لا يمكن الرد على التفوق العلمي والتنظيمي للحركة الصهيونية الا بالمحافظة على القدرات الاصيلة للثورة العربيةوأبرزها القدرات الانسانية والاجتماعية والروحية واغناؤها بالتقدم والعلم والتنظيم والتحديث .

فالعقل العربي ، والوجدان العربي ، والضمير العربي ، مستهدفة بالغزوة المدنية المشوهة قبل وبعد ان استهدفت الارض العربية ، وانه لمن اولى واجبات العقل والوجدان والضمير العربي الذي يستمد القلم منها نبضه ان يتصدى لهذه الهجمة وان يجند في التصدي لها كل الجماهير العربية .

والثوار الحقيقيون يعرفون ان طريق الثورة ليست في التصاعد على الدوام ، وانما لا بد من انتكاسات وانحناءات ، ولذلك فانهم لا يغترون بالنجاح ولا يخافون من الانتكاس وانما يفرحون ويعطون على الدوام ، وفرحهم ناشيء عن قناعتهم بأن الثورة تستمد من الهزيمة والنصر المؤقتين زادها . فتكون مجموع خبرات الثورة في التحليل النهائي سلبية كانت أم ايجابية تراث النصر الحقيقي الذي يهدي الثورة .

والكتاب والصحفيون الفلسطينيون لانهم يعيشون على طول وعرض الارض العربية وفي انحاء العالم مدعوون لاغناء فكر الثورة برصيد نضال الامة العربية وبرصيد حركات التحرر العالمي ، ولذلك فان التعرض الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في الاونة الاخيرة على ايدي الصهاينة والامبرياليين والرجعيين العرب لم يكن بالصدفة ، ولم يكن صدفة ايضا ان

يصر هؤلاء الكتاب والصحفيون ورجال الفكر على المزيد من العطاء لثورة فلسطين .

ومن هنا لا بد من الاخوة بين البندقية المقاتلة والقلم الملتزم ، من هنا اخوة الدم الثوري ، والحبر الثوري ، وضرورة الالتحام بينهما ايضا ، فبدون الدم الثوري لا يمكن للبندقية ان تبصر طريقها ، وبدون البندقية يظل الحبر الثوري على الورق .

ولا شك في ان على القلم العربي ان يختار في هذا الوقت بين ان يكون اداة في يد الحكم وبالتالي اداة في يد الامر الواقع المستسلم ، وبين ان يكون هذا القلم اداة للحياة والخلق والمقاومة . ولا ريب في ان التراخي امام المصالح الخاصة والانية وقصيرة النظر يصب في خدمة الحكم ، وخدمة الامر الواقع والاحتلال ، وان الالتزام بالقضية يصب في خدمة المقاومة والثورة والتحرر . وليس هناك موقف وسط بين الخيارين ولا مكان او امكانية في هذا المجال من الجمع بينهما الا على حساب الالتزام والثورة .

انه من الواضح والجلي ان اعداء التحرر العربي يعملون ويستعملون كل الوسائل والاساليب لخلق مصالح خاصة للاقلام العربية الوطنية وربطها بالمصالح الرأسمالية والرجعية ، وان الاغراءات لتحقيق هذا كثيرة وبالغة ، والخيار في التحليل النهائي هو لاصحاب هذه الاقلام نفسها . لان القلم الذي يكتب من موقع بين الالتزام والانتفاع اخطر على التحرر والثورة من القلم الذي يكتب من موقع المصلحة الخاصة ، لان الاول يظهر وللوهلة الاولى وكأنه يكتب من موقع الحرص والموضوعية والعصرية ، ويمر وقت طويل قبل التفريق بينه وبين القلم الملتزم ، اما الثاني فمكشوف ولا داعي لمناقشته .

ان لاصحاب القلم في هذه المرحلة الحساسة الخطرة من تاريخ الامة العربية ، مسؤولية تاريخية ضرورية تعيد للكلمة العربية وقارها وتسترجع شرفها بعد أن كادت تفرغ من مضمونها ومحتواها ، في مرحلة اصبحت تسمى الامور فيها بغير مسمياتها ، فالتخلي حكمة ، والتراجع حنكة ، والتنازل والتفريط مرونة . . . والوطنية وجهة نظر .

والاخوة بين القلم الثوري والبندقية المقاتلة بالالتحام الذاتي والممارسة وحدها القادرة على استرجاع هيبة الحرف والكلمة ، لتصبح الكلمة بحجم الرصاصة ، والرصاصة بتأثير ومفعول الكلمة بحيث لا يعود الانسان العربي يقول ما سيفعل حتى يستطيع ان يفعل ما يقول .

وفي الوقت الذي يبدو ويلوح فيه للبعض ان الثوار الحقيقيين والمثقفين الثوريين يغادرون الارض العربية ليحل مكانهم الانتهازيون والتجار

والسماسرة والمرتزقة ، يعرف هذا البعض جيدا ومن ورائه كل القوى المضادة للثورة ان المستقبل للثوار ، وان الفدائيين قادمون الى الارض العربية . . . قادمون .

ولذلك فانهم يمسكون بأقلامهم ويشيرون على الدوام الى الكفاح المسلح طريقا وحيدا تسلكه الامة العربية الى استمرار البقاء والحياة والعطاء. وهم اذ يفعلون ذلك لا يؤدونه عن عقائدية جامدة ، وانما يمارسون دورهم كادلاء تاريخيين في هذه المرحلة من حياة الامة التي توشك فيها ان تسقط كل المقاييس والمفاهيم والقيم .

- ان وجود هذا الحشد من الكتاب والصحفيين في المؤتمر العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين اشارة الى ان الثورة تنفذ من الحصار الى الامام على الدوام ، وليس المهم في هذا الوجود حجمه وعدده فقط ، ولا كفاءاته وعطاءه فحسب ، وانما كونه يضم عددا كبيرا من العرب غير الفلسطينيين الملتزمين بالثورة ، فالهجمة المعادية شاملة للامة العربية كلها ، والرد عليها لا يمكن ان يكون الا بثقل ووزن الامة العربية كلها .

ان المستقبل في عيون الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الملتزمين والمتواجدين في مؤتمرهم العام ، تبدو تماما كالمستقبل في عيون المقاتلين المتواجدين في قواعدهم وتحت الارض . الا ان النصر سيكون في عيون المقاتلين من الكتاب والصحفيين ليس بالكلمة وحدها وانما بالرصاصة من خلفها ايضا ، وليس بالحبر الثوري فحسب وانما بالدم الثوري معه .

وتحية للمؤتمر .

فلسطين الثورة : العدد ١١
٦ ايلول ١٩٧٢

بين العنف الثوري والعنف الفاشي

لا يعنينا مناقشة الراي العام العالمي الرسمي او استجداؤه ، فلم تكن في الماضي ولن تكون قضية الامة العربية وثورتها ابدا رهينة بالـراي العام كما يحاول ان يطرحها «الطوباويون» ومنظرو الاستسلام فـي هذه المرحلة ، ومن هنا فاننا لم نفاجىء عندما راينا هذا الراي العام في الاحداث الاخيرة ، لا يذكر ولا يدين الا العنف الثوري ، ويغفل ويتجاهل ادانـة العنف الفاشي الصهيوني بالعمل على تبريره وتفسيره : ان هذه الحقيقة وحدها تعطـي الدليل على مدى الحاجة لتحرير العالم من هيمنة الامبريالية العالمية، وتحكم النازية وطغيان الراسمالية المتسلطة ويعطي الدليل ايضا على مدى الترابط بين قضية تحرير فلسطين وقضية التحرر العالمي .

وتتضح مثل هذه الحقيقة وتتبلور في عصر يتحكم فيه الاقـزام مـن ساسة امريكا وحكامها ، وفي عصر يعبث بمصيره الصغار مـن حكام بعض دول اوروبا ، بحيث يصبح الراي العام الرسمي فيها صورة طبق الاصـل ومرآة حقيقية لعقلية ومحدودية هؤلاء الحكام وتبعيتهم المهينة للصهيونيـة العالميـة .

ان كل ذلك لم يفاجىء حركة المقاومة ، كما انها لم تفاجىء بالعـدوان الاسرائيلي الوحشي على المدنيين من ابناء شعبنا العربي في سوريا ولبنان ، لان كل عدوان وقع في الماضي ، وكل عدوان سيقع في المستقبل هـو مـن طبيعة الحركة الصهيونية والامبريالية العالمية ، فبالرغم من كل محـاولات التبرير والتزوير الذي يفتعلها الغرب لتغطية الحقيقة وطرح القضية راسا على عقب برزت عملية «ميونيخ» التي ادانها الغرب وبهذه السوقية المفتعلة لترد على كل محاولات التبرير والتزوير ، عندما أعطى المقاتلـون فرصـة لانتصار الخيار الانساني في معركة من معارك الصراع مع العدو بتمديد فترة

الانذار مرتين لانفاذ الرهائن ، بينما اصرت الصهيونية ومعها الامبريالية الغربيه على ان يتغلب خيار القهر والفاشية على الخيار الانساني بل على احتوائه وابرازه كخيار فاشي ايضا . وهكذا فان العدوان الوحشي الاخير ليس سوى امتداد للممارسة الصهيونية في «ميونيخ» وللعقل العسكري الفاشي الذي كان هناك سواء كان «موشى دايان» في القاعدة العسكرية الالمانية لحلف الاطلسي أم لم يكن .

مرة اخرى نقول ، ان الثورة الفلسطينية لم تفاجىء بالهجمة البربرية الوحشية لانها عندما اخذت باستراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الامد ، كانت تدرك كل هذه المعاني . وتدرك مدى التضحيات وعدد الشهداء والثمن الكبير الذي ينبغي عليها وعلى جماهيرها الفلسطينية والعربية ان تدفعه نتيجة لطرح وتبني هذه الاستراتيجية ، فالثورة تعلم ان الاهم هو اعلاء ارادة الامة العربية في الصمود والمقاومة واستنفار قوى النضال والحياة فيها ودفعها للتصدي لاعدائها بكل ثقلها البشري والروحي والكفاحي .

والثورة تعلم ايضا ان العدو سرعان ما سيدرك ان اصرار المقاتلين على الذهاب الى الموت واتجاه الجماهير العربية الى تأييد وممارسة ذلك الدور ، سيضطر العدو الى بدء تراجعه فتشق حركة التحرر العربي ثغرة في جدار الكيان الصهيوني وتدفعها خطوة نحو تحرير فلسطين .

ولذلك فان الثورة في هذا الوقت تتحمل التضحيات ، وتتحملها معها كل الجماهير الملتحمة والمؤمنة بالتحرر والتقدم في سبيل ان تكون قادرة ليس على تحمل ردة الفعل العدواني فحسب ، وانما الى ان تصبح الثورة قادرة على كسر حلقات العنف المعادي بتمكنها من توجيه ضربات رادعة ردا على ردود الفعل المعادي ايضا .

والعمليات العسكرية الاخيرة للثورة والردود العسكرية الاسرائيلية عليها ، اثبتت ان سياسة «الدبلوماسية الهادئة» وسياسة «تجريع الامر الواقع» وسياسة «تهريب الحلول التصفوية» كلها سياسات فاشلة عقيمة في المنطقة . غير قادرة على الحياة والاستمرار ، والذين اغتنموا فرصة الحالة المتردية التي نشأت في المنطقة اخيرا فدعوا الى التسويات لم يصلوا مع الثورة الى منتصف الطريق في مفهوم الثورة للتحرير ، تحرير كامل تراب فلسطين .

والذين صوروا في الخارج عمليات الثورة الاخيرة وكأنها بدافع الارادة اليائسة للشعب العربي الفلسطيني لا يعرفون هذا الشعب ، فالثوار

الحقيقيون اصحاب القضية العادلة لا ييأسون والتفاؤل مادة حياتهم وخبزهم اليومي ، وهم يعرفون كيف يشقون طريقهم وسط الظلام ، وسيعرف المنظرون السياسيون والمستسلمون مع مرور الزمن ان كل عدوان على الامة العربية يزيد من يقظة طلائعها الثورية ، وهو شرار نفاذ الثورة الى المستقبل ، وسيضطرون الى اعطاء المزيد من التنازلات في مواجهة الثورة الفلسطينية وارادة القومية العربية .

ولم يكن بالصدفة ان تعترف السلطات الاسرائيلية بالوجود القوي للثورة الفلسطينية بعدما سبق لها الادعاء بأن الثورة انتهت بمفعول خطط التصفية، وهذا يفضح الحرب النفسية التي تشنها الصهيونية والامبريالية وقوى الثورة المضادة على الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية بأسرها ، وكانت اسرائيل بعد معركة الكرامة - وبعد معارك ايلول قد اشاعت مثل هذه المناخات فعادت الثورة لتؤكد لها ان روح معركة الكرامة ما زالت حية في قلب الثائر الذي فجر طائرة الهليكوبتر في «ميونيخ» وفجر نفسه داخلها ، وان هذه الروح تتجدد بالممارسة وتتغذى بروح التضحية والخيال .

وها هو «ابا ايبان» نفسه يعلن ان المبادرة الملحة قبل تحقيق التسوية السياسية في المنطقة هي تصفية حركة المقاومة ، ويبدو ان « فالدهايم » مقتنع بهذا المنطق . الا ان المعني بهذا ليس محاولة تصفية الثورة فحسب وانما العمل على ابادة الشعب الفلسطيني على أمل ان يتحقق «السلام الاسرائيلي» ومن هنا فانهم يتآمرون ويحشدون ويضربون وينتقمون ، وهم لا يدركون ان الانتقام النهائي دوما لاصحاب الحق وليس لمن سلبوا الحق ؛ ومع ذلك فان الشعب العربي الفلسطيني ارتفع فوق الانتقام وفهم دوره الحضاري في السلام العالمي فاجتمعت ارادته على ضرورة تحقيق الدولة الديمقراطية الفلسطينية لكافة المواطنين بدحر الصهيونية وتحقيق العودة .

لقد طرحت الاحداث الاخيرة قضية فلسطين بقوة من جديد ، كما اثبتت هذه الاحداث ان سوريا رغم المحن والضغوط والظروف ، تظل قلب العروبة النابض ، ولكن تصديها وحيدة بين الدول العربية للعدوان يكشف مدى الحاجة الى ضرورة، اعادة النظر في العلاقات العربية بعد ان جاءت الاحداث لتؤكد ان طلقات المقاتلين وتصميم الثوار كشف الزيف الاسرائيلي ودمر كل محاولات الاجانب وبعض العرب لتحقيق «السلام الاسرائيلي» الذي ترفضه الامة العربية أصلا ، والذي ستحطمه المقاومة بالعنف الثوري وحرب الشعب الطويلة النفس سبيلها الوحيد للنصر .

فلسطين الثورة : العدد ١٢

١٣ ايلول ١٩٧٢

بين أيلول وأيلول

بين ايلول عام ١٩٧٠ ، وايلول عام ١٩٧٢ تألبت في المنطقة العربية احداث واحداث لم يكن اولها ولا اخرها المحاولات المتتالية الضارية لتصفية حركة المقاومة الفلسطينية وشل قدرتها وفعاليتها للحيلولة دون استمرار مسيرتها في مواجهة الهجمة الصهيونية الامبريالية ، وبالتالي تحقيق اهدافها في التحرير الشامل والنصر الكامل .

ولقد تهيأ للبعض من داخل المنطقة وخارجها ان المقاومة لفظت او كادت تلفظ انفاسها عقب بعض النكسات التي كانت تصاب بها هنا وهناك ، الى الحد الذي جعل هذا البعض يعلن عن هذه النهاية ويبني مخططاته واستراتيجيته على ضوء هذا الوهم الذي زينته له قوى الثورة المضادة ، او تهيأ لديه نتيجة اسهامه المباشر العميل في محاولات التصفية جنبا الى جنب مع قوى الامبريالية والصهيونية العالمية .

والحقيقة التي لا ريب فيها ، والتي تتكشف في كل يوم سواء لقوى الثورة المضادة في المنطقة والعالم او للمتشككين وضعيفي الايمان من ابناء شعبنا الذين لا يستوعبون ولا يفهمون ابعاد الثورة الفلسطينية وقيمتها التاريخية ، هي ان الثورة الفلسطينية كانت وما زالت قبل ايلول عام ١٩٧٠ وعبر ايلول عام ١٩٧٢ الشيء الوحيد المتحرك الذي ينبض بأصالة وعمق في مجتمع فعلت فيه عوامل الهزيمة سلبا فكادت تضيع فيه معالم الطريق وتتجه به نحو الاستسلام والضياع .

وليس ادل على هذا القول ، اكثر من استمرار هذه المحاولات الضارية التي تتخذ كافة الاشكال والالوان للنيل من حركة المقاومة وتصفيتها، وليس ادل على صدق منطق الثورة الفلسطينية في تبني حرب الشعب الطويلة

النفس ، والكفاح الشعبي المسلح طريقا وسبيلا اوحد للتحرير اكثر من تصاعد محاولات البطش والتصفية والشراسة المتبعة لتدمير الثورة واجهاضها وملاحقتها في كل مكان .

من خلال كل هذا ، وبمناسبة هذه الذكرى لاحداث ومجازر ايلول عام ١٩٧٠ تؤكد حركة المقاومة من جديد ان مجموعة التجارب التي مرت بها اكسبتها المزيد من الصلابه والقدرة والعبره ، وزادت من قناعتها بضرورة التمسك باستراتيجيتها ومنطقها الثوري المتكامل الذي طرحته في المنطقة، فالمقاومة التي لا تقاتل تتعرض للفناء . والمقاومة التي لا تناضل تتعرض للزوال . وحركة المقاومة الفلسطينية ناضلت وقاتلت في كل الظروف وتحت أسوأ الاحتمالات وما زالت تفعل . وما المعارك الاخيرة التي خاضتها وتخوضها اليوم داخل الوطن المحتل وخارجه وفي مختلف الساحات الا دليل جديد على قدرتها في التحرك على الدوام الى الامام ، ودليل ساطع بانها وبالممارسة وحدها والقتال . والعنف ، قادرة على الخروج من المآزق المتتالية التي تخلفها لها قوى التآمر والغدر في بعض الاحيان ، والمعادلات الدولية والاوضاع العربية المتردية في أحيان اخرى . . .

لقد ثبت بعد مرور عامين على ايلول ان بذور الحياة والاستمرار تكمن في الثورة الفلسطينية . وان محاولات التصفية والترويض لم تفلح ولن تفلح ، وان النظام الاردني الرجعي الذي قامر بوجوده كله باصطدامه بحركة المقاومة لم يأخذ الثمن الذي وعده به اسياده الامريكيون والصهاينة ، وما زال يلهث على ابواب الاستسلام فلا يقدر حتى عليه .

كما ثبت وبعد عامين على مرور ايلول ان كافة التمنيات والمساومات التي نظرت لها العقول الذرائعية في المنطقة باءت بالخسران والفشل ، فلم ينجح احد في تحييد امريكا ، ولا قبلت اسرائيل ان تتراجع شبرا الى الوراء ، ضاربة عرض الحائط بكل مقررات هيئة الامم المتحدة ، وبالتراجعات المهينة والتنازلات التي قدمتها الرجعية العربية وقوى الاستسلام لها . بل زادت اسرائيل غطرسة وتبجحا وهي اليوم تشن اوسع حملات الردع والبطش ضد الامة العربية ، على اطفالها ونسائها وشيوخها ، غير عابئة بأية اعراف او قوانين ، أملة ان تفرض الاستسلام والتعايش بالقهر والقوة وهو منطق الصهيونية العالمية في الاحتلال والتوسع والسيادة منذ ان بدات تمارس نشاطها في العالم .

امام هذا لا بد من التكرار ان خيار الامة العربية الوحيد في وجه الهجمة الامبريالية الصهيونية لا يتحدد الا على ارض المعركة وبالقتال وحده ، فقد

سقطت كافة المحاولات ، وانهزمت كل التمنيات والحلول الوسط امام منطق الصهيونية العالمية التي تعرف بالضبط ماذا نريد في المنطقة ، والتي استطاعت ان تملي سلسلة من التراجعات على معظم الانظمة العربية باسم التسويات حينا . والحلول السلمية احيانا اخرى .

من هنا لا بد من الدعوة الحارة الى تخريب كل المعادلات الدولية المطروحة باسم السلم لتصفية القضية الفلسطينية واجهاض حركة التحرر العربي ، والثوره الفلسطينية التي تعي بالممارسة والتحليل خطورة هذه المعادلات التي ترجح لمصلحة اسرائيل لا يمكن ان تصمت عليها ، وستعمل على وضع كل ثقلها العسكري والسياسي لتحطيمها لاسيما ونوايا الولايات المتحدة العدوانية تتضح في كل يوم من خلال تحريكها للعدوان وفهمها لحق الشعب الفلسطيني الذي يتلخص عندها بحفنة من الدولارات تمنحها باسم التعويض والتوطين .

ان اي منطلق في معالجة قضيتنا المصيرية دون العودة الى جذور القضية بتكريس حق الامة العربية الكامل بترابها على أرض فلسطين هو الذي قاد البعض الى سلسلة التراجعات المهينة امام العدو الصهيوني ، ولذلك فقد آن الاوان لهذا البعض ان يحسم وان يحدد موقفه المبدئي من القضية . فقد دقت ساعة الفرز ولم يعد من الممكن السكوت على عمليات التمييع والسمسرة التي تتم على حساب الوجود العربي بأسره ، فالعدوان لم يرحم احدا ، ولم يفرق بين احد ، وسيستمر ويتصاعد امام التخاذل والتراجع .

وما العدوان الاخير على لبنان الا جزء من المخطط الاسرائيلي المكشوف والذي يستهدف الاستفراد بكل دولة عربية على حدة من خلال فهمه الكامل للاوضاع العربية المترددة غير القادرة على الحسم ومواجهة المعركة قلبا واحدا ويدا واحده . . ولقد جاءت المعركه اللبنانية العسكرية لصد العدوان تعطي مؤشرا جديدا يؤكد مفهوم الثورة بالتصدي المسلح للعدو ، لانها اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو وتجعله يفكر في التبديل من خططه وعنجهيته .

والشعب الفلسطيني الذي يعيش جزء منه على أرض لبنان بحكم النكبة والاخوة . كان اكثر الشعوب فرحا بهذه البادرة ، ولقد عبر عن مشاعره باكثر من مناسبة عندما اعلن بانه لا يجوز ان يترك لبنان وحده في المعركة . فلقد نشأ جو من الاطمئنان والثقة عبر السنوات الاخيرة بين لبنان وقيادة الشعب الفلسطيني المسؤولة التي قدرت وفهمت خصوصية هذه الساحة من ضمن الاوضاع المؤقتة القائمة ، ولذلك فانها حرصت في الماضي

وستحرص دائما على لبنان . لاسيما وعملية الابتزاز الصهيوني له مستمرة. فالشعب الفلسطيني يعرف حاجته في لبنان ، كما يعرف ان القوى المضادة ومن وراءها في المنطقة تساوم على وجوده في لبنان وغير لبنان . ومن هنا فلا مجال للاعتقاد بان الثورة يمكن ان تساوم على استراتيجيتها والا انتهت كثورة وفقدت فعاليتها في معركة التحرير الطويلة النفس .

والمطلوب اليوم من كل الذين ارسلوا برقيات التهنئة والتعزية للبنان حكومة وشعبا ، ومن الذين ارسلوا برقيات التعزية والتهنئة للشعب الفلسطيني بشهدائه وابطاله . ان يفكروا تفكيرا استراتيجيا جديدا بالنسبة لشمول المعركة . ما استجد وما سيستجد منها قريبا . . . وما حدث في لبنان هذا الاسبوع سيظل دليلا على العقم العربي الرسمي المسؤول في مواجهة معركة المصير . وحتى يزول هذا العقم فستتمنى كل يوم «أحداث لبنانية جديدة» وباسماء اخرى تبدأ في المحيط وتنتهي بالخليج .

فلسطين الثورة : العدد ١٢

٢٠ ايلول ١٩٧٢

نحن ولبنان

حتى نخرج جميعنا ـ الدولة والمقاومة ـ من الدوامة التي نعيشها اليوم في لبنان ، وحتى تنكشف كافة الامور على حقيقتها وتتضح ابعاد وملابسات واسباب ومسببات هذه الدوامة ، وحتى يزول هذا التوتر الموسمي الذي يطل علينا بين الحين والاخر ، لا بد من طرح الامور بصراحة وشجاعة وصدق . ولا بد من وضع المشكلة بحجمها الحقيقي دون تكبير او تصغير ، ودون تزوير او تبرير ، لكي لا تضيع الرؤيا ، ويخرج التحليل عن موضوعيته ، فيضيع جوهر القضية في مناقشة التفاصيل العابرة الجانبية لها ، مما يؤدي الى الفشل في حل المشكلة القائمة ومعالجتها ، وابقاء اجواء التوتر والبلبلة .

والمقاومة الفلسطينية مدعوة بحكم مسؤوليتها التاريخية ان توضح وان تفسر وان تحدد ابعاد المشكلة ، لانها طرف اساسي فيها ، فليس من شأن المقاومة ان تمارس دور النعامة التي تضع راسها في الرمال ، وانما دورها الاساسي ان تتصدى لمجابهة كل مشكلة تواجهها ، وان تنبري لحلها بكافة الوسائل التي تمليها عليها المصلحة القومية العليا ، ويمليه عليها منطقها الثوري الذي لا يتجزأ ، من ضمن الفهم الكامل للظروف الموضوعية التي تحيط بها والتي تحيط بغيرها من الاطراف المعنية .

في راينا ان هناك اربعة اطراف متداخلة متشابكة تفعل وتتفاعل ، وتؤثر في الساحة اللبنانية ، بالرغم من قناعتها المطلقة بان القضية الفلسطينية هي قضية داخلية لكل مجتمع عربي .

وفي لبنان سلكت المقاومة وتحاول ان تتجنب كل سلبياتها واخطائها حتى لا تجير هذه الاخطاء لحساب الخطايا ، فلا يمكن ان يغفرها الذين يتصيدون في الماء العكر من الملتزمين بالثورة المضادة .

وفي لبنان اغنت المقاومة الثقة بينها وبين المسؤولين،بالحوار والنقاش، وتراجعت في الماضي بتجميد عملياتها في الجنوب ، خطوة الى الوراء من اجل خطوة واحدة الى الامام ولمصلحة استراتيجيتها الطويلة النفس ومن اجل تعزيز الثقة مع النظام الذي تقدر ظروفه واوضاعه ...

فهل حلت عقدة التواجد الفلسطيني في لبنان ، وهل حسم هذا التوتر لصالح القضية الكبرى ؟ وهل زالت أسبابه ومسبباته ؟

نحن نقول لا : بالرغم من ايماننا بأن الطرفين المعنيين ناضلا في الماضي وسيناضلان من أجل خلق الوضع الافضل والامثل للتعايش على ارض لبنان الشقيق . ولقد جاءت الاحداث الاخيرة لتؤكد ان المشكلة المطروحة هي فوق النوايا واكبر من الثقة المتبادلة . ومن هنا يتوجب علينا ان نحلل العوامل التي تؤثر في هذه العلاقة ونفهمها، كما علينا ان نجابه هذه العوامل التي تتحكم الى ابعد الحدود بمصير الشعب الفلسطيني على الارض اللبنانية ، وبمصير الارض اللبنانية الغالية التي تضم فوق ثراها التواجد الفلسطيني النابض الفعال .

في راينا ان هناك اربعة أطراف متداخلة متشابكة تفعل وتتفاعل ، وتؤثر وتتاثر بمشكلة التواجد الفلسطيني المتوتر على الارض اللبنانية . وهذه الاطراف هي :

اولا ــ الطرف الاسرائيلي ، الذي يمارس عمليات الابتزاز المتوالية على لبنان ليدفعه الى التخلص من الشحنة الفلسطينية التي تفعل وتؤثر في المجتمع اللبناني لمصلحة بعث القضية الفلسطينية واحيائها ، ولصالح نفحة الفداء التي يتعاظم شررها في العالم بأسره . ان هدف اسرائيل بعمليات الابتزاز المتكررة على لبنان واضح ومكشوف يهدف فيما يهدف اليه احداث التصادم بين الشعبين الشقيقين ، وبالتالي تاليب الحكم على المقاومة لمحاولة تصفيتها كخطوة نحو تصفية القضية الفلسطينية هدف الامبريالية والصهيونية العالمية . وهنا لا بد من الاشارة الى الطمع الاسرائيلي لاحتلال الجنوب والذي تخطط اسرائيل وتفتعل مختلف الذرائع من اجل تحقيقه .

ثانيا ــ الطرف اللبناني ، وهو الطرف الذي فاجأته ضخامة الاحداث بعد عام ١٩٦٧ ، والذي اعتمد الى حد كبير على ظروفه ووضعه الخاص ، فجاءت الاحداث لتثبت ان اسرائيل ومن وراءها يضربون عرض الحائط بهذا الوضع الخاص من اجل تنفيذ مخططاتهم . ولقد حاول لبنان في بادىء الامر ان يلف على هذه الاحداث وان ينفس عمليات الابتزاز الاسرائيلي بشتى الوسائل . ولكنه اخيرا وجد نفسه وجها لوجه بالمدفع والرشاش امام العدو

الذي يفتعل العدوان لاسباب غير مباشرة او منظورة مما دفع بلبنان الى اعادة النظر بعلاقته مع حركة المقاومة التي جاهدت طيلة الاشهر الماضية في مساعدته لئلا تعطي الذريعة التي ثبت في العدوان الاخير انها ليست بحاجة الى ذرائع .

ثالثا ـ الطرف العربي ، الذي عبر عن نفسه بالدعوات والبرقيات والعواطف ، باستثناء سوريا التي ميزت نفسها في العدوان الاخير على لبنان . ولقد أسهم الوضع العربي المتردي «مرحليا» بتقوية المنطق المتردد في لبنان ، فطرح الحق اللبناني مقابل الحق الفلسطيني بل غلب عليه في كثير من الحالات ، ناهيك عن القوى الضاغطة هنا وهناك والتي دأبت في السنوات الاخيرة تعمل على فتح ملف التواجد الفلسطيني في لبنان والتحريض على تصفية المقاومة .

رابعا ـ الطرف الفلسطيني ، الممثل بالشعب الفلسطيني المتواجد على الارض اللبنانية والجماهير العربية الملتفة حوله ، والممثل ايضا بقيادته السياسية والعسكرية المنضوية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية المعبر الشرعي الوحيد عن الشعب الفلسطيني . ومن الضروري هنا ان نشير انه لا لبس ولا ابهام في موقف الطرف الفلسطيني الذي يتبنى استراتيجية التحرير هدفا اساسيا ونهائيا له ومن هنا فقد تهيأ لاسوأ الاحتمالات وردود الفعل المختلفة من ضمن الاوضاع الراهنة .

امام كل هذه العوامل المتشابكة بعضها بالبعض الآخر ، وامام كل هذه الاطراف التي نفعل بالمشكلة القائمة على الساحة البنانية وتتفاعل بها ، وامام هذا المأزق الدوامة الذي سيطالعنا بين الحين والحين . ما الذي يمكن قوله ؟ وما الذي يمكن فعله ؟

ان حركة المقاومة تفهم جيدا ان حجم القضية الفلسطينية اكبر بكثير من الساحة اللبنانية الصغيرة ، ولذلك فانها أعلنت ويهمها ان يعرف اللبنانيون بكافة فئاتهم انها ضد التصادم والتناحر الذي لا يستفيد منه سوى العدو المشترك والذي لا يعود الا بالشر على الجميع ولذلك فقد عملت في الماضي وستعمل على تفويت الفرصة امام العدو لتحول بينه وبين تحقيق اهدافه السياسية .

كما ان المقاومة تدرك ان اية تنازلات تقدمها ستكون على حساب الثورة ولمصلحة اسرائيل وضد مصلحة لبنان الوطنية،لانه ثبت بالتحليل والممارسة انه لا حدود للتنازلات التي تطلبها اسرائيل من لبنان وغير لبنان . ومن هنا نظهر بجلاء ووضوح ان المأزق الدوامة الذي يعيشه لبنان والمقاومة معا اكبر

منهما بالرغم من كل النوايا الصادقة المشتركة للخروج منه ، وانه لا بد من اعطاء المشكلة بعدها العربي الحقيقي ليس باستجدائه وانما بتعريته ودعوته لاخذ دوره الطبيعي في معركة المصير امام الخطر الذي يهدده مثلما يهدد لبنان واكثر ... واذا كانت المقاومة استطاعت ونستطيع ان نصمد وحدها لاسباب تتعلق بدور الثورة . فان لبنان كما يعرف الجميع غير قادر ان يتحمل عبء الصمود وحده . وليس معنى ذلك انه يقبل الاستسلام ، فهو يعرف ان قدره مرهون بهذه المعركة وليس يستطيع ان يهرب من قدره .

بقي ان نقول ان جماهير وقواعد المقاومة الفلسطينية سئمت المناشدة العربية بكل ظروفها وملابساتها . في هذه الايام العصيبة المصيرية التي يتعرض فيها كل الامة العربية للامتحان امام محاولات الاستسلام والتصفية، وفي هذه الايام التي تلخص فيها القضية الفلسطينية وتحول في أروقة هيئة الامم الى قضية ارهاب بغية تشويه حقيقة القضية ومشروعية المقاومة. نقول هذا ونحن نخشى ان تفلت الامور من ايدي المسؤولين ، لان هناك قطاعات في الشعب الفلسطيني ترى ان الفرق بين الارهاب والعنف الثوري هو خط رفيع جدا : كالفرق بين الجنون والعبقرية ، وبين الحب والكراهية .

فلسطين الثورة : العدد ١٤

٢٧ ايلول ١٩٧٢

البعد الانساني للثورة الفلسطينية

الثورة متمسكة
بالمنظمة وميثاقها

ادلى الاخ كمال ناصر المتحدث الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالتصريح التالي :

درست اللجنة التنفيذية في اجتماعها بتاريخ ١-١٠-١٩٧٢ الموقف السياسي الراهن للقضية الفلسطينية ونضال شعبها المسلح وقررت ضرورة الاستمرار في ابراز الشخصية الفلسطينية ودعم الكيان الفلسطيني الممثل بمنظمة التحرير الفلسطينية وتنمية مؤسساتها والتمسك بميثاقها الوطني وزيادة فعاليتها في النضال ضد الامبريالية والصهيونية العالمية .

***

بعيدا عن شتى الانفعالات وردود الفعل الذاتية ، وبعيدا عن كل ما يمكن ان تتركه هذه الانفعالات من آثار وجراح في النفس. نتوقف اليوم لنتفحص ونتفهم ابعاد الهجمة المسعورة على الشعب الفلسطيني ، وعلى قضيته الكبرى ، وتحويلها بكل بساطة ورعونة في اكبر المحافل الدولية من قضية عدالة وحق الى قضية اجرام وارهاب .

وليس دفاعا عن أنفسنا ، ولا شعورا منا بالضعف امام ضراوة المحاولة

التي تستهدف تشويه التاريخ وطعن الحقيقة في وضح النهار، وانما اسهاما منا كثورة مسؤولة واعية كل الوعي على دورنا الحضاري والانساني ، مؤمنين كل الايمان بعدالة قضيتنا وصدق منطلقاتها ، نرى انه من حقنا بل من واجبنا ان نتصدى لهذه «الهجمة الجديدة» المدروسة، بفضحها وتعريتها وكشف اسبابها ومسبباتها . منبهين ومحذرين الى خطورة ما قد ينشأ وما قد يتمخض عنها في بعض قطاعات الشعب الفلسطيني الذي يزداد احساسه بالعزلة ، والذي بدا يشعر اكثر من اي وقت مضى ان منافذ العدالة قد سدت في وجهه ، والتي تتكرس اليوم وتبلغ قمتها في اروقة هيئة الامم المتحدة التي يتزعم بعض اكبر دولها ، وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية ، تلخيص وتقليص القضية الفلسطينية وتصويرها ، وطرحها على انها «قضية ارهاب» باسم مناقشة موضوع الارهاب في العالم .

فلماذا كل هذه الضجة ؟ ولماذا كل هذا الافتعال ؟ ولماذا كل هذه التهم .. ولماذا كل هذا الحديث عما يسمونه بالارهاب ؟

وهل صحيح ان حادثة «ميونيخ» وبعض الحوادث هنا وهناك تستأهل كل هذه الضجة وتهدد السلام العالمي ؟ بغض النظر عن المسؤول عن هذه الحوادث والدوافع الكامنة وراءها ؟. نقول ونتساءل : لماذا عندما وجهت (التهمة) في هذه الحوادث لبعض الفلسطينيين قامت الدنيا ولم تقعد ، مع العلم بأن حوادث مماثلة تملأ كل اطراف العالم وارجائه ، ولماذا يحملون الشعب الفلسطيني مسؤولية كل شيء .. والكل يعرف بأن اسرائيل والمانيا هما اللتان تسببتا في نتائج ما جرى في ميونيخ ...

في راينا وقناعتنا ان هذا «البعض من الفلسطينيين» ليس هو المستهدف من وراء هذه المحاولة ، وليست قضايا وحوادث الارهاب التي ايقظت فجأة الضمير العالمي فتحرك عفويا ومن خلال اميركا والصهيونية العالمية ، هو الذي يشغل بال اميركا والصهيونية . فالمحاولة اعمق واكبر واخطر من ذلك بكثير ، فهي تستهدف بالضرورة القضية الفلسطينية بأسرها ، والتي طرحت في السنوات الاخيرة الماضية ومنذ قيام الثورة الفلسطينية طرحا جديدا ، فتبلورت ابعادها ومعالمها ، وتفجرت طاقاتها ، باعتماد ثوارها الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة النفس سبيلا واحدا للتحرير ، مما وضع القضية الفلسطينية التي ترتبط وجودا وعدما بحركة التحرر العربي والعالمي في اطارها الحقيقي وجها لوجه مع الامبريالية والصهيونية العالمية في معركة مضنية طويلة لا بد ان تنتصر فيها الثورة بالرغم من اختلال موازين القوى في الامدين ، القصير والوسيط .

امام هذه الحقيقة وحدها قامت الامبريالية الاميركية التي ترتبط عضويا بالصهيونية العالمية ــ في الماضي ــ كما تقوم اليوم وبشكل أبشع بمحاولات عديدة لتصفية القضية الفلسطينية من جذورها لمصلحتها ومصلحة بقاء اسرائيل . وما المحاولة الاخيرة في هيئة الامم المتحدة وفي هذه المرحلة بالذات التي يبدو فيها ان بعض الاوضاع العربية قد رتبت وسويت وبالتالي هيئت للاستسلام، الا من ضمن هذه المحاولات التي ترمي الى تحويل الانظار عن جوهر القضية وحقيقتها ، الى السلبيات التي قد تنشأ عنها للاسراع بتصفيتها قبل ان تتوفر كافة شروط النصر للثورة .

ان الثورة الفلسطينية التي تعي اليوم اكثر من اي وقت مضى طبيعة المؤامرة الامبريالية الصهيونية عليها ، تؤكد عبر نضالها ضد كل اشكال التآمر ، انها بحكم تواجدها العالمي والعربي ، وبحكم شبكة علاقاتها الشعبية والرسمية في الداخل والخارج ومن خلال الممارسة ايضا ، تعرف تفاصيل المخطط النظري والعملي الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية من جذورها ، كما تعرف من ضمن فهمها لطبيعة المؤسسة العالمية وموازين القوى التي ترجح مرحليا لصالح اسرائيل وقوى الثورة المضادة في المنطقة ، كافة اطراف هذا المخطط وابطاله على الساحتين الدولية والعربية ، ومع ذلك فهي ايضا تعرف طريقها بالضبط . ولا يمكن ان تحيد قيد شعرة عن استراتيجيتها في الكفاح المسلح الطويل النفس مع الجماهير العربية في كل مكان والا انتفى السبب التاريخي لوجودها وعدالة قضيتها .

ومن خلال كل هذا ، فان تهمة الارهاب الموجهة وبشكل مباشر للشعب الفلسطيني لتحويل قضيته من قضية ثورة انسانية ضد الارهاب الى قضية ارهاب ، سيزيد من وضوح رؤيته وتمثله للمجتمع الدولي الممثل في هيئة الامم المتحدة .

ان الثورة الفلسطينية لا تخشى من هذه التهمة التي ترفضها ، وهي قادرة ان تفهم اكثر من غيرها عملية التمرد ضد كل شيء في بعض أوساط الشعب الفلسطيني المشرد الضائع الذي يرى كل النوافذ مقفلة في وجهه على انها تفهم ان الثورة اكبر من ذلك بكثير .

فالثورة التي تدعو لاقامة المجتمع الديموقراطي الفلسطيني في دولة فلسطينية بعيدة عن العنصرية والعرقية والطائفية يتمتع كل مواطنيها بالحرية والمساواة في ظل سيادة القانون لا يمكن ان تتهم بالارهاب .

والثورة التي تفصل بين الصهيونية كحركة عنصرية توسعية ارهابية

وبين اليهودية واليهود ، لا يمكن ان تتهم بالارهاب .

والثورة التي تناضل وترى ان من واجباتها واعبائها ، تخليص الانسان اليهودي وتحريره من العنصرية الصهيونية التي وضعته في المأزق الذي يعيش فيه ، لا يمكن ان تتهم بالارهاب ..

بقي ان نقول انه من سخرية الاقدار ان يتهم الشعب العربي الفلسطيني بالارهاب ، وهو اول واكبر ضحايا الارهاب في العصر الحديث ، واكثر سخرية من ذلك ان تتهمه الصهيونية بذلك وهم اساتذة الارهاب واساطينه في العالم . واشد سخرية من كل هذا وذاك ان تتبنى اميركا «التحريض والتنظير» للامر وهي الدولة التي قامت ايضا على الارهاب والاجرام منذ تأسيسها ، وما زالت تمارسهما بجنون ومرض في كل انحاء الارض .

اما الامم المتحدة فنحب ان نذكرها ونذكر السيد «فالدهايم» ان اسرائيل قد ادينت في هيئته الموقرة اكثر من سبعين مرة بالارهاب والوحشية والاجرام ، ولن نذكرهم «بدير ياسين» و «قلقيليا» ، و «بحر البقر» وغيرها وغيرها ، فالذكرى والتذكير لن ينفعا ..

واخيرا .. ان الثورة الفلسطينية المسؤولة والممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني من ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية لن ينفعها اي موقف مضاد او تهم ملفقة ، او استفزاز مدروس لتبرير الارهاب الاصيل الممثل باميركا والصهيونية العالمية ، ان تحيد عن فهمها الحقيقي لمعنى الثورة ، وذلك بمتابعة المسيرة المسلحة لدحر الصهيونية المغتصبة للحق الفلسطيني الكامل في الارض الفلسطينية . وطرح افكارها الانسانية الثورية للاسهام في تصحيح المسيرة الانسانية في كل مكان وحتى انتصارها .

فلسطين الثورة : العدد ١٥
٤ تشرين اول ١٩٧٢

عندما نحرر شبراً من أرضنا ..

من خلال حالة الجمود والتردي والتازم التي تعيشها المنطقة العربية في السنوات الاخيرة ، تبرز بين الحين والحين في أوساط ومحافل غربية معينة اهتمامات وتساؤلات مريبة ، تمس جوهر القضية الفلسطينية . ولعل اخطر ما يميز هذه التساؤلات والاهتمامات انها تبدو على السطح وكأنها من ضمن محاولات ايجابية للخروج بالمنطقة العربية من مأزقها الذي تعاني منه ؛ ولكنها في حقيقتها لا تتعدى ان تكون جزءا من سلسلة المحاولات التي تهدف الى زيادة تعقيد القضية الفلسطينية ، وتصعيد المأزق العربي، من اجل تصفية القضية نفسها ، وبالتالي تعريض الوجود العربي بأسره للخطر الصهيوني المستمر .

فاهتمام الغرب الواضح والملح معا وفي هذه الاونة بالذات لمعرفة من يمثل الشعب الفلسطيني ، والتساؤلات الجديدة التي يطرحها حول حقوق الشعب الفلسطيني ، والبالونات والصيغ المختلفة التي اطلقت عبر السنوات الماضية والتي ما تزال تطلق هنا وهناك تعطي اكثر من مؤشر الى ان ثمة اشياء جديدة قد نضجت في فصول المسرحية ، تهدف فيما تهدف اليه زيادة البلبلة وخلق الانقسام في صفوف الشعب الفلسطيني ، كما تهدف الى تعميق مختلف التناقضات في الساحة العربية المزقة الاطراف ، والتي لم تحسم الامور فيها بعد لصالح القتال والثورة ضد الصهيونية والامبريالية العالمية .

فما هي حقوق هذا الشعب الفلسطيني في مفهوم الثورة ؟ ومن الذي يمثل هذا الشعب ؟ .

سؤالان كبيران ، يبدو ان الثورة مدعوة للرد عليهما بين الحين والحين،

لازالة كل الاوهام عند الذين يعتقدون ان الثورة يمكن ان تتراجع وتحيد عن اهدافها الحقيقية ، ولانهاء كل المبررات في عقول بعض الذين «يفلسفون وينظرون» لهذا التراجع والاستسلام من خلال الواقع المتردي المرحلي للامة العربية، ولتوجيه بعض الاقلام والتيارات الوطنية المشرعة للتشكيك والتندر بنوايا الثورة والثوار ، دون ادراك حقيقي لمعاناة الثورة المحاصرة والمستهدفة في كل مكان .

ومن هنا فان ما يستجد اليوم من احاديث عن حقوق شعب فلسطين . انما هو في الحقيقة حديث عن «الانتقاص» من حقوق شعب فلسطين يرمي الى تفريغ مفهوم شعب فلسطين لحقه ، من محتواه ومعناه . فالثورة تعتبر حقوق شعب فلسطين هو حق الامة العربية في كامل ترابها ، وحق الفلسطينيين ان يعيشوا احرارا عليه ، كما تؤكد ان ابرز هذه الحقوق في ظل الاحتلال هو مقاومة الاحتلال .

والشعب العربي الفلسطيني لا يريد تعريفا أشمل عن تعريف حقوق اي شعب في التاريخ ، وهو حقه في تقرير مصيره بارادته الحرة .

اذن : من يمثل هذا الشعب الذي يناضل من اجل استرجاع حقوقه؟ ومن يتحدث باسمه ؟

ان احد قوانين التاريخ التي طالما اكدنا عليها سابقا هو : انه عندما يقع الاحتلال تسقط الشرعية الرسمية داخل الوطن وتصبح الشرعية للمقاومة وحدها ، والمقاومة الفلسطينية كانت وستبقى حتى النصر لا تقاس بحجمها الحالي ولا بظروفها الحالية ، وانما تقاس بحجمها المستقبلي وقدرتها على الاستمرار .

ومن هنا فان الذين يقاومون الاحتلال ويرفضونه هم وحدهم المعبرون عن الشرعية والوطنية ، وهذا يعني انه ليس من حق طبقة او فئة او مجموعة لا ترفع السلاح في وجه الاحتلال ان تدعي تمثيل شعب فلسطين . والقرار هو قرار الاجيال الفلسطينية السابقة التي قارعت الصهيونية منذ العشرينات ، وهو ايضا قرار الاجيال الصاعدة التي لا يمكن ولا يجوز ان يكون ميدانها الابادة او الضياع او العار . وكل واجب القيادات الحالية ان لم يكن حسم القضية لمصلحة الامة العربية ، فهو تسليم الامانة للاجيال الفلسطينية والعربية المقبلة .

ان الثورة الفلسطينية اذ تكرر اليوم مفاهيمها وتثبتها من جديد ، لا تعيش بمعزل عن العالم ، ولا عن الملابسات الدولية والعربية التي تفعل وتتفاعل في المنطقة ، كما انه لا يغيب عن تصورها وفهمها محصلة المعادلات

العالمية التي ترجح مرحليا لصالح اسرائيل والصهيونية العالمية . كما ان الثورة تعرف كيف تنظر وكيف تفهم هذه القوى حقوق شعب فلسطين ، ومن هنا كان وسيظل واجبها الاساسي ومن خلال نضالها المسلح والسياسي معا : تحطيم هذه المعادلات وترجيحها لمصلحة حركة التحرر العربي وبالتالي لقضية الثورة الفلسطينية .

وفي الوقت الذي تدرك فيه الثورة الفلسطينية كل هذا ، تؤكد انها على معرفة تامة بالساحة الفلسطينية وما انسحب عليها في العشرين سنة الماضية ، وما ينسحب عليها اليوم بفعل الاحتلال الجديد والوضع العام المتردي الذي يحيط بها . والثورة قادرة ان تفهم الظروف والمشاكل التي يعاني منها ويمر بها الشعب في ظل الاحتلال ، ولكنها تعرف ايضا انه لا خيار للشعب الفلسطيني وتحت أسوأ الظروف ولا خيار للثورة الا بالصمود والصبر الثوري الحقيقي ، والمقاومة والردع والقتال الطويل النفس .

اذ ما الذي تطمع فيه اسرائيل ، من الاراضي المحتلة سوى ان تجعل منها جسر عبور الصهيونية الى الامة العربية من المحيط الى الخليج ؟؟ وهل يمكن لاسرائيل ان تتخلى عن شبر واحد من الارض دون ان تأخذ من الامة العربية مثل هذا الثمن الباهظ الكبير ؟؟

ان الثورة الفلسطينية ومعها جماهيرها الفلسطينية والعربية الملتزمة بمنطقها واستراتيجيتها تناضل اليوم اكثر من أي وقت مضى لتوحيد كل الموقف الفلسطيني وشده وتنبيهه الى الاخطار المحدقة به ، وهي مع كامل فهمها لواقع شعبنا في الاسر ، وفهمها للاوضاع النفسية الخاصة لبعض قطاعاته المبعثرة هنا وهناك تؤكد ان الشعب الفلسطيني لا يمكن ان يضع بعض المطالب المحددة الآنية في موقع واحد مع منطق الثورة في القتال ضد العدو الصهيوني ، ومن هنا وفي هذه المرحلة بالذات تحرص الثورة على الاتصال الواسع والدائم بأوسع قطاعات الشعب في الداخل والخارج ، لشده وتوحيد موقفه من قضيته الكبرى للاستمرار معه في معركته من اجل التحرير .

ان الثورة الفلسطينية تستمع بكل جدية لاي اقتراح لا يتعارض مع فهمها لطبيعة القضية وفهمها لطبيعة مسيرتها . وهي تأمل ان لا يترك استماعها الجدي اي انطباع خاطيء في الاوساط والمحافل الغربية ، توحي بأن هناك اكثر من جهة تتكلم باسم الشعب الفلسطيني ، او ان هناك اي تباين او خلاف في الراي ضمن قيادة الثورة حول القضية الاساسية وهي قضية استمرار الثورة من اجل التحرير .

فالثورة تدرك ان الصهيونية لن تتراجع ، ولا تستطيع ان تتراجع ، والثورة تدرك أن كل بالونات الفرب ، والصيغ التي تطبخ في مطابخ الامبريالية والصهيونية ليست على حساب حقوق الشعب الفلسطيني فحسب ، وانما على حساب وجوده ، والثورة تعرف ان شبرا واحدا محررا بالقتال ترفع عليه علمها وتعلن من فوقه سلطتها ، وتمنح من خلاله شعبها هويته الفلسطينية العربية ، يعادل كل «الارض الموعودة» التي يحاولون ارجاعها من ضمن صيغ التصفية .

بقي ان نقول : ان الثورة لا يمكن ان تستدرج لان تكون شريكة للاستسلام من ضمن مائدة «سلام مزعومة» ، والشعب الفلسطيني لا يجوز ان يكون طرفا في تسوية استسلامية . والشعب الفلسطيني منذ ان ثار ضد الصهيونية العالمية لمنعها من اقامة دولتها كان يعرف ماذا يريد . بالرغم من كل المحن وكل التآمر الذي وقع عليه . وهو اليوم اكثر اصرارا على التشبث بحقه الكامل وهو يرى كل امته العربية معرضة للضياع .

واخيرا ، ان الثوار يدركون من ضمن فهمهم لحركة التاريخ ان الذي يستطيع ان يحرر شبرا من ارض فلسطين ، ويهزم اسرائيل مرة واحدة ، يستطيع ان يحررها من النهر الى البحر ، لاقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية على ارض فلسطين .

فلسطين الثورة : العدد ١٦

١١ تشرين اول ١٩٧٢

الثورة التي تذبح بصمت

من الواضح والجلي ان المطلوب من المنطقة العربية بأسرها ان تركع وان تستسلم امام الهجمة الامبريالية الصهيونية ... ومن شعوب هذه المنطقة ان تكون «مستعبدة» بالمعنى المادي للكلمة ، فتصمت على الاحتلال وترضى به ، وتصمت على استغلال ثرواتها ونهبها . كما انه من الواضح والجلي ايضا ان مجرد الاحتجاج والرفض والتمرد على هذه «المطالب» يعرض الفرد العربي في المنطقة ، او الجماعة التي تعبر وتناضل ضد « ما هو مطلوب » الى عملية قمع وذبح وتشريد ، لم يعرف تاريخ الشعوب اكثر ايلاما منها للنفس ، ولا أحقد منها اسلوبا .

والذي يتابع تحرك المعسكر الاستعماري الامبريالي في المنطقة ، في الماضي والحاضر معا ، يلاحظ ان هذا التحرك لم يهدأ ابدا في تنظيم المخططات التي تهدف الى سحق المنطقة واخضاعها ، وضرب البوادر والحركات التي يشتم منها رائحة التمرد عليها ، ولقد اتخذ هذا التحرك اشكالا والوانا عديدة كانت وما زالت تتحدد بقدرة الحركة الوطنية وقوى الرفض والتمرد على التصاعد والنمو من خلال الصراع .

ففي عام ١٩٤٨ ذبح الشعب الفلسطيني وشرد عن وطنه ، وسجلت القوى الاستعمارية نصرا على الامة العربية بأسرها ، وكانت ردة الفعل طبيعية وسليمة على اسباب الهزيمة ، فدفع الثمن من كان عليه ان يدفع الثمن ، وانطلقت في المنطقة قوى هائلة تناضل التحرك الاستعماري ومخططاته من اجل تصحيح الاوضاع وتعبئة الفراغ في المنطقة . وبالرغم من تقييمنا للاخطاء التي وقعت فيها تلك القوى التي انطلقت لمقاومة التحرك الاستعماري الواسع ، تظل الحقيقة ساطعة كالشمس وهي ان هذه القوى

الهبت المنطقة ، وحركت الوجدان القومي وعبأته ضد قوى التخلف والاستعمار الطامحة الى ترويض المنطقة ؛ مما دفع بكل قوى الاستعمار والامبريالية في المنطقة ومعهما الحليفة الجديدة اسرائيل ان تضع كل ثقلها ووزنها العسكري والسياسي والمادي في محاربة المد التقدمي الصاعد .

ومن هنا فلم يكن الهجوم على مصر بالصدفة عام ١٩٥٦ . ولم تكن ضربة الحركة الوطنية بالصدفة عام ١٩٥٧ في الاردن ، ولم تكن اخيرا الهجمة الامبريالية الصهيونية الكاسحة بالصدفة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ . ولم يكن ايضا بالصدفة مطاردة كل الوطنيين والاحرار من الخليج الى المحيط عبر العشرين سنة الماضية .

وليس الحديث هنا عن المحاولات المتكررة لقهر وذبح وتطويق وتصفية المقاومة الفلسطينية بأدوات القمع الرجعية في المنطقة الا من باب اعطاء الدليل الحي النابض على استمرار تحرك المعسكر الامبريالي ضد الامة العربية ، ممثلا في طلائعها الفلسطينية التي فجرت أكثر من طاقة في الوطن العربي ، وفتحت الطريق امام أكثر من تيار وطني داخل المجتمع العربي نفسه للتنفس والتصدي للرجعية وقوى التآمر على الشعوب العربية ووجودها المهدد بالزوال بفعل ضراوة الهجمة الصهيونية الامبريالية .

كما ليس الحديث عن ثورة «ظفار» التي يتحرك اليوم المعسكر الامبريالي لتصفيتها واجهاضها باستعمال كل الاساليب والوسائل ، واستقطاب كافة انواع المرتزقة من هنا وهناك ؛ سوى دليل حي قائم على شراسة الهجمة وخوفها من تفجر الثورة في الخليج العربي التي ستقف بالضرورة في وجه مصالح الامبرياليين وتقمع «الشعوبية» التي بدأت تستفحل في الخليج مدعومة «بايران» ومن هم وراء ايران .

ولقد بلغت هذه الهجمة ذروتها في اعقاب تصريحات المستر روجرز الذي أدلى بها خلال زيارته للخليج عندما قال ان المنطقة مهيأة للسلام «الاستسلامي» اكثر من أي وقت مضى ... اذ ان القوى الامبريالية ومعها قوى المعسكر المضاد وادواته اصبحت تعتقد ان الحركة الثورية في منطقة الشرق العربي قد استنفدت اغراضها ، وانها تستطيع اليوم ان تلتفت الى تصفية مواقع ثورية اخرى في الوطن العربي .

وليس غريبا ان نراها اليوم تلتفت اكثر من اي وقت مضى الى الجزيرة العربية والخليج العربي .

فلماذا اليمن الديموقراطي ولماذا الخليج؟؟ ولماذا تتم هذه المذبحة بصمت بالرغم من كل الضجيج المفتعل الذي يرافقها في الخارج هنا وهناك ؟؟

ولماذا كل هذه المحاولات لاسقاط النظام في جمهورية اليمن الديموقراطية ؟ هذه الجمهورية الصغيرة الفتية التي لم يمض على استقلالها وتحريرها سوى بضعة سنوات . بل لماذا كل هذا الحشد وكل هذه الدبابات والمصفحات ؟ ولماذا كل هذا الاستقطاب والتجميع لكل الاطراف المعادية لها ؟ ولماذا كل هذا التحريك للسلاطين والمشايخ والمرتزقة ؟؟؟

وهل صحيح ان كل ذلك يجري باسم وحدة اليمن ؟

وهل صحيح ان النظام الحاكم هناك رفع شعارات هدامة تهدد المنطقة باسرها بالالحاد والزندقة ؟!

وهل صحيح ان هذه الجمهورية الفتية الديموقراطية تمارس اعمالا من شأنها ان تعود على القومية العربية وعلى الامة العربية بالشر والوبال ؟

اسئلة كبيرة وهامة لا بد من الرد عليها فورا . حتى لا نتهم على الاقل بالغباء ، ولا نتهم بالتردد ، ولا نتهم بالتمييع ، ولا نتهم بالمشاركة بالصمت مع الذين يشهدون المذبحة تجري في ظل الصمت ، بالرغم من الضجيج الذي يعلو ، وبالرغم من الوساطات التي نحن ادرى الناس بجدواها ، وفعاليتها وقدرتها على تغيير القوانين التي تتحكم بالامبريالية وتحركها في طريق ذبح الشعوب وامتصاص ثرواتها من اجل مصلحتها .

اننا نرى في المذبحة التي تهيأ للنظام في جمهورية اليمن الديموقراطية صورة اخرى بشعة ، ومحاولة اخرى مدروسة لتصفية الثورة في الجزيرة العربية ، وبالتالي فهي الوجه الآخر للمحاولة التي تستهدف الثورة الفلسطينية نفسها .

فنحن نعرف ان النظام في اليمن الجنوبي هو نظام ديموقراطي يمارس كل اشكال نضاله من خلال فهمه لمرحلة التحرير الوطني ، ولقد جاء هذا على لسان زعماء النظام في اكثر من مناسبة . ونحن نعلم ايضا ان هذا النظام يرفد حركة التحرر القومية في الخليج ويدعمها ضمن طاقاته وامكاناته للوقوف في وجه «تهويد الخليج» على الامد الطويل كما اننا ندرك حجم مصالح المعسكر الامبريالي في الجزيرة العربية . ومن هنا فان هذا المعسكر يريد ان يقضي على اي شعلة من شأنها ان تفجر طاقات الجزيرة وابنائها لاستثمار هذه المصالح من اجل قضية الامة العربية الكبرى .

اننا في الثورة الفلسطينية نرى في الطاقات الثورية في الخليج العربي، واليمن الديموقراطية طليعة الطاقات المبدعة الخلاقة التي ستسهم في خلق المناخ التغييري الذي تتطلع اليه الشعوب العربية في معركتها مع الصهيونية والامبريالية ، كما نؤمن ان كل المحاولات التي تجري ضد اليمن الجنوبية

وثورة ظفار تهدف فيما تهدف اليه منع هبوب رياح التغيير على المنطقة .

بقي ان نقول ونحن نعرف كيف تجري الاحداث في منطقة الشرق الاوسط تماما ، ونحن نرى كل هذه المحاولات المكشوفة لدفع الامة للاستسلام وردود الفعل الرسمية المهينة عليها في اكثر من موقع .

بقي ان نقول : اننا ندرك ان الصراع في هذه المنطقة سيظل مستعر الاوار بين القوى الوطنية والتقدمية من جهة ، وبين المعسكر الامبريالي وادواته في المنطقة حتى يحسم الصراع لمصلحة التقدم والثورة . واننا نرى وبوضوح كامل انه من خلال فهمنا لحركة التاريخ ان النصر لا بد ان يكون في صالح التقدم ضد اعداء الامة . ومن هنا فلو استسلمت ـ جدلا ـ كل المنطقة وركع الكثيرون امام ضغوط الاستسلام والانحراف؛ فالطلائع الثورية لن تستسلم ، ولا يحق لها ذلك ، ولا يجوز لها أن تنهزم من الداخل وواجبها ان تقف في وجه الحرب النفسية التي يشنها عملاء الاستسلام . فدربها درب الثورة ولا محيد عنه .

وظل اخيرا ما نسأله ، او نتساءل عنه وفيه الا وهو : ان كان قدر الثوار العرب ان يذبحوا بأيدي أهلهم وذويهم في كل مكان يتمردون فيه من اجل الدفاع عن كرامة وشرف وعروبة بلادهم وفي مرحلة تتضح فيها معالم الخطر على الوجود العربي بأسره . ظل ان نتساءل كما تساءل احد قادة المقاومة ذات يوم «ان كانت هذه الظاهرة تستحق الدراسة والتحليل» .

فلسطين الثورة : العدد ١٧
١٨ تشرين اول ١٩٧٢

معنى القيادة

قد يبدو للبعض ان الحديث عن معنى القيادة في الساحة الفلسطينية وفي هذه المرحلة بالذات محفوف بالاخطار والمنزلقات . لاسيما والمتربصين بالنضال الفلسطيني لا يتركون ثغرة الا ويحاولون النفاذ منها للقضاء على المكاسب التي حققها ويحققها هذا النضال ضد الهجمة الامبريالية والصهيونية العالمية .

ولكن «فلسطين الثورة» التي تتجاوز مثل هذه المحاذير في كثير من الاحيان من مواقع الالتزام الحقيقي بمفهوم الثورة لا تستطيع ان تتجاهل مثل هذا الموضوع الحيوي والهام على ضوء ما يجري هنا وهناك من تسيب وتشرذم وانفلاش ، مما ينعكس على المسيرة الظافرة الصاعدة دوما الى الامام بشكل سلبي .

وليست هي المرة الاولى ولن تكون المرة الاخيرة التي نقف فيها بشجاعة لنعيد النظر في طبيعة مسيرتنا الثورية الجادة في مختلف نواحيها التنظيمية والسياسية ، مؤكدين اننا من منطلق الثقة بالنفس والحرص على استمرار المسيرة سنسهم بالتصحيح في محاولتنا التي تهدف الى تعرية بعض مظاهر ودوافع التشرذم للحد من اسبابها ومسبباتها ، و«فلسطين الثورة» كانت وستبقى ابدا ـ وهي من اجهزة الثورة الفكرية ـ المنبر الذي يتصدى بمسؤولية ووعي ثوري لمعالجة شؤون ومشاكل الثورة .

والحديث عن معنى «القيادة» ومواصفاتها الحقيقية المطلقة ليس بالسهولة التي يتصورها البعض ... ففي عصر يكاد يفتقر فيه العالم بأسره الى أسرار تلك المواصفات ، والى قادة من ذلك الطراز التاريخي النادر الذي يسهم في صنع أحداث التاريخ وتغيير مجرياته ربما لا يجوز لنا ومن ضمن

واقع مجتمعنا المتخلف ان نطمع بالكشف عن اسرار كل هذه المواصفات وتحقيقها بشكلها الامثل لفرز القيادات التاريخية النادرة التي اسهمت في صنع التاريخ بقفزة نوعية سريعة .

ولكن كل ذلك لا يعفينا من المحاولة الجادة الصادقة . فان كان يصح للعالم المتقدم ان يتجاوز مثل هذا الخلل او النقص مستعيضا عنه بالمؤسسات والمنظمات التي تسد العجز والفراغ القائم فيه ... فان من واجبنا نحن ان ندعم ونطور قياداتنا العليا والدنيا ، بدفعها لتصحيح المؤسسات القائمة لملء وسد الفراغ الموجود .

وقبل التصدي لهذا الموضوع الكبير والهام ، لا بد من تثبيت بعض الحقائق والمعاني الايجابية لحركة المقاومة ، ليس اولها ولا آخرها قدرتها على الصمود والحركة والقتال وحدها وسط كل محاولات التطويق والتصفية التي تعرضت وما زالت تتعرض لها ، ووسط كل التراجعات المهينة وبوادر الاستسلام التي تلوح وتظهر هنا وهناك في المنطقة العربية .

ولعل في ثبوت هذه الحقائق والمعاني ما يحفزنا اكثر من اي وقت للتشديد على ضرورة التصحيح ، وفي هذه المرحلة الخطيرة بالذات . فان جاز لغيرنا في الساحات الاخرى الصمت على الاخطاء والقدرة على تحملها والتعايش معها طويلا ، فان الساحة الفلسطينية ، وفي ظل المأزق الكبير الذي تعيشه الامة العربية اليوم ، وبحكم دورها الطليعي وبعد ان فجرت الثورة وطرحت شعار الكفاح المسلح وحرب تحرير الشعب سبيلا واحدا للتحرير ، لا يمكن ولا تستطيع ان تتحمل غياب المؤسسات السليمة والقيادات القادرة الموهوبة .

فأين تكمن مظاهر التشرذم هذه ! وهل هناك عقم يحول دون فرز القيادات والكوادر الثورية لحل مشاكل الثورة والتصدي لها ؟

لا بد هنا ، ونحن في معرض الاجابة على هذه التساؤلات المباشرة ان نبقي في اذهاننا اننا نعالج بعض مشاكل الثورة في ظل مرحلة التحرر الوطني ومن ضمن البرنامج السياسي الذي ناقشته واقرته وعممته قيادة الثورة على جماهيرها . فما هي هذه المظاهر واين تكمن اذا ؟

في رأينا ، ومن خلال الممارسة ان جزءا كبيرا من مظاهر هذا التشرذم يكمن في «الجانب التنظيمي» الذي لم يعط من العناية حقه ، والذي ما زال يعكس نفسه على مختلف اجهزة ومؤسسات حركة المقاومة ، التي ستبقى تعاني من هذا التشرذم وهذا التفتت والتبعثر ما لم يستكمل الجانب التنظيمي فيها . والمطلوب اذا ان ترسم الخطوط بوضع الاسس العملية لادق

تفاصيل العلاقات ضمن المؤسسات القائمة لحمايتها من التسيب والانفلاش والدوران في حلقة مفرغة ينعدم فيها الضبط والربط والالتزام . والذي يبدو انه لا يكفي ان نسحب هذا المطلب على قيادة الثورة المنضوية في منظمة التحرير الفلسطينية ، بل اصبح من الضروري ان يسحب هذا المطلب نفسه على كل فصيل في الثورة على حدة ، لانه قد تبين في التحليل النهائي ان من اسباب تعثر الوحدة الوطنية التي ناضلت المقاومة من اجلها طويلا ولم تستكمل بعد ، غياب المؤسسات السليمة وعدم نضج العلاقات الديمقراطية الامر الذي يحول دون التوجه الحقيقي في كل تنظيم باتجاه الوحدة الوطنية ، مما أثر في التجربة الوحدوية وجعلها انعكاسا وصورة مشوهة للاوضاع الذاتية لفصائل حركة المقاومة .

ولا يعنينا في هذا المجال تفسير الاسباب المجتمعية والتاريخية لهذا التشرذم والبعثرة في حركة المقاومة الفلسطينية حتى لا نقع في مطب التبرير والتنظير لها وبالتالي للهرب منها ، وحسبنا ان نعترف بشجاعة بأن هذا التشرذم والتبعثر قائم وان علينا مجابهته والتصدي له وازالة اسبابه ومسبباته ، والا فستظل الثورة اكبر من قياداتها بالرغم من الجهد المضني والعمل الدؤوب الذي يمارس في الساحة ويبذل في مختلف المجالات .

هذه امور لا يصح الصمت والسكوت عليها بعد اليوم ، ولا يجوز ان نخشى من مواجهتها ، وليس كثيرا على الذين حملوا السلاح وتصدوا للهجمة الصهيونية الامبريالية فانتزعوا شرعية القيادة والتمثيل بالنضال والقتال . ان يقفوا وقفة شجاعة لاعادة النظر بجوهر وأسس التنظيم حتى تتم عملية التماسك والتلاحم في أطراف ألقيادة الواحدة فتعكس نفسها على مجمل أوضاع حركة المقاومة التي تجتاز اليوم مرحلة من اصعب واخطر مراحل حياتها ونموها .

ان سلسلة من الاجراءات التنظيمية الحكيمة والحاسمة والمدروسة ضمن الفصائل المختلفة في الساحة الفلسطينية لا بد ان تعطي ثمارها في مجال الوحدة الوطنية لتعمق من ارتباط الثوار بالثورة ، وتربط القاعدة بالقيادة ، وتشد القيادة الى القاعدة .

وهكذا ، فليس في رأينا ان هناك عقما في الثورة الفلسطينية ... ولا يجوز ان يكون ذلك في ثورة اهدافها واضحة المعالم في معركة المصير والتحرير ، وستستطيع الثورة ان تفرز كوادر وقيادات ثورية تتصدى لمواجهة كل الاحتمالات اذا ما اخذت اليوم وقبل فوات الاوان زمام المبادرة في وضع النهج التنظيمي الذي يحكم علاقاتها ويصحح من مجمل أوضاعها.

ان ممارسة العمل التنظيمي اجدى وانفع على الامدين القصير والطويل من تضخيم الشعارات وعدم القدرة على ممارستها ، لانه من اكثر ما يبعث على القلق ان يصبح عدم الالتزام والضبط والربط بديلا للافكار الصحيحة والتقدم والفهم الصحيح لحق الشعب الفلسطيني والهدف الاصيل للتحرير. ولقد حدث مثل هذا عبر التاريخ في كثير من الحالات واستطاعت القوى المضادة للثورة ان تستغل ذلك ، وستستطيع الرجعية المتربصة بالثورة من خلال أدواتها المشبوهة والمعروفة هنا وهناك ان تنفذ من خلال البعثرة بل من الواضح انها عملت وتعمل على تغذية هذه الادوات في الداخل والخارج معا .

والمطلوب اليوم من قيادة الثورة ان تستجيب لنداء التصحيح والقضاء على البعثرة في الساحة وليس في تحقيق ذلك اجتراح لاي معجزة ، فان من بعض قوانين الثورة الاساسية ان تضرب وتتحرك لتنتصر ، عبر النضال على العقلية العشائرية المتخلفة في صفوفها والتي بدأت تنكشف حقيقة انتماءاتها يوما بعد يوم .

ان استمرار الثورة على طريق النضال مرتبط الى حد كبير بتحقيق اجراءات التصحيح المطلوبة .. كما ان استجابة قيادة الثورة لهذا المطلب هي التي ستجيب على التساؤل المطرح لمفهوم «معنى القيادة» .

فلسطين الثورة : العدد ١٨
٢٥ تشرين اول ١٩٧٢

ماذا نتعلم من ثورة فيتنام ؟

في هذه الايام التي يدق فيها النصر ابواب فيتنام ، مقتحما في طريقه كل العقبات والسدود التي تحول دون الانتصار ألكامل للشعوب المؤمنة بحقها في الحياة .

في هذه الايام التي تتراجع فيها قوى الامبريالية الفاشمة امام وطأة الصمود والقتال والعنف الثوري المسلح من على هضبات وسهول ووديان وبطاح «الفيتنام» الباسلة . لا بد لكل الثوار ؛ ولكل الشعوب المناضلة ضد الطغيان والعدوان والاحتلال ، وضد الامبريالية والصهيونية العالمية من وقفة حميمية صادقة تتسم بالعقلانية والتجرد ؛ لتفهم اسباب هذا الانتصار الحتمي ، فتستفيد وتتعلم منه ؛ وتعتبر من تجربته المثمرة الكبيرة التي عاشها وراقبها العالم طيلة الخمسة عشر سنة الماضية، باعزاز واحترام وتقدير .

فكيف تم هذا الانتصار ؟ وكيف ناضلت قيادة الثورة وجماهيرها من اجل ترسيخه وتحقيقه ؟

كان من الواضح والجلي ومنذ اطلق الثوار رصاصتهم الاولى ضد القوى الرجعية العميلة المدعمة من الولايات المتحدة ، ان الثوار كانوا يعرفون طريقهم في معركة التحدي الضخمة التي كانوا يخوضونها ضد القوى الرهيبة التي تجابههم وتقف امامهم . كما انهم كانوا يعرفون ان لا مجال للمساومة على مبدأ تخليص وتحرير الشعب الفيتنامي والارض الفيتنامية من القوى الرهيبة التي تتحكم فيه وفيها كما انهم كانوا يعرفون ايضا ان طريقهم صعبة وشائكة ووعرة ، وانه لا بد من اتباع النفَس الطويل في حربهم المصيرية .

من هذه القناعات ، ومن خلال فهمهم العلمي الموضوعي لطبيعة القوى التي يقاتلونها ، تحرك ثوار الفيتنام اول ما تحركوا ، ومن ثم اخـــذوا يخضعون تكتيكهم ومناوراتهم المتعددة ، لاستراتيجيتهم المتكاملة وفهمهم لمعنى حرب الشعب الطويل النفس والكفاح المسلح والعنف الثوري علـــى ارض المعركة .

وكان لا بد من تنظيم ثوري متماسك لهذه الاستراتيجية ، وكان لا بد من برنامج سياسي واضح المعالم تنبثق عنه الخطط المرحلية لتأدية مهامها على ضوء التطورات الداخلية ، وظروف المعركة ، والملابسات والصراعات الخارجية التي تتحكم الى حد كبير في ظروف واوضاع الثورات المعاصرة.. وهكذا كان . فقد عزز التنظيم الثوري . ووضع البرنامج السياسي الذي يدعو لجمع اوسع قطاعات الشعب وتنظيماتها المقاتلة .

وانطلقت الثورة الفيتنامية معتمدة اولا على قواها الذاتية المستوفية لمعظم الشروط النظرية والعملية للمعركة ، ولكنهـــا كانت تدرك في نفس الوقت ان ذلك لن يكفي وحده امام طبيعة الهجمة وشراستها ، وكان لا بد ان تبحث لنفسها عن امتدادات داخلية وخارجية ، تبلورت فيما بعد ، وبعد ان صمدت الثورة ، في المنظومة الاشتراكية العالمية وفي مقدمتها الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي ، وحركة التحرر العالمي وكل الشعوب المناضلة والقوى التقدمية التي التفت من حولها تؤازرها وتقف الى جانبها على كل المستويات . وكان لوضوح الرؤيا ، والصمود ، وارادة القتال ، والقدرة على الحسم ، والقدرة على الفرز ، والتمييز النوعي بين معسكر الصديـــق ومعسكر الخصم ، الاثر العميق والاساسي الذي اسهم في استمرار الثورة ومسيرتها الظافرة ، مما اوصلها لان تدق ابواب النصر في هذه الايام .

فماذا يجب ان نتعلم نحن من هذه التجربة العظيمة ؟ وكيف نؤمـــن استمرار مسيرتنا الثورية التي لا بديل عنها للوصول الى شاطىء النصر ؟؟

هنا ، لا بد من الاشارة لمجمل العمل العربي في المنطقة الذي ما زالت الامور فيه غائمة ومائعة مما ادى الى قيام حالة مرهقة خطيرة تتأرجح بين اللاحرب واللاسلم يستحيل فيها ومعها الحسم اذا لم تتصد الجماهـــير العربية والقيادات الثورية في المنطقة لتحريكها ودفعها الى الامام ، وذلك في رأينا لا يتم الا بالضغط على معظم الدول العربية لتحديد معسكر الصديق ومعسكر العدو واقامة التحالفات الصحيحة من اجل انهاء حالة الجمــود هذه ، ولقد ثبت بالممارسة والتجربة ان القفز عن هذه الحقيقة الموضوعية لم يعط اية نتائج عملية على مختلف المستويات ، وكان لا بد من العودة الــى

تكريس مبدا تحديد المعسكرات وانهاء عملية الفرز بينها .

وفي نفس الوقت الذي يجب ان نحدد فيه الصديق من العدو فـان الانظمة العربية مطالبة ان تعود فتتمسك بمبدا التحرير ، وتنهي عمليـة التنازلات ، والجري وراء الحلول والمشاريع التي ثبت فشلها ، وثبت انها سلسلة اخاديع واكاذيب تستهدف تمييع القضية وتصفيتها من جذورها .

وعلى هذه الانظمة ان تفهم ان الانتصار الشعبي في فيتنام هو رد واضح على كل الدعوات التي تحاول ان تهزم شعبنا من الداخل ، بتثبيط عزيمته واضعاف همته وارادته في القتال ؛ لان اسلحة الشعب المنيعة والمعبأ مهما كانت صغيرة قادرة على التصدي لكل اشكال التكنولوجيا المعاصرة . وستظل ارادة القتال ورفض الاستسلام والتنازلات من اهم عناصر المعركة التـي نخوضها .

شيء آخر لا بد من الاشارة اليه ونحن نتحدث على الصعيد العربي : وهو : انه متى نضجت الجيوش العربية المعركة واستوعبت ابعادهـا ومنطلقاتها النظرية والعملية ، فانه لا بد من تكتل القوى الشعبية العصابية مع الجيوش النظامية الثورية ، وليست جبهة تحرير جنوب فيتنام والقوى المسلحة لجيش التحرير الفيتنامي الشمالي الا الدور الساطع الحي على ذلك.

هذا على الصعيد العربي .

اما على الصعيد الفلسطيني ، فان حركة المقاومة قد جعلت من الثورة الفيتنامية مثلا اعلى لها تحتذي به ، وفي الوقت الذي بدا فيه ان كل تحرك ورفض وقتال ثوري قد خمد اواره في العالم ، كان يبدو واضحا للعيان ان الثورة الفيتنامية والثورة الفلسطينية هما شعلتان تضيئان الكون في هوة الظلام الدامس الذي يعتريه . ولكن ذلك لا يكفي. لا يكفي ان تكون الفيتنام مثلا وقدوة نتطلع اليها من بعيد . . ولا يكفي ان يكون القتال هو وحده العامل المشترك . ان امورا كثيرة اخرى هي التـي مثل القتال فـي فيتنام تـدق ابواب النصر .

ومن هنا فان حركة المقاومة الفلسطينية مدعوة الى مزيد من العبـرة والاستفادة من التجربة الفيتنامية العظيمة ، فلا بد من تعميق مفهـوم التنظيم الثوري المتماسك في حركة المقاومة بتجسيد الوحدة الوطنيـة بشكلها النهائي بحيث يكون الالتزام فيها نظريا وعلميا للثورة ممثلة في اطار منظمة التحرير الفلسطينية كما انه لا بد من تعميق وتكثيف البرنامـج التنظيمي وفرز الخطط المنهجية المرحلية لحركـة المقاومة من ضمـن استراتيجيتها في التحرير الشامل . كما انه لا بد من اعتماد موقف المبادرة

والهجوم الدائم من كافة العراقيل التي توضع في وجه الثورة .

واخيرا ، ومن خلال الاخطار المحدقة بأمتنا والمحاولات الاثيمة التي نجري لابتلاعها شبرا شبرا وقطرا قطرا ، ومن خلال كل ما جرى في الماضي وكل ما يجري اليوم من تهويد لاراضينا وبلادنا فلسطين والبلاد العربية ، يثبت بالتحليل والممارسة انه لا خيار لهذه الامة بين ان تفنى وبين ان تحيا غير خيار واحد وهو ان يموت ويستشهد بعض ملايينها من اجل ان تحيا ملايينها الثانية .

ولماذا تكون الفيتنام اعز على الفيتناميين من الارض العربية على العرب؟ ولماذا تخشى الامة ان تدمر وتقصف وتهدم بعض اجزائها من اجل عودة اطرافها واجزائها ؟! ولماذا ولماذا .. اسئلة لا بد ان يرد عليها الثوار مهما تأخر الزمن ، والوطن العربي مليء بالثوار الذين يعرفون ويدركون ان النصر يجب ان يدق ابواب فلسطين والاراضي العربية المحتلة مثلما يدق اليوم أبواب فيتنام .

فلسطين الثورة : العدد ١٩
١ تشرين الثاني ١٩٧٢

بلفور والبلفوريون !

الحديث عن «وعد بلفور» المشؤوم وملابساته وظروفه بعد خمس وخمسين عاما من صدوره يكاد يكون مملا ومذلا ومهينا الانسان العربي المعاصر الذي يعيش اليوم مأساة تجسيد هذا الوعد ، وتكريس آثاره ونتائجه على الوطن العربي بأسره .

ولذلك ، فلن يتناول حديثنا ـ بهذه المناسبة ـ الظروف والملابسات التي قدم وأعطي فيها هذا الوعد ، ولا الابطال والاشخاص الذين لعبوا مختلف الادوار في مسرحيته المكشوفة ، ففي خزائن وزارتي الدفاع والخارجية البريطانيتين ما يكفي من الوثائق الرسمية التي تدين المؤامرة البشعة ضد الشعبين الفلسطيني والعربي .

ولعله أجدى لنا وفي هذه الايام بالذات ، الذي تطالعنا فيه مناسبة وعد بلفور ، وبعد ان تحددت واتضحت عملية فرز «البلفوريين» في معسكر الاجانب والغرباء ، ان نتحدث عن «البلفوريين» في المعسكر العربي، لاسيما وانه قد تثبت بالتحليل والممارسة انهم اكثر خطرا على القضية القومية من الواعدين والموعودين انفسهم . «فالبلفوريون الاجانب» مكشوفون ومعروفون لدينا ، والاستعمار بشقيه القديم والجديد اصبح ايضا معروفا لدينا ، والامبريالية والصهيونية العالمية والارتباط العضوي بينهما بات علما واضحا في قاموسنا السياسي ، ويشكل العمود الفقري لكل تحاليلنا الفكرية والسياسية ، وهؤلاء كلهم مجتمعون هم اخصام الامة العربية وأعداؤها المكشوفون المحددون ، ونحن نصارعهم ومن واجبنا ان نستمر حتى تتم هزيمتهم ويكتب لنا النصر عليهم ... ولكن ؟

ولكن من هم «البلفوريون» فى المعسكر العربي ؟ واين يعيشون وكيف

يتحركون ؟ واين يكمن خطرهم ؟

في راينا ان «البلفوريين في المعسكر العربي» هم كل الاشخاص والفئات والمؤسسات والجمعيات التي اسهمت بالوعي وما زالت تسهم في خلق اسرائيل الكبرى وتدعيمها وتنشيطها وتوسيع نفوذها ، ولقد حان الوقت الذي يتوجب فيه علينا فضح وتعرية كل البؤر والمستنقعات التي يعشعش فيها كل هؤلاء الذين يرتكبون الجريمة الكبرى ، جريمة خيانة الاوطان وبيعها في سوق النخاسة . اذ انه ليس من الدقة ولا الصدق ان نستمر في التركيز على الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية بالرغم من دورهما الاساسي ؛ دون ان نلتفت الى داخل بيتنا ومجتمعنا، نفهمه ونعالجه ونطهره . بل انه اصبح من المضحك والمبكي معا ان تتكرر اسطوانة الردح وتحميل المسؤوليات في الهزائم والنكسات للعالم باجمعه ، وغض النظر عن العفن والسرطان الذي ينمو وتزداد أورامه في احشاء الامة نفسها مهما كانت الاسباب والمسببات . ولعله مما يلفت النظر ان هؤلاء الناس وعلى امتداد الخمسين سنة الماضية هم والى حد كبير ينتمون الى نفس الطبقات والمؤسسات والجمعيات ، والى نفس الطبيعة والعقلية المريضه التي لا تحرم الاثم والانحراف وانما تحلله ، وتفلسفه وتنظر له ، وتضع له القواعد والمرتكزات من خلال مصلحتها الذاتية التي ترتبط بالضرورة بمصلحة العدو فتصبح واياه شيئا واحدا ، تختلف الاسماء والهويات والجنسيات واللغة فيما بينها ، ولكنها تلتقي معها في كل شيء آخر . ولعله اغرب من كل هذا وذاك ان يكون من بين هؤلاء الناس على صعيد الحكم والمسؤولية وعلى صعيد التواجد العام من عاش وما زال يعيش هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ امتنا ، وهو يتمتع بحقوق المواطن العربي الكاملة ، ويلعب نفس الادوار الرهيبة الخطيرة في ترسيخ الكيان الصهيوني واستمراره .

وقد يقول البعض ان وجود مثل هؤلاء الناس امر طبيعي داخل كل مجتمع وعند كل شعب من الشعوب . ونحن لا ننفي ذلك في المطلق ، وقد يكون في ذلك بعض الحقيقة ، ولكن التاريخ قد علمنا ايضا انه ليس هناك شعب من الشعوب ترك جواسيسه وعملاءه ومزوري تاريخه ، والمتآمرين على قضاياه المصيرية ، يمرحون ويسرحون ، ويرتكبون الاثم ويحكمون ، ويتصدرون المسؤولية في مواقع الادارة والتوجيه وجميع مرافق الحياة العامة التي تقرر مصير الاجيال المقبلة ، مثلما نفعل نحن في الوطن العربي دون محاسبة او عقاب ، حيث يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وحيث يستوي اصحاب الرسالات والقيم والقضايا الوطنية ، بالتجار

والمزاودين ، والدجالين والذين يعيشون باستغلال الاوطان ، وشرف الاوطان، وكرامة الاوطان .

والذي يبدو ان مثل هذه الامور تزداد ظهورا الى السطح بفعل النكسات والهزائم ، حيث يزداد التسيب والتميع وحيث يكثر الاجتهاد وتتعدد وجهات النظر باسم الموضوعية والعقل المجرد ، وانه لمن المؤلم ومما يجرح الوجدان ان ترتكب الخيانات ويزداد نشاط الجواسيس باسم الموضوعية ، وباسم العقل المجرد وعلى حساب قضايا الشعوب .

ولا يعنينا هنا وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الامة ان نبين اسباب هذه الظواهر ، وحسبنا ان نعلن عن وجودها فنفضحها ونعريها للملايين العربية التي تدفع الثمن في كل يوم من دمها وشرفها وكرامتها . والذي لا شك فيه ان بعض هؤلاء الناس متواجدون في قمة المسؤولية في الوطن العربي ، وبعضهم متواجد في اعلى المراكز السياسية والعسكرية ، والبعض الاخر في المؤسسات الصحفية وعلى راس الهيئات والمحافل التي تتعاطى الشؤون الدولية . . . مثل هؤلاء الناس يزداد عددهم في السنوات الاخيرة، وهم يشكلون ظاهرة شعوبية خطيرة : تنظر وتعمل للاستسلام وتركيز دعائم الصهيونية في المنطقة العربية .

ان اية نظرة رومانطيقية الى مثل هؤلاء الناس لن تنفع ولن تحول دون نشاطهم . وان مثل هذه النوعيات وبعد ان سهل عليها فض بكارة هذا المجتمع الهش ، اصبحت لا تستحي ، واصبحت ترتكب الاثم علانية ودونما خجل ، ودونما حساب . ولقد ارتكبت حركة التحرر الوطني في الماضي اكبر اخطائها عندما ساومت على استراتيجية القضية العربية بكل سذاجة وتركت للمتآمرين فرصة البقاء والعبث بقضايا المصير ، فلم تتم عملية الفرز ولم تحسم الامور فيها الا على السطح ، وكان من نتائج ذلك وعبر النكسات التي حدثت ، ان تتألب اليوم قوى الثورة المضادة الممثلة بكل هؤلاء الناس الذين يعيشون في الدهاليز وفي بؤر التآمر ، يخططون لضرب القضية وتصفيتها لمصلحة اسرائيل والصهيونية العالمية .

المطلوب اليوم اذن ، تجدد شباب الثورة للانقضاض على قوى الثورة المضادة التي تعمل كفريق واحد لاجهاض القضية وتركيز الكيان الصهيوني الاسرائيلي .

والمطلوب اليوم ان تتصدى الثورة «للبلفوريين في المعسكر العربي» فتفرزهم اولا ، وتفضحهم وتعريهم وتحاسبهم ، كما ان المطلوب منها ان تفعل ذلك بعيدة عن الانتقام وردود الفعل ، بل عليها ان توضح وتعلن

اسباب حربها الحقيقية على الجواسيس ودعاة التفرقة والهزيمة والاستسلام في المعسكر العربي .

لقد طالت يد العدالة «جان فالجان» وحكمته وسجنته وقال العالـــم فيما بعد انها ظلمته ، وفي راينا ان قضـية امتنا المصيرية لا تتحمل حتى امثال «جان فالجان» الصغير . والمطلوب من يد العدالة الممثلة في الثورة الحقيقية ان تصل الى راس كل لويس سادس عشر في المعسكــر البلفوري الفلسطيني والعربي .

فلسطين الثورة : العدد ٢٠
٨ تشرين الثاني ١٩٧٢

من أجل المعركة لا على حسابها

لقد اصبح من الواضح والمعلوم بعد ان كثر التحمين حول طبيعة وماهية الاجتماعات العربية التي تنعقد اليوم في الكويت . ان لجنة «المشرة» التي انبثقت عن مجلس وزراء الخارجية العرب في دورته الاخيرة في القاهرة ، بجتمع لمناقشة واقرار ما وصف بانه صيغة عربية شاملة تسهم فيها كل دولة عربية، عسكريا وماليا وسياسيا ، في المعركة ضد العدوان الصهيوني المنكرر ، وضد الاحتلال الاسرائيلي .

ويهم الثورة الفلسطينية قبل ان تبدي رايها في طبيعة هذه الاجتماعات وماهيتها وبما قد يتمخض عنها من ابحاث ونتائج تتعلق بمصير القضيـــة ومستقبل الامة العربية سلبا او ايجابا ، ان تشير الى الظروف والاوضاع العربية والدولية ، التي تتم في ظلها هذه الاجتماعات التي يتطلع اليها العالم بنظرتين مختلفتين ، احداهما تحمل من معاني الجديـــة الشيء الكثير ، والثانية تحمل من معاني الاستخفاف الشيء الكثير ايضا ..!

فما هي الظروف والاوضاع التي تتم في ظلها هذه الاجتماعات ؟! وكيف سيجابه المجتمعون مثل هذه الظروف والاوضاع وبالتالي كيف يخرجون منها ؟ فعلى الصعيد العربي العام ، فلا يختلف اثنان من اصحاب الهمـوم القومية الحقيقية ، بأن الوضع العربي في قمة التردي والسوء . فبالاضافة الى الاختلاف في النظرة حول كثير من الامور التي تتعلق بجوهر القضية عند البعض ، تبرز الخلافات والحساسيات بشكل فاضح ومخزي عنـــد البعض الاخر ، مما عرقل واساء وعطّل حتى يومنا هذا وحدة الموقـــف العربي وحتى وحدة الموقف الدفاعي تجاه الخصم والعدو المشترك الذي لا يترك اليوم — وبعد اعلان وقف اطلاق النار — وسيلة الا ويستبيح فيهـا

الارض والاجواء العربية . فيعمل فيها تقتيلا وتخريبا دون ان يردعه احد باستثناء عمليات الردع التي وقعت على الجبهة السورية في المرحلة الاخيرة.
ولقد تردى الوضع العربي وهان وفقد هيبته نتيجة لهذه البعثره وعـــدم المقدرة على الحسم والتراجع امام الهجمة الصهيونيه الامبريالية . الى الحد الذي اصبح فيه عدد كبير من مندوبي الدول في هيئة الامم المتحدة يتركون القاعة عندما يتصدى احد المندوبين العرب الحديث عن القضيه الفلسطينية والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، وذلك ايضا لان المتحدث العربي قد فقد مصداقيته في العالم حيث لا تجدي الخطب ولا يجدي التهديد والوعيد . وانما تجدي الممارسة وحدها والتصدي والعمل .
اما على الصعيد الدولي . فتنعقد الاجتماعات العربية فـــي الكويت ، والعالم خارج المنطقه اكثر من اي وقت مضى رغبة ونضجا للتقارب وحل عقدة مشاكله بالرغم من الحرب الباردة الناشبة بين المعسكرات المختلفة ، والمعارك العسكرية الجانبية والمحتدمة هنا وهناك . ولم تكن اعادة انتخاب نيكسون محض صدفة عابرة ، فلقد كان «اللعبة الدولية» اثر واضح في تكرار عودته بالاضافة للعبة الانتخابية «ويبدو ان ذلك اصبح مشروعا من ضمن» «لعبة الامم» في زمن اصبح فيه مصير العالم مهددا بالخطر وبالرعب . ولعل في فهم مثل هذه الحقيقة ما يدفع بالعرب الى ضرورة اعادة تقييم قوتهم الذاتية واعتبارها المنطلق والمحور الاساسي في صراعهم مع خصومهم وذلك يكون بحشد وتسخير وتعبئة قوتهم الذاتية الكبيرة من اجل المعركة . نقول ذلك لاننا ندرك ان قضيتنا بالذات لن تحل على مائدة مفاوضات ، فقضيتنا من حيث طبيعتها وجذورها أعمق واعقد من ذلك بكثير ولو كان على طرفي راي المائدة نيكسون نفسه ، وبريجنيف ذاته. وهذا لا يعني مطلقا ان نساوي بين هذه المعسكرات ، فلقد كنا اول من دعا للفرز بينها وتحديد معسكر الاعداء الممثل بالامبريالية والصهيونية العالمية وبالتخصيص بالولايـــات المتحدة ، ومعسكر الاصدقاء الممثل بالمنظومة الاشتراكية والشعوب المناضلة من أجل الحرية والسلام الحقيقي . ولكن ذلك لا يجب ان ينسينا ما هو مطلوب منا على صعيد الحشد والتعبئة وإرادة القتال ومن فهـم موضوعي لطبيعة الوضع الدولي ؛ وما هو ايضا مطلوب من المعسكر الصديق الحليف امام الهجمة البربرية الضارية التي تشنها الولايات المتحدة والصهيونيـة العالميه على الامة العربية بأسرها على تاريخها وحضارتها ووجودها وحتى على اصدقائها ومصالح هؤلاء الاصدقاء .
في ظل هذه الاوضاع والظروف العربية والدولية تجتمع لجنة العشرة

لمناقشة واقرار مشروع خطة للعمل العربي الموحد ارفعها كتوصية للمسؤولين العرب لمباركتها والعمل على تنفيذها . ونحن لا يمكننا الا ان نتمنى النجاح لكل جهد يهدف الى توحيد الموقف العربي في معركتنا مع اعداء الامة العربية لاسيما وقد عرف من ضمن ما عرف ان هناك محاولات جادة لتنقية الاجواء العربية ، نريدها ان لا تكون على حساب التحرير، وانما دافعة لاستراتيجية الثوره العربية الى الامام .

فما معنى تنقية الاجواء العربية ؟ وكيف سيعالج المجتمعون تنقية هذه الاجواء ؟ ومن هي الاطراف المعنية بالذات بهذه الاجواء ؟ وكيف ستوضع الخطة وكيف ستطبق على الاطراف المختلفة المعنية ؟

هذه اسئلة هامة في رأينا تمس طبيعة هذه الاجتماعات وماهيتها ، وحركة المقاومة الفلسطينية الممثله في منظمة التحرير الفلسطينية والمشاركه في هذه الاجتماعات مدعوة قبل غيرها للرد عليها بكل صراحة ووضوح بحيث لا يحدث اي لبس او ابهام حول موقف المقاومة من القضايا الاساسية كونها طليعة نضالية في معركة المصير والتحرير وكونها الممثل الشرعي الحقيقي الشعب الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره .

وأول ما يجب ان نقوله في هذا الصدد هو ان جزءا كبيرا من الخلاف المرئي بين بعض الدول العربية يعود الى موقف بعض هذه الدول من حركة المقاومة الفلسطينية. ولسنا نذيع سرا اذا ما قلنا ان العلاقة ساءت بين مصر وسوريا من طرف وبين الاردن من طرف آخر بسبب موقف الاردن الدموي من حركة المقاومة ، كما اننا لا نقول جديدا ان ليبيا قطعت معونتها المادية وعلاقاتها السياسية مع الاردن للسبب ذاته ومثل هذا ينسحب على دولة الكويت التي تسعى اليوم لتنقية الاجواء العربية .

ان المطلوب اذن . اذا كانت النوايا صادقة ، والشعور بالخطر المشترك قائما ان يعاد النظر في موضوع الخلافات العربية اعادة جذرية تزيل كل الاسباب والمسببات التي عطلت الجهد العربي الموحد في المعركة .

والمطلوب ايضا طالما وقد كانت حركة المقاومة من بعض هذه الاسباب والمسببات وطالما ان القضية كما يقولون قضية وضع خطة واستعداد لمعركة، ان تزول كافة المحاذير والعراقيل من وجه المقاومة وان تعطي فرصتها الكاملة للحركة الكاملة حيث تحرم عليها مثل هذه الحركة . ومع فهمنا الكامل لطبيعة النظام الاردني لكونه العقبة الاساسية امام التحرير .

والمطلوب كذلك من كل المجتمعين وقد اجتمعوا من اجل المعركة ، ان

يحددوا بشكل حاسم وواضح وصريح موقفهم من حركة المقاومة عمليا وماديا ومعنويـــا .

في رأينا ان الموقف من المقاومة سيحدد جدية الاجتماعات ويعطيهـــا مضمونها ومحتواها الحقيقيين . والمقاومة من باب التمني والامل ننتظر مثل هذه المواقف؛ لا لتسمعها تصريحات وكلمات يضيع مفعولها بعد الاجتماعات، وانما لتراها ممارسات وخططا دفاعية وهجومية تمكنها من تأدية دورهـــا الطليعي . فالمقاومة لم تصمت في يوم ولم تتراجع في يوم ، ولم يكن عندها اي امل او رغبة بالحلول التسووية وهي تعلم انه حتى من اجل تحرير ولو شبر واحد من الارض لا بد من القتال ضد الامبريالية والصهيونية العالمية.

والمطلوب اخيرا أن نسعى جماهير الامة العربية بجدية المؤتمر ، وذلك لن يكون الا عندما تشعر الجماهير بان حل الخلافات وتنقية الاجواء هو من اجل المعركة لا على حسابها .

فلسطين الثورة : العدد ٢١
١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢

أسقطوا قرار مجلس الأمن !

يصادف هذا اليوم مرور خمس سنوات على صدور قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ المتعلق بإزالة آثار العدوان الاسرائيلي على الوطن العربي عام ١٩٦٧ .

وبمنتهى الهدوء ، والموضوعية . وبعيدا عن كل ما يمكن ان يثيره مناقشة هذا القرار من حساسية او ارتباك او الم عند مختلف الاطراف المعنية بهذا القرار ، نرى انه من صميم واجبنا القومي أن نعود ـ وبهذه المناسبة الحية ـ لمناقشته ، وطرح ما نتج عنه من مضاعفات واخطار مست وما زالت تمس جوهر القضية الفلسطينية التي اصبحت محور القضية العربية المصيرية بأسرها .

اما الذين يبكون ويتباكون اليوم على فشل تنفيذ هذا القرار بعد مرور خمس سنوات على صدوره والموافقة عليه ، فهم وحدهم الذين يعيشون القلق السياسي والشخصي ، ويدورون في حلقات القرارات المفرغة ، ويعيشون اوهام وخيالات النصر المزيف ، ويمارسون التراجعات والتمنيات في ظل هذا النصر ، وكان قرار مجلس الامن هو نهاية المطاف الذي تتحقق في ظله الكرامة والشرف والتحرير والنصر العربي الشامل .

فما هو هذا القرار المعجزة ؟ وما هي ابعاده الحقيقية ، وما هو مدى تأثيره في القضية الكبرى وجوهرها ؟ وفي اي الظروف ولد وترعرع فاصبح شغل العالم الشاغل بشرقه وغربه ؟ حتى كاد يصبح هدفا وغاية في حد ذاته وحتى ان البعض اصبح يتخيل ان فيه ومن حوله يتقرر مصير الحرب والسلام في الشرق الاوسط وبالتالي في العالم !!

اسئلة طالما اجبنا عليها في الماضي ، وكان لنا رد واحد عليها لم يتغير :

وكان لنا موقف مبدئي من القرار المذكور تجيء الايام لتؤكد صحته وسلامته بالرغم من الثمن الفادح الذي دفعناه وما زلنا ندفعه في اكثر من مجال وعلى اكثر من صعيد .

اما اليوم وفي الذكرى الخامسة لهذا القرار المسخ الذي واكبته الامة العربية عبر هذه السنوات الطويلة . ونحن نشاهده «بأم اعيننا» يسقط الى «الاعلى» بعد هذا النضال الشاق من اجل تنفيذه ، بمعنى ان معظم الذين منحوه تراجعوا عنه ، ومعظم الذين قبلوه بالوعي او اللاوعي ، قبلوا بأقل منه على سيئاته وآثامه . فسجلوا سلسلة من التنازلات في الشكل والعرض . لهذا فاننا اليوم نرى انه من حقنا بل من واجبنا وعلى ضوء كل ما جرى ويجري ان ننادي باسقاط القرار ، ودعوة الذين وافقوا عليه بحسن نية او عن عجز ، او عن تآمر الى اسقاط والغاء هذه الموافقة وطرح القضية من جديد وعلى كافة المستويات .

نقول هذا ونحن اعرف الناس بحقائق الامور وحقائق العصر ، والمتغيرات والمساومات والبدائل التي تطرح هنا وهناك في مختلف الساحات الدولية والعربية ، نقول هذا ونحن نتابع الاحداث والمتغيرات ونفهمها ونتصدى لها وندعو للتصدي لها ومواجهتها ، نقول هذا ونحن نعي معنى الالتزام الارادي بالقرارات الدولية لاسيما وبعضنا لا يلتزم بها فحسب بل يلهث وراءها ويتنازل عنها ويفتح لها الجسور والابواب والنوافذ . ولكننا ايضا نقول ونحن ندرك كل ذلك انه عندما يقع الخطأ والزلل في القضايا المصيرية ، وعندما يتضح التآمر الدولي بزعامة وقيادة الامبريالية العالمية ، فانه يصبح من الواجب بل في قمة المسؤولية والفضيلة ان تمزق وان تسقط هذه القرارات التي تم الموافقة عليها على حساب القضية والمعركة المصيرية .

في رأينا ورأي كل الثوار والمفكرين العرب من اصحاب الهموم الحقيقية انه لم يصدر منذ ولدت القضية الفلسطينية وعلى امتداد الخمسين سنة الماضية اخطر من القرار ٢٤٢ الذي أصدره مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، الى حد تجاوزت خطورته وعد بلفور نفسه الذي صدر عام ١٩١٧ ، وقرار التقسيم الذي اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة واوصت بتنفيذه . فلقد كان وعد بلفور على خطورته تعهدا من دولة اجنبية بانشاء جسم غريب في فلسطين ، ولقد رفض الفلسطينيون والعرب الوعد ، وقاوموه بالحديد والنار . ولقد كان قرار الجمعية العامة على خطورته ، توصية الى الفريقين المتنازعين باقتسام فلسطين . وأما قرار مجلس الامن فانه يعترف بشرعية وحق الدولة المعتدية الدخيلة ويكرس وجودها وفكرها النظري والعملي

وبالتالي يصفي القضية الفلسطينية تصفية كاملة باسم ازالة آثار العدوان.

ان قرار مجلس الامن نسف كل ما قبله من قرارات وفرض على العرب فبولا لاسرائيل على الارض العربية ، وفي راينا ان الرسمية العربية سجلت تنازلا واضحا عن الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني وكأنها وضعت نفسها من حيث تدري ولا تدري في معسكر واحد مع ما يسمى بالامم المتحدة في الجريمة الكبرى التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني والعربي مرتين خلال عشرين عاما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ .

وفي راينا ايضا ان الهزيمة الحقيقية لحرب ١٩٦٧ بدات بقبول هذا القرار ، فمن خلال هذا القبول سجلنا بداية تراجعنا امام الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة ضد الامة العربية وكرسنا لها وجودا على حساب وجودنا . وللمرة الاولى بوعي عند البعض . ونتيجة للعجز والضعف عند البعض الاخر ساومنا على استراتيجية المعركة ووقعنا في الشرك الذي نصب لنا باسم التكتيك وكسب الراي العام . ونحن نصحو اليوم لنجد ان اسرائيل وحدها التي استفادت من هذا القرار ، فمقابل الاعتراف بها وانهاء حالة الحرب والحصار والمقاطعة وعدم مسؤولياتها عن كل ما اغتصبته وحققته قبل عام ١٩٦٧ ، هنالك قرار يقضي بانسحابها من بعض او كل المناطق المحتلة (لم يتضح بعد بموجب قرار اللورد كاردون الغامض) هذا الانسحاب الذي لم يتحقق بعد مرور خمس اعوام على صدور القرار به .

فماذا بعد ؟ وما هو المطلوب ؟

بعيدا عن المزاودة ، وبكل فهم موضوعي لحقائق الامر الدولي منها والعربي ، ونحن نرى اسرائيل تمعن في ضلالها وغيها فترفض حتى هذا القرار المهين الذي يمنحها كل شيء ، فلا تقبل «باقل منه» الا من ضمن شروطها ومواصفات منطقتها التوسعي لفرض الاستسلام .

وبعيدا عن الانفعال ونحن نرى اسرائيل تخرق وقف اطلاق النار الذي نص عليه قرار مجلس الامن المزعوم كل يوم ، وتمادي عن هذا الخرق ، وتضرب في البحر وفي الجو وتستبيح الحمى والكرامة ، وتستفرد بنا دولة دولة ، ومعقلا معقلا ، فلا من يتصدى ولا من يجيب . ماذا نفعل وماذا نعمل ؟

مرة اخرى ونحن ندرك بوضوح اكثر من اي وقت مضى ، خطورة الاوضاع المتردية في المنطقة نتيجة لعدم القدرة على الحسم الناشيء عن قبول قرار مجلس الامن الذي خلق بدوره حالة اللاحرب واللاسلم المزرية التي تعيشها المنطقة والتي قادت الى ضرب الثورة الفلسطينية وضرب

حركة التحرر ، وبدات تمس معنويات الجماهير وتعبث فيها ، نرى لزاما علينا ان نقول : ان كل هذا يستدعي اعادة النظر كاملا في قرار مجلس الامن والمشاريع المختلفة والبالونات النفسية التي تطـــرح هنا وهناك لاجهاض القضية وتصفيتها وانهائها .

وذلك يقضي بالرد على اسرائيل بالمثل وتصعيـــد القتال وتسخين الجبهات . والاستعداد للمعركة الطويلة النفس عبر المعركة نفسها ، ولا بد من اسقاط شعارات القبول بالقرارات والحلول والمشاريع المشبوهة ، ورفع شعارات الرفض في وجه كل مشروع يهدف الى تصفية القضية وتكريس الوجود الاسرائيلي بعد ان استنفذت كل المحاولات التسووية اغراضها ؛ وافتضحت ابعاد المؤامرة الاميركيه ـ الصهيونية على الامة العربية .

والمطلوب الى جانب كل ذلك ان يؤخذ القرار السياسي في كل هذا اعلى مستوياته ، لمن ظل عندهم ذرة احساس بالكرامة والشرف ، وتعدم الامة في رأينا امثال هؤلاء من الذين يملكون اخذ القرارات المصيرية ، والا حلت على الجميع لعنة الاجيال ولعنة التاريخ وعقاب الجماهير الذي مهما طال امده فلا بد ان يبلور ثورته الصحيحة حتى تنتصر . وذلك يقضي بأن يرتفع مستوى اخذ القرار الى من يملكون اخذ هذا القرار ، فلا مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية ، ولا اجتماع رؤساء الاركان في اطار الجامعة العربية هي المواضع التـــي يؤخذ فيها مثـــل هذا القرار ، وانما عند الذين ولتهم شعوبهم او تولوا عنها اخذ القرار وقيادة المعركة . فلقد احدودبت الظهور بالخزي والهوان . ومن حق الانسان العربي على كل هؤلاء ان يطالبهـــم بمسؤولياتهم تجاهه وتجاه الارض والشرف والكرامة .

فلسطين الثورة : العدد ٢٢
٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٢

القضايا الأساسية أمام المؤتمر الشعبي العربي

نظرا لاهمية المؤتمر المنعقد الان في بيروت لتجسيد المشاركة العربية بالثورة الفلسطينية، رأينا ان تكون افتتاحية «فلسطين الثورة» لهذا العدد ، هي كلمة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي القاها الاخ كمال ناصر المتحدث الرسمي ، في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

***

ايها الرفاق .. حضرات الضيوف ..

باسم الشعب الفلسطيني الذي يتحمل اعباء النضال منذ خمسين عاما ضد ابشع انواع الغزو الاستيطاني وباسم حركة المقاومة الفلسطينية التي تتولى قيادة النضال الفلسطيني ضد الاحتلال والغزو نقدم لكم احر التمنيات الرفاقية بصفتكم تمثلون شعوبا شقيقة تشاركنا الايمان بوجوب تحرير فلسطين وتحرير المجتمع العربي وتتحمل معنا مسؤولية النضال كما تمثلون شعوبا صديقة تقف معنا في خندق واحد للنضال ضد معاقل الامبريالية والصهيونية والرجعية على امتداد العالم .

ارتباط الثورة الفلسطينية بحركة التحرر العربي :

ان الارتباط القائم بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية هو اعمق من مجرد ارتباط تحالفي او رفقة ثورية لتيارين متوازيين ، وانه تفاعل عضوي ضمن جسم الثورة العربية الواحد ، والارتباط بهذا المعنى ليس وليد عاطفة عابرة او مصلحة مؤقتة وسطحية بل انه نتيجة طبيعية لتطابق الرؤيا الفلسطينية من جهة والرؤيا العربية التحررية من جهة اخرى لحقيقة الغزو الصهيوني وابعاده ودلالاته للشعوب العربية ولمنطق ما يترتب على هذا الغزو من نضال وكفاح حتى التحرير . فالغزو الصهيوني المنطلق من رحم الامبريالية يستهدف الوطن العربي باكمله ولو تمرحل وامتد شبرا

شبرا وعاصمة عاصمة . بل انه يستهدف اخضاع المنطقة العربية بأكملها من الخليج الى المحيط ، وكما عبر عنه احد رفاقنا الفلسطينيين المناضلين بانه يستهدف اقامة (السلم العبري) ليحل محل «السلم الروماني» ثم «السلم البريطاني» و«الامريكي» في المنطقة ، بحيث يسيطر على مواردنا ومقدراتنا ويقرر مصائرنا السياسية والاقتصادية بل والثقافية الحضارية ايضا الى اجيال عديدة مقبلة .

ولذلك فانه متى تم الادراك العميق لطبيعة هذا الخطر وفحواه وابعاده ثم أيضا الادراك العميق لحتمية وحدة النضال العربي ضد الامبريالية واسرائيل والرجعية التي تشكل جبهات الغزو الواحد والذي له في الحقيقة نفس الاهداف ونفس الاستراتيجية وان تعددت وسائله التكتيكية وتمايز تشديدها على هذه الوسيلة او تلك في هجمتها ومناوراتها .

ومن الواجب ان نؤكد هنا ان الاحتلال والاقتلاع الصهيوني والدعم القوي الذي يناله من الامبريالية والتواطؤ الذي يتمتع به من الرجعية يهدف لا الى اضطهاد الشعب الفلسطيني والى الغاء مقدرته على ممارسة حقه القومي والسياسي في كامل ارضه فحسب ، ولا الى جعل الارادة القومية والسياسية العربية خارج فلسطين رهينة السيطرة وبالتالي مشلولة ومعطلة فقط ، وانما كذلك الى اعاقة النمو والتقدم الاجتماعي والاقتصادي العميق والشامل لمجموع الامة العربية ، لكي تضعف القدرة الذاتية العربية وتتأزم حقيقتها بالنسبة الى طاقتها فتعجز عن توفير الاساس المادي للقدرة السياسية والقومية والكفاح المسلح الذي لا بد من تطويره وتصعيده لدحر قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وليس ادل على هذا المنحى من الشكل والاسلوب الذي تتخذه السيطرة على مواردنا الرئيسية وأهمها النفط ، ومن غسل الدماغ الذي تمارسه القوى السياسية الامبريالية ، لتحويل النفط من سلاح رادع «ان لم يكن حاسما» في اليد العربية الى سلاح رادع في يد الامبريالية ذاتها يكتمل من خلال استعماله ضد المصلحة العربية باحكام الحلقة حول الارادة العربية والقدرة على التحرك والنضال الحد من هذه الارادة ان لم يكن لخنقها تماما .

اذن فحركة التحرر العربية ليست مجرد حليفة او سند للثورة الفلسطينية وليس الاثنان مجرد شريكين تلتقي مصالحهما هنا وهناك ضمن أفق زمني ما . بل انهما ذات واحدة . فالثورة الفلسطينية هي الوجه الفلسطيني لحركة التحرر الوطني العربية كما ان حركة التحرر الوطني هي الوجه العربي للثورة الفلسطينية . انهما في خندق واحد امام عدو واحد

ذي جوانب ووجوه متعددة لهما نفس المصير ، مدرهما المستقبلي واحـــد ومسؤوليتهما واحدة وان تمايزت تفاصيـــل مرحلية او مواقع عمليـــات فتطلبت طبيعة المعركة ان تكون الثورة الفلسطينية راس الحربة والموقـــع الامامي ، وان تكون حركة التحرر الوطني العربية بجماهيرها العربية العمق العربي الاستراتيجي للثورة الفلسطينية ومعينها المعنوي والبشري والمادي الذي يكفل للثورة ديمومتها واستمرارها وتصعيدها حتى النصر . ومن هنا فان اي تصور لقطريـــة الثورة الفلسطينية يسقط الى الارض مـــرة واحدة ونهائية .

الحقيقة والوهم في مجابهة العدو انطلاقا من موقف التحرير والتحرر :

ولا بد من ان نشدد في الظرف العصيب الذي نعيشه الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ان وضوح الرؤيا لحقيقة الخطر الذي نجابهه معـا تتطلب وضوح الرؤيا لطبيعة المجابهة الواحدة . كما ان وضوح الرؤيـــا لحقيقة الخطر تفضح الاوهام وصيغ خداع النفس التي تتيـــح للبعض ان يتصوروا ان بامكانهم من خلال هذه الصيغ مجابهة الخطر الشامل الـــذي تتعرض الامة العربية بأسرها له .

وببساطة: ان ما نعاني منه هو عملية استعمار واحتلال واقتلاع توسعية ديناميكية ستظل تمتد وان اتخذت فيما بعد اشكالا اخرى غير الاحتـــلال الجغرافي كبسط النفوذ السياسي والاستغلال الاقتصادي والسيطـــرة الحضارية الممتدة على الرقعة العربية باكملها . اذا وببساطة ايضا فـــان الجواب على الاستعمار والاحتلال والاقتلاع وسائر صيغ امتدادها هـــو التحرير عبر الكفاح المسلح المنبثق عن التبدل الجذري في المجتمع العربي والقادر على تحويل الطاقات العربية الى واقع فاعل ومتحرك .

واذا كان الرد الذي لا نملك ان نعتمد سواه ولا خيار لنا في الاخذ به هو الكفاح المسلح من اجل التحرير الشامل لكل شبر مـن ارض فلسطين وتحرر الارادة العربية من القوى التي تغلها تسقط عندئذ الى الارض كل الحلول التصفوية الاستسلامية شاملة كانت ام جزئية ويسقط منطقهـــا وتنفضح النوايا الكامنة خلفها والاهداف الهزيلة المطروحة لها كما تسقـط جميع القوى القابلة بها مباشرة او مداورة ويسقط منطقها ويسقط قناعها وتنفضح مصالحها اللاقومية . ومن ضمن هذا الوضوح للرؤيا العربيـــة

السليمة والمنطقية والنظيفة تسقط الاوهام العربية . فمتى انبثقت الرؤيا الواضحة تداعت الاوهام . هذه الاوهام ذات الاسماء المختلفة لكنها ذات الطبيعة الواحدة . وسواء اكان الحل التصفوي المطروح هو قرار مجلس الامن ٢٤٢ ام مشروع حسين ـ الون المسمى بمشروع المملكة العربية المتحدة مرورا بمشروع روجرز وسلسلة التراجعات والحلول ، فان الحقيقة تظل واحدة وهي ان هذه المشاريع انما تهدف بالنتيجة الى الاستسلام وتصفية الثورة الفلسطينية والى لجم حركة التحرر الوطني العربية من خلال اشعارها بعقمها وعجزها. كما ان التبصر في جميع الصيغ الاستسلامية التصفوية الخارجة عن نطاق الكفاح المسلح من اجل التحرير ومضمونه والاخذ بمنطق وادوات خلاف منطقه وادواته يوضح انها جميعا ليس لها في التحليل النهائي من مضمون سوى الاستسلام والخضوع الكامل لارادة العدو الصهيوني والامبريالي والتصفية التامة النهائية لقضية فلسطين .

كذلك فقد اثبت الواقع خلال السنوات الماضية الحافلة بالتنازلات العربية المأساوية ان جميع هذه التنازلات لصالح العدو قد فشلت في حمله على ارجاع شيء من مكاسبه ، فكانت التنازلات تماما كسعي المرء للقبض على ظله كلما اقترب من هذا الظل ابتعد الظل عنه وعجز هو عن القبض على الظل مهما لهث وراءه . بل ان جدلية هذه العملية العقيمة تظهر ان التنازلات لا تولد لدى العدو القوي سوى الاصرار على المزيد من التنازلات .

ان قناعة حركة المقاومة الفلسطينية ووعيها الكامل لهذه الحقيقة ومن ورائها اصرار الشعب الفلسطيني على وضوح الرؤيا لحقيقة القضية يحمل المقاومة والشعب الفلسطيني حيث يقدر هذا الشعب ان يعبر عن نفسه على التأكيد بأنه يرفض جميع المشاريع التصفوية والاستسلامية جملة وتفصيلا مهما كان مصدرها ومهما كانت ابعادها وان يؤكد اصراره على التحرير الكامل لكل التراب الفلسطيني عن طريق حرب الشعب وعلى التحرر الكامل للمجتمع العربي ضمن نضال طويل الامد مهما عظمت التضحيات وازدادت مناورات العدو المثلث الرؤوس خبثا وشراسة .

واجب الشعوب العربية والقوى الوطنية :

ترتب على طبيعة النضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية والذي تتمثل طلائعه في المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية كما تترتب على طبيعة المرحلة الراهنة لطبيعة هذا النضال سلسلة

من المواقف وانماط التصرف تحت الثورة الفلسطينية لنفسها طرحها عليكم طرحا سريعا للبحث والتداول .

يترتب اولا تعميق وتوضيح الرؤيا العربية لحقيقة خطر الغزو الاسرائيلي الذي تمارسه الشركة الثلاثية المؤلفة من الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية المحلية ، وحقيقة الطريق المستهدف من هذا الغـــزو وهو ليس فلسطين والفلسطينيين فحسب بل كذلك بقية الوطن العربي بشعوبـــه ومعالمه وارادته وقدرته على التصرف بحرية وكرامة ضمن سيادته . وفي راينا انه متى اتضحت ابعاد هذا الخطر تتكون انماط من التصرف والنضال العربي منسجمة مع منطق الوضع القائم وتصبح الجماهير العربية بشكـل حقيقي وفعال وملموس حزام امن للثورة الفلسطينية ضد دعاة التصفية والاستسلام وبالتالي تصبح هذه الجماهير قوة ديناميكية فاعلة لا مجـرد طاقة كامنة غافلة .

يترتب ثانيا الضغط الفعال ضمن شتى اشكال النضال والتنظيـــم والتحرك لافشال المشاريع التصفوية الاستسلامية مرة واحدة والى الابد كما يترتب ابراز الجواب الواحد والوحيد الغزو الثلاثي الرؤوس وهو تحرير كامل التراب الفلسطيني بالكفاح المسلح وتحرير الارادة العربية كاملة . كما يترتب اخيرا فضح جميع منظري الحلولالتصفوفة والاستسلامية والمدافعين عنها مهما اتسعت هالاتهم الفكرية وقدراتهم السياسية او عظمت طاقاتهم البطشية والتعسفية .

يترتب ثالثا وضوح الادراك الكامل لضرورة القبول العربي بتضحيـات باهظة ضمن افق زمني طويل لان صراعنا بطبيعته طويل وشاق ولأن احراز النصر فيه يتطلب تبديلا جذريا في انماط التفكير والتصرف العربي وفـــي اولويات الحياة العربية . ومن هنا ينبغي الادراك كذلك بوجوب تأكيـــد ديمومة العمل واستمراريته لا تحركه ضمن تموجات تنفجر في هباتعاطفية آنية ثم تركد في فترات من السكون الطويل العقيم .

يترتب رابعا خلق التنظيمات والاطر المؤسسة من اجل تعبئة الطاقات العربية ووضعها في اقنية تؤمن تنظيم هذه التعبئة وسلامة انطلاق الطاقات وحسن تصويبها الى اهدافها فالتنظيم يضمن عدم تبعثر الطاقات والقدرات العربية وعدم تفتتها بيسر وسهولة امام الازمات الذاتية واختلاف الظروف.

يترتب خامسا واخيرا ان نأخذ جميعا عبرة من معسكر الخصم فالقوى الرجعية على اختلاف تاكتيكاتها وعلى تعدد مواقعها تتفق على حد ادنـــى للعمل وعلى ارض فكرية مشتركة تنطلق منها لضرب الثورة الفلسطينيـــة

وحركة التحرر الوطني العربية على السواء. فاليمين الرجعي لا يجد صعوبة في الالتقاء على ارض مشتركة مقبولة لجميع فرقائه للتحرك والبطش اما القوى الوطنية التقدمية ونقولها بصراحة وإسف معا نادرا ما تلتقي طويلا على الارض الفكرية المشتركة وتعززها بالسعي المشترك الدؤوب الى جانب محاولة تقليص المواقف المختلف عليها وبالتالي فانها تسمح لاختلاف تاكتيكانها وباين وسائلها وسبلها وأهدافها المرحلية بأن يعطل لقائها وانطلاقها بتماسك وثبات وبتركيز نضالها باتجاه القضايا الجوهرية مهما كانت التناقضات الداخلية الثانوية بين رفاق النضال .

اننا ايها الرفاق متى التقينا على الارض النضالية المشتركه وركزنا اقدامنا فيها ننطلق في ثبات صوب المهام النضالية الشاقة التي تنتظرنا ونحن مليئون بالرجاء ان يبرهن هذا المؤتمر ان القوى الوطنية مهما تباينت جزئيات رؤيتها للقضايا المطروحة في ليل المجابهة ستظل قادرة على التمييز بين الكل والجزء وبين الجوهري والعارض من الامور .

ايها الرفاق .. حضرات الضيوف .

يحقق هذا اللقاء الذي يفتتح اليوم تجسيد الرغبة المشتركة لدى الثورة الفلسطينية وقوى التحرر العربي في توضيح الرؤيا العربية الشاملة لحقيقة القضية الفلسطينية التي هي قضية مجابهة الاستعمار والاحتلال والاقتلاع والامتداد ضمن صيغ عسكرية وسياسية واقتصادية وحضارية . وباختصار فالغزوة الصهيونية هي قضية غزو للمصير العربي بأكمله وقضية تحدٍ للحضارة العربية منذ كانت . ولقاؤنا هذا يجسد كذلك الرؤية الواضحة لوجوب تحرير فلسطين بأكملها عبر الكفاح المسلح، وجوب تحقيق التحرر الكامل للارادة العربية وحتمية قيام حركة التفير العربية الحضارية الشاملة .

فلنعمل اذن معا تحت حكم العقلانية والوضوح والالتزام الثوري من اجل خلق الصيغ الفاعلة التي بدورها تجسد وضوح رؤيتنا لقضيتنا وتضمن لهذه الرؤيا الانتقال من نطاق الادراك الذهني الى نطاق الفعل الملموس .

ان ارادتنا المشتركة هي ان ننتصر وان نسترد كرامتنا كاملة وان نحقق التقدم والعدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل السيادة السياسية والقومية الكاملة على امتداد الارض العربية .

فلسطين الثورة : العدد ٢٣

٢٩ تشرين الثاني

لا ... للوصاية على الثورة

قلنا في اكثر من مناسبة : ان الثورة لا تتحرك ولا تناضل ولا تفكر ، من خلال ردود الفعل . لان الثورة فعل في حد ذاتها ، لها مبرراتها التاريخية، ومقومات وجودها واستمرارها ، هذه المقومات التي تكمن في عدالة وشرعية القضية الحقة التي ناضلت وما زالت تناضل من اجلها ، وفي سواعد مقاتليها وثوارها المؤمنين بالثورة حتى النصر .

الا ان هذا لا يعني في الكثير او القليل ان تصمت الثورة وتتغاضى عن الذين يحاولون تصويرها على غير حقيقتها لاسيما فيما يتعلق بسلامة منطلقاتها الفكرية والاسس النظرية التي ترسم للثورة خطواتها ، وخطوط مسيرتها السياسية والمسلحة معا .

ولعل من اخطر انماط الوصاية التي تحاول قوى الثورة المضادة ــ ومن خلال العقل الرجعي العربي ــ ممارستها على الثورة الفلسطينية ، هي الوصاية الفكرية . هذه الوصاية التي تستنكرها الثورة ، وترفضها كما رفضت في السابق كل اصناف واشتات وانواع الوصايات الاخرى .

ولسنا نقول هذا في مجال المزايدة او المناقصة ، ولا رغبة منا في فتح معارك «دون كيشوتية» في الفراغ . ولكننا في مجال الحرص على مسيرتنا التاريخية ، ومن خلال اصرارنا على الاستمرار في الطريق السليم الذي يؤدي بالضرورة الى النصر . ولهذا فاننا نرفع اليوم صوتنا عاليا بالحوار العلمي الهادف ضد اية وصاية فكرية او اية محاولة تستهدف تعقيد وتخريب الاسس والمنطلقات الفكرية والسياسية التي انطلقت منها الثورة، والتي تلخصت بميثاقها الوطني ، ومن ثم ببرنامجها السياسي حصيلة تجربتها الخصبة المثمرة عبر السنوات الاخيرة .

نقول هذا وآثار الضجة المشبوهة ما زالت تسحب نفسها هنا وهناك ، على اثر انعقاد «المؤتمر الشعبي العربي للمشاركة مع الثورة الفلسطينية».

فما هو هذا المؤتمر ؟ ومن اجل ماذا انعقد ؟ وما هي طبيعته واهدافه؟ ومن هم المشاركون فيه ؟ وكيف طرحت الوصاية ؟

اسئلة لا بد من مجابهتها والرد عليها ، لانها تمس في راينا صميم القضية التي تناضل جماهير الامة العربية من اجلها ، الا وهي قضية فلسطين ، محور كل قضايا العرب ، والتي يدور من حولها مصير هذه الامة وجودا وعدما .

كان حلما ان تتداعى الاحزاب والهيئات والمنظمات الوطنية والتقدمية على اثر قرار اتخذه المجلس الشعبي الفلسطيني قبل حوالي العام في جلسته المنعقدة في القاهرة ، والذي يقضي بانشاء جبهة تساند وتشارك الثورة الفلسطينية في نضالها ضد الامبريالية والصهيونية العالمية . وكان اكثر ما يخشاه اصحاب الدعوة هذه ، ان تحول التداخلات الرسمية وغير الرسمية دون انشاء مثل هذه الجبهة ، وكان ايضا من اكثر ما يخافه الذين اتخذوا هذا القرار ، ان تحول التناقضات الثانوية وغير الثانوية دون انشاء هذا التجمع .

ولكن الذي حدث بفعل الارادة والتصميم ، وبفعل القوى الحية الثورية النامية ، داخل هذه الاحزاب والهيئات والتنظيمات ، وبفعل الحاجة التاريخية والقومية والوطنية الملحة لايجاد مثل هذه الجبهة ، ان تغلب «المؤتمرون» على مجموعة العقبات القائمة ، بالحوار الديمقراطي، وبمواجهة المشاكل ومعالجتها ، فقامت الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ببرنامجيها السياسي والتنظيمي الواضحي المعالم والاهداف ..

فلماذا الضجة اذن ؟

من الواضح ومن الجلي بل من الطبيعي ان يستثير مثل هذا التجمع المنظم ، كافة أعداء الامة العربية ، فالامبريالية العالمية ومعها حليفتها الصهيونية لا تريد ان تتصور وبعد سلسلة الانتصارات التي حققتها في المنطقة ، ان قضية فلسطين ما زالت تستقطب كل هذه القوى الشعبية العربية ، وقوى التحرر في العالم بأسره. ومن هنا وبعد ان فشلت محاولات التعتيم على المؤتمر ، انطلقت الاجهزة المضادة المختلفة والمؤامرات والمناورات لخنق الوليد قبل ان ينمو وان يترعرع ..

فما الذي قيل ؟ وما الذي سيظل يقال لاسيما اذا استطاعت الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، ان تمارس نضالها وتحقق آمالها

وسط كل العواصف والاعاصير التي اثيرت وستثار من حولها . .

لقد قيل اولا : «ان الثورة الفلسطينية فقدت شخصيتها بعد انابرزتها في مختلف المجالات ، واندمجت مع النضال العربي» . ونحن نرد على هؤلاء الذين يتباكون على الشخصية الفلسطينية ونؤكد لهم اننا في قمة نضالنا من اجل ابراز الشخصية الفلسطينية التي كادت تفقد معالمها بين التناقضات العربية الرسمية ومن خلال مؤامرة الامبرياليين والصهاينة ، لم نغفل ولم نتجاهل في يوم . البعد العربي للثورة الفلسطينية وكنا اول من قال بما معناه ان الثورة الفلسطينية هي الوجه الفلسطيني لحركة التحرر الوطني العربية ، كما ان حركة التحرر العربي هي الوجه العربي للثورة الفلسطينية . ومثل هذه المعاني والافكار هو جزء بارز من فكرنا السياسي المنصوص عليه بميثاقنا القومي ، وبرنامج الثورة السياسي . اذن فلا داعي لمثل هذا التباكي ، ومثل هذا الكلام باطل يراد به الباطل . فالارتباط القائم بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي هو تفاعل عفوي ضمن جسم الثورة العربية الواحد ، وهو ليس وليد عاطفة عابرة او مصلحة مؤقتة ، بل نتيجة لتطابق الرؤيا الفلسطينية من جهة ؛ والرؤيا العربية التحررية من جهة اخرى ، ولا بد من التأكيد في هذا المجال ان حرص الثورة الفلسطينية وتعاملها مع المؤسسات الشعبية كان وسيظل على النفَس الطويل اعمق من تعاملها مع الاوضاع العربية المتردية في هذه المرحلة من تاريخ النضال العربي .

ولقد قيل ثانيا : «لقد انزلقت الثورة الفلسطينية، وغلبت الطابع الاممي وحالفت معسكرا ضد معسكر ، وتبنت الشيوعية والشيوعيين ، وكانت السيطرة للاحزاب الشيوعية وللمنظومة الاشتراكية واضحة في المؤتمر الشعبي العربي للمشاركة مع الثورة الفلسطينية» .

وهنا نحب ان نعلن بوضوح وللمرة المائة بعد الالف راينا الواضح والصريح حول هذه الامور مؤكدين رفضنا المطلق لكل محاولات الارهاب الفكري وغير الفكري الذي تمارسه قوى الثورة المضادة والرجعية العربية ضدنا في المنطقة .

نقول هذا لاننا كثورة نعرف بالضبط ماذا نريد ، ولاننا حددنا هذا الذي نريده في مجموعة من الوثائق والقرارات والافكار المدروسة عبر مؤسساتنا العلمية المختلفة واجهزة اعلامنا الرسمية الكثيرة . كما اننا نذكر كل ذلك لا كردة فعل على ما قيل ويقال كما اسلفنا ، ولكن لنؤكد على حتمية لقائنا مع حركة التحرر العالمية ، هذا اللقاء الذي يخيف ويزعج الامبريالية وقوى

الثورة المضادة في المنطقة متى تم تلاحمه وتراصه في حركة ثورية موحدة الاهداف . .

لسنا شيوعيين ، والشيوعية في نظرنا ليست تهمة . ولكننا نقولها وبكل وضوح ان من حقنا في التحليل النهائي اختيار الطريق التي تغني وتسهم في اخصاب الثورة واستمرارها . وعندما نقول ذلك فليس مسنهجنا ان يعجز عن فهمنا اصحاب هذه العقول الرجعية التي جعلت من الشيوعية «قميص عثمان» لوحت به عبر الخمسين سنة الماضية في وجه كل وطني وقومي وتقدمي ناضل من اجل كرامة امنه وحريتها واسترداد ارضها .

لسنا شيوعيين ، ولكننا لن نسمح لاي كان ان يمنعنا من القول ان الحركة الثورية العالمية هي حركة تناضل ضد الاستعمار والامبريالية والتخلف ، وانها قد طرحت من القوانين ومن الافكار المتحركة الحية الهادفة في المجتمع ، ما دفع بالانسانية وبالانسان مئات من السنوات الى الامام .

لسنا شيوعيين ، ولكن احدا لا يستطيع ان يفرض علينا ان لا نرى في المنظومة الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية حليفا وصديقا ونصيرا لنا في معركتنا ضد الامبريالية والصهيونية العالمية .

لسنا شيوعيين ، والشيوعيون انفسهم يعرفون ذلك لاننا نحاورهم بشرف وبصدق وبرجولة ، فنقول لهم ما «لهم» ونقول لهم ما «عليهم» فيفهمون ونفهم ويستمر التعاون .

ان الثورة الفلسطينية قد حددت اكثر من مرة ، وفرزت بين معسكر الاصدقاء ومعسكر الاعداء ، ولم يبق عند جماهيرها الفلسطينية والعربية مجال للتمنيات وللاحلام ، وانه لفي منتهى الخفة والارتجال والرعونة والانحراف : ان نضع المعسكر الاشتراكي في نفس الميزان مع الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة ، وانه لمن التآمر على حركة التحرر والتحرير الفلسطينية والعربية ان يقوم احد بهذه المقارنة كما تفعل اليوم قوى الثورة المضادة في المنطقة واذنابها واشياعها الذين يكثرون بفعل النكسات والهزائم . . نقول هذا ونحن لسنا بغرباء او بمعزل عما يجري في العالم من متغيرات وتبدلات . نقول هذا ونحن ندرك اننا على ابواب عصر جديد بحكم موازين الرعب والقوى . ولكننا ندرك في الوقت ذاته ان القوى التقدمية والثورية العالمية والعربية ما زالت في اول الطريق في معركتها الطويلة الرهيبة مع الامبريالية والصهيونية العالمية ؛ وهذه القوى وحدها حليفتنا في معركتنا المصيرية ضد اسرائيل . وموقفنا منها استراتيجي

بالضرورة ولا يمكن ان يكون تحالف مؤقت وسطحي . ولقد حدد البرنامج السياسي للثورة ذلك بوضوح .

ان الثورة الفلسطينية التي تعتمد التحليل العلمي في تفسيرها لكافة ظروفها وأوضاعها ، ولشتى ممارساتها السياسية تقيم نفسها وتعترف انها في قمة التقدم . فهي بالاضافة الى كل ذلك حملت وما زالت تحمل السلاح ضد الامبريالية والصهيونية العالمية ، وهي التي طرحت ومارست شعار الكفاح المسلح وحرب الشعب للوقوف في وجه الهجمة الامبريالية البشعة، والثورة الفلسطينية لم تساوم مطلقا على المبدأ ، ولذلك فمن حقها وواجبها ان تعرف وتختار حلفاءها وانصارها وشركاءها . من يمشي معها نصف الطريق ، او كل الطريق . المهم ان يتم هذا الاختيار على أسس وعلى قواعد واضحة مرئية .

ان الثورة الفلسطينية ترى في الجبهة العربية المشاركة مع الثورة الفلسطينية التي اعلنت عبر البرنامج السياسي للجبهة التزامها بالنضال لتحرير كامل التراب الفلسطيني ، حدثا كبيرا كما عبر عنه رئيس اللجنة التنفيذية وقائد المسيرة الاخ ابو عمار في جلسة اختتام المؤتمر الذي تبنى ميثاق واستراتيجية الثورة الفلسطينية . وهي اذ تعتز بالاحزاب القومية والوطنية والتقدمية والديمقراطية التي اسهمت في انجاحه لتأمل ان يزداد الالتفاف والتفاعل بين هذه الحركات والاحزاب المساندة والمشاركة للثورة الفلسطينية في صراعها ضد اعداء الامة العربية .

فلسطين الثورة : العدد ٢٤
٦ كانون اول ١٩٧٢

البنادق الملتزمة من حقها وحدها ان تقود

من خلال اصحاب التمنيات الذين ظنوا عبر السنوات الخمس الاخيرة بأن «اسرائيل» ستنسحب من الاراضي العربية المحتلة من اجل تمنياتهم وصلواتهم وظنونهم . ومن خلال الذين راهنوا على قرارات هيئة الامم المتحدة المختلفة ، ومن خلال الذين ساوموا وتراجعوا ولهثوا وراء الحلول وانصاف الحلول والتسويات ، ومن خلال الذين قبلوا المشاريع المختلفة وعاشوا الاحلام الوردية بالاستقرار والخلاص ، ومن خلال الذين يعتقدون بضرورة تحريك الصراع خلال الشهور الستة القادمة حتى لا يتم اي توافق او وفاق على «قضية الامة العربية» في العصر الجديد .

من خلال تمنيات واحلام وتنازلات ومنطق أولئك وهؤلاء ، ترى الثورة الفلسطينية ان من أبسط واجباتها ومهامها اليومية ، بل من اخطر مسؤولياتها التاريخية ان تستمر في تعميق وتوضيح مفهوم الثورة عندها، في مختلف اوساط جماهيرها الفلسطينية والعربية : حزام امنها الحقيقي وأداتها الفاعلة المقاتلة في معركة الثورة ضد الخطر الامبريالي الصهيوني الذي يتهدد الوجود العربي بأسره .

والثورة الفلسطينية لا تقول ذلك فقط ، لان ثمة مساومات ومقايضات تقع اليوم هنا وهناك وفي مختلف الساحات العربية والدولية ، ولا تقول ذلك ايضا للمهاترة او المزاودة او الاحراج ، وانما تفعل ذلك لانها تدرك وتعرف ان ما يقع ويجري ، يمس جوهر القضية الفلسطينية التي يؤكد الرسميون وغير الرسميين في تصريحاتهم وخطبهم وبياناتهم انها محور القضايا العربية التي يدور مصيرهم ومصير الامة العربية من حولها وجودا

وعدما . ولذلك فانها تقول ذلك لننبه ولنذكر ، وتحاسب متى حانت ساعة الحساب .

اذن ، فمن اجل قضية امتنا المصيرية ، المعلقة في السوق الرسمية العربية والدولية ، ومن اجل الا نهدر ويضيع جوهرها فنضيع بالتالي نحن: كشعب وكتراث وكتاريخ وارض ، من اجل ذلك لا بد من العودة بالقضية الى جذورها ، وطرحها بحجمها الحقيقي من خلال «المفهوم الحقيقي» للثورة الذي ثبت ان المساومة عليه ، تضع المساومين في الموقع المضاد لحريتهم الذاتية ومصالحهم الاقتصادية والسياسية ، وبالتالي يجعل منهم فريسة يسهل نهشها وهضمها على مراحل ، كما ثبت بالتحليل والتجربة والممارسة والواقع عبر العشرين سنة الماضية وعبر السنوات الخمس الاخيرة . .

في راينا ان خصوصية القضية الفلسطينية تنبع من عدالتها و قدسيتها ، وليس من التعقيدات التي نشأت عنها بفضل الهجمة الصهيونية الامبريالية التي اوجدت الدولة الاسرائيلية على ارض غير ارضها ، وأحلت شعبا خليطا متنافرا مكان شعب متجانس عبر آلاف السنوات ، له نفس المقومات والخصائص .

ومن هنا فانه لا يعنينا في الكثير او القليل ان تتصاعد هذه التعقيدات لتنشأ عنها الازمة التي يسمونها بأزمة الشرق الاوسط . نقول هذا ونحن ندرك تماما اننا لا نعيش بمعزل عن العالم ، وتياراته وتصارع المصالح والقوى في داخله .

ولذلك ، فان الثورة التي قامت من اجل مقاومة هذه الفزوة — وهي تعي كل أبعادها وأخطارها — لا يمكن ان تساوم على حقها الكامل في ضرورة محاربة هذه الفزوة ومطاردتها ودحر فلسفتها التوسعية البدائية المرتبطة عضويا بالاستعمار والامبريالية .

كذلك فان الثورة الفلسطينية لم تقم من اجل تكريس وجود ، وانما من اجل ازالة تواجد مفتعل ، مهدت له قوى وأطراف معادية للامة العربية ، ولذلك فلم يكن قيام الثورة بالصدفة وانما هي حاجة دعت لها طبيعة الظروف والاوضاع التي نشأت بحكم الفزوة الصهيونية التوسعية ، وبحكم تشرد الملايين من ابناء الشعب الفلسطيني والعربي ، وبحكم عدالة وقداسة القضية نفسها التي قامت الثورة من اجلها . . .

وهكذا فان الشعارات والافكار والمواثيق والاسس والاستراتيجية التي وضعتها الثورة لم توضع بالصدفة ايضا لتصبح الثورة فيما بعد اداة في يد من يريد ان يجد حلا او نصف حل لمأزق يعاني منه ، وكأن الفزوة الصهيونية

الامبريالية ، تطمع بأرض دون سواها ، وكأنها تفصل بين اطماعها وأحلامها في الوطن العربي . فالثورة ليست جهازا من اجل الضغط ولا يمكن ان تكون كذلك . وانما هي فعل شعبي مسلح له اهداف واضحة المعالم مهما صعبت وطالت الطريق وزادت الاهوال .

ان قضية الثورة في رأينا لا تتجزأ ، لاسيما عندما تكون واضحة الاهداف محددة الخصوم كالثورة الفلسطينية ، وهذا يعني بالضرورة ان القضية الفلسطينية لا يمكن ان تتجزأ ولا يمكن ان تتمرحل ضمن اي مفهوم او اي تحليل طرح ويطرح في الساحات العربية او الدولية ، لان تكريس «اسرائيل» هو تكريس للغزوة الصهيونية الامبريالية على حساب الحق العربي والارض العربية المهددة بالضرورة وباستمرار من خلال هذا التكريس .

يظل السؤال الكبير قائما : وماذا بعد ؟؟

ونحن نقول بكل صراحة ووضوح وفي مجال الرد على كل ما يحاك ويصنع ويقال ويكتب : ان تحريك الصراع يجب ان يكون من اجل المعركة ومن اجل النصر . وذلك لا يكون الا عن طريق القتال والقتال وحده ، ومن خلال الاستعداد والحشد والتعبئة والحسم حول عقم كافة المحاولات التي تجري هنا وهناك لاحلال التسوية المزيفة : لانه من اخطر ما يمكن ان يحدث ان يحرك الصراع ويكبر ، وبالتالي تفرض الحلول والتسويات والتراجعات على الامة العربية ، وذلك لن يكون سوى لصالح «اسرائيل» التي تصر ان تكون جزءا فاعلا في المنطقة ، وفعلا متوسعا لا حدود لاطماعه . ولهذا فان الخيار ليس بين اطلاق الزناد الفوري للمعركة ، وبين ايجاد الحلول والتفريط بالحق الكامل للشعب العربي على كامل ترابه ، وانما الخيار الحقيقي هو بالاستعداد والحشد وتبني المفهوم الحقيقي للثورة المستمرة على النفس الطويل بالرغم من كافة الظروف والاوضاع العربية والدولية التي نعرفها .

ونحن اخيرا كما قلنا دائما ، لا نريد القتال من اجل القتال ، ولا نمارس الثورة من اجل الثورة ، ولكننا ندرك ان اي تنازل وأي تفريط يعني القضاء على أمتنا وعلى مستقبل ابنائنا في الوطن العربي بأسره .

هكذا وبكل بساطة نفهم ثورتنا الشعبية المسلحة ، وهكذا يفهمها المقاتلون والثوار من ابناء شعبنا، وهكذا نفهم حقنا الكامل بالتراب الفلسطيني والعربي ، من خلال الصمود والنفس الطويل والكفاح المسلح وحرب الشعب .. كل هذه تعطي المضمون الحقيقي لمعنى الثورة ومفهومها الحقيقي ..

وهكذا يفهمها الاحرار والثوار العرب ، بالتحليل والتجربة والممارسة ، وهكذا عبروا عن فهمها في المؤتمر الشعبي العربي للمشاركة مع الثورة الفلسطينية ...

وانه لما يجرح الوجدان ، ان يجلس بضعة انفار هنا وهناك ، يبحثون في أمورنا ، ويقررون مصيرنا ، ويعبثون بقضيتنا وبتاريخنا ، ومعظم القيادات الرسمية تقع في المحظور وتخطىء في الاسس والبديهيات ، وتتهيأ لان تجعل من الارض العربية جسر عبور الصهيونية العالمية الى سائر انحاء الوطن العربي ...

المطلوب منها، اعادة النظر الجذرية في معنى الغزوة الصهيونية، ومعنى المفهوم الحقيقي للثورة .. وما زال في يد أمتنا بطاقاتها الضخمة زمام المبادرة ...

وعزاؤنا الوحيد ، امام كل مظاهر العجز ، والخطأ ، والاستسلام وجود هذه البنادق المشرعة على الجبال وفي السفوح والهضاب ؛ هذه البنادق التي يحملها المقاتلون الثوار من ابناء شعبنا ، تحت أسوأ الظروف المادية والمعنوية .. هذه البنادق المشرعة المتحركة دوما صوب العدو ، ومن يسانده .. هذه البنادق التي لن تسقط من ايديهم الا على أشلائهم وجثثهم ... هذه البنادق التي من حقها وحدها ان تقود وان تنظر وان تخطط وان تناضل للنصر ، دون ان تلتفت للمعادلات والتسويات والتراجعات .. قافلة بعد قافلة وجيلا بعد جيل ، ومن غير ان تأذن لاحد او تسمح لطامح او ضعيف من ابناء شعبنا أن يكون جزءا من التسويات المذلة المطروحة علينا في الساحة .

فلسطين الثورة : العدد ٢٥
١٣ كانون اول ١٩٧٢

لبنان والمقاومة

بعيدا عن الاجواء المتوترة التي تسود العلاقة بين حركة المقاومة الفلسطينية والسلطات اللبنانية بين الحين والحين ، وفي ظل أجواء التفهم والتفاهم التي تغلب على طبيعة هذه العلاقة ، نحب اليوم وأكثر من اي وقت مضى ان نعود الحديث عن طبيعة هذه العلاقة بين لبنان والمقاومة .

ولسنا نفعل ذلك اليوم وبالتحديد ، من باب اثارة قضايا معلقة بحاجة الى حسم ، وليس من قبيل تصحيح أوضاع معينة ترضى عنها او لا ترضى عنها بعض المراجع والقوى والجهات المختلفة هنا وهناك ، وانما نفعل ذلك من اجل تثبيت موقف الثورة من لبنان ، وبالتالي تثبيت موقف لبنان النهائي من المقاومة والشعب الفلسطيني ؛ لاسيما وقوى الثورة المضادة الداخلي منها والخارجي ؛ والصهيونية العالمية ومن وراءها ، تعمل في الخفاء حينا ، وفي العلانية احيانا اخرى ، لزرع الوقيعة ، بالدس والتآمر والتهويل والافتعال والابتزاز ، لضرب وتخريب واجهاض كافة الصيغ والترتيبات والمحاولات الواعية لتحديد وتنظيم طبيعة هذه العلاقات .

وفي رأينا ، ونحن في صدد الحديث عن طبيعة هذه العلاقة ، ان سبيلنا اليها هو الوضوح والوضوح الكامل ، لانه من خلال الوضوح وحده يتثبت الموقف ويتحدد . وعندما يتحقق مثل هذا للاطراف المعنية يتحقق الالتزام بالضرورة ، او يصبح من اللازم التوقف واعادة النظر الجذرية من اجل المصلحة المشتركة . نقول هذا لاننا نعرف بالتحليل والممارسة والمعلومات ومن خلال كل ما يجري في مختلف الساحات العربية والدولية، ان أحداثا كبيرة تجري اليوم ، وان أحداثا اخرى في طريقها الى الوقوع تمس صميم القضية العربية ومحورها المشكلة الفلسطينية ، وبالتالي تمس

مختلف الساحات التي قد تكون الساحة اللبنانيه من بعضها ان لم تكن في مقدمتها ..

فما هي طبيعة هذه العلاقة ؟ وكيف تطورت ؟ وما الذي يمكن ان يحدث؟ وكيف نفهمه ؟ وكيف نجابهه ؟

اسئلة هامة وأساسية ، تقضي المصلحة القومية الرد والاجابة عليها . وبكل موضوعية ، وبعيدا عن اي انفعال او مزاودة تاتي من اي جانب . فالثورة كما كررنا دائما فعل ؛ وليست رده فعل ، لاسيما فيما يتعلـــق بمواقفها الاستراتيجية من القضايا الاساسية ، والمصيرية ، التي تجعل من خلالها مصلحة الثورة فوق كافة المصالح وفوق كافة الاعتبارات .

لقد تواجد الشعب الفلسطيني على الارض اللبنانية بهذا الزخم بحكم النكبة التي حلت بالامة العربية عام ١٩٤٨ كما تواجد على غيرها من الاراضي العربية الاخرى . وبغض النظر عن التقدير العربي للفترة الزمنية التـــي سيقضيها النازحون الفلسطينيون على هذه الاراضي العربية ؛ فقد جاءت الاحداث لتؤكد أن هذه الفترة الزمنية قد طالت ، كما ان هذا التواجـــد الفلسطيني قد تضاعف وتزايد عدده بفعل الزمن ؛ وتعدد النكسات العربية عبر العشرين سنة الماضية ..

وفي لبنان كما في الوطن العربي ، تعايش الفلسطينيون في مجتمعاتهم الجديدة ، ولم ينصهروا وكان من الطبيعي أن لا ينصهروا ، وليسوا قابلين بالانصهار بحكم اصرارهم على العودة لبلادهم التي انتزعت منهم ظلمـــــا وعدوانا . وكان صمودهم في المخيمات وتحت ظل أسوأ الاوضاع المادية والنفسية ورفضهم الواضح والصريح للاستيطان أكبر عملية تحد ورفض عرفها التاريخ مارسها شعب صغير اعزل ؛ ضد مؤامرة بحجم المؤامـــرة الامبريالية الصهيونية المستمرة على الامة العربية باسرها .

وفي لبنان امتدت المقاومة الفلسطينية قبل الخامس من حزيران وبعده، وبعد أن سقط الكثير من الاقنعة المزورة في المجتمع العربي ، مما اكسب المقاومة جماهيرها وأنصارها في كل مكان ولكن وفي لبنان ايضا وبالذات وفي اعلى مراحل المد الثوري المسلح ، وقبل ان تتضح معالم المؤامـــرة الدولية على حركة المقاومة ؛ رأت المقاومة الفلسطينية ولمست في الساحة اللبنانية خصوصية معينة حرصت وما زالت تحرص على تعميق فهمها لها، متجاوزة بعض مفاهيمها من اجل تعميق هذا الفهم ؛ ومدركة ان تحصين هذا الواقع الراهن هو من مهام ابنائه ومسؤوليه ؛ تاركا للنضال الثوري الشامل الطويل المدى ؛ فرصة لتحقيق الثورة في جميع اجزاء الوطـــن العربي .

وهكذا ، فانه من خلال فهم الثورة لخصوصية الساحة في لبنان ، ومن خلال فهمها للوضع العربي المتردي ، وحتى لا تصبح الثورة الذريعة التي تمارس «اسرائيل» من خلالها ابتزازها للارض اللبنانية ؛ توصلت الثورة عام ١٩٦٩ الى عقد اتفاقية كما اتخذت سلسلة ترتيبات تسهل مهمة الاطراف المعنية في التعامل وتحديد صيغ العلاقات فيما بينها . ولقد ثبت انه بالرغم من الازمات العابرة والاجواء المتوترة التي تنشأ بين الحين والاخر ، فلقد استطاعت حركة المقاومة والسلطات اللبنانية ان تتجاوز هذه الازمات من خلال الحوار المتبادل وموقف الجماهير اللبنانية وقواها الوطنية الواضح والصادق من هذه الازمات والتي كان يسهم دائما بتطويقها ومنعها من التصاعد . .

فما الذي يحدث اليوم ؟ ومما تشكو المقاومة ؟ وماذا يمكن ان يحدث ؟ وكيف نجابهه وكيف نفهمه ؟

ان ما يحدث اليوم على الحدود اللبنانية هو استمرار لما حدث على امتداد الاشهر الطويلة الماضية ؛ حشود اسرائيلية ؛ ومن ثم خلق الذريعة ، ثم ضرب وقصف التجمعات السكانية ؛ اللبنانية والفلسطينية بدون تمييز . والذي يبدو ان عمليات الابتزاز هذه لن تتوقف ما ظلت الاطماع الصهيونية قائمة وما لم تضع الامة العربية بأسرها لها حدا ؛ فالذي يستمع الى اذاعة العدو ، يستمع الى التحريض المستمر ، ويستمع الى الحجج الواهية التي يحاولون بها تغطية موقفهم الدولي ؛ مع العلم بان لبنان الدولة قد سجلت اكثر من نصر في هذا المضمار ومن خلال بعض دول اوروبا التي تدرك الحقيقة كاملة وتتعاطف مع لبنان .

وفي رأينا أن أستمرار هذا التحشد المتقطع والمنظور حينا والمعترف به وغير المنظور احيانا اخرى وغير المعترف به ، سيؤدي في النتيجة الى مفاجأة لا بد من التنبيه لها ؛ لبنانيا وعربيا ، لانها قد تهدف فيما تهدف اليه بالاضافة الى احتلال الارض وتحقيق الاطماع في الارض اللبنانية ؛ ذبح وسحق التواجد السكاني الفلسطيني في المخيمات اللبنانية والاراضي العربية المتاخمة .

وفي رأينا ايضا ان هذا المنطق ليس غريبا على العقل التوسعي الصهيوني فالفلسطينيون كما يبدو وحيثما يكونون يشكلون عقبات بشرية في وجه بقاء «اسرائيل» وتوسعها ؛ ولعل هذا مما يساعد على تفسير حملات الارهاب المسعورة التي خاضتها الصهيونية في الماضي وتخوضها اليوم ضد الافراد والجماهير والتجمعات البشرية الفلسطينية في الوطن المحتل وأوروبا والبلاد العربية .

ولسنا هنا في مجال تبيان الخطر الصهيوني على لبنان ، فلقد سبقنا الى ذلك كثير من الكتاب والمفكرين اللبنانيين انفسهم ، وما يعنينا في هذا الموضوع هو اننا ننبه ونحذر بعد ان ثبت بالممارسة موضوعية الموقف الفلسطيني من لبنان ، هذا الموقف الذي عبرنا عنه اكثر من مرة والذي نريد ان نكرره لتستوعبه كل الجماهير اللبنانية بكافة فئاتها لتكون حصن الثورة وسندها في وجه قوى الثورة المضادة التي ما زالت تعمل على تعميق الخلاف وافتعال الاسباب الواهية للصراع .

ان ارض لبنان عزيزة وغالية على كل فلسطيني ، والجراح التي تسيل من صدر اي مناضل وفي اي ساحة من ساحات هذا الوطن ستظل رمزا وشاهدا على محبة الفلسطينيين للارض العربية التي يعتبرونها أجزاء لا تتجزأ من ارض فلسطين ، ومن هنا كان الزعم او الاعتقاد بان الثورة في سبيل تخريب المعادلات الدولية ، وايقاف المؤامرات عليها تعمل على التفريط بأرض لبنان ، زعما خاطئا ، واعتقادا بعيدا عن فهم عقل الثورة وحقيقة الثوار ، وشركا تنصبه «اسرائيل» والقوى العميلة في المنطقة لايجاد التفرقة والصراع والاحتلال .

ان موقف المقاومة كان واضحا وجليا وصريحا من كل هذه الامور ، وهذا يعني ان موقفها واضح وصريح تجاه لبنان ، ليست في حاجة للتدليل عليه، وحسبها بالرغم من الضيق الذي تعانيه من شتى انواع الاستخبارات المضادة ، انها رفضت نقل الصراع لهذه الساحة الحساسة ، وتحملت ما تحملته من أذى واستفزاز .

بقي ان نكرر ان حركة المقاومة الفلسطينية من ضمن فهمها لحركة التاريخ تعرف بالضبط ماذا تريد في مسيرتها الطويلة الظافرة ضد الهجمة الصهيونية الامبريالية . والذي يعرف كل هذا حري به ان يعرف ماذا يريد من لبنان تماما .. والاجدى بالذين يعملون باستمرار على تسميم الاجواء وخلق المناسبات للصراع ، ان يكفوا عن محاولة تحويل المقاومة الى كبش فداء في اسواق العجز والتراجع المفروض عليهم . فالثورة لن تكون كبش فداء لاحد .

لقد قال كبير ذات يوم من لبنان : «ان لبنان لا يغدر بالثوار واصحاب الحق» ونحن نقول وبنفس الروحية والوعي والمسؤولية : «والثورة لا تغدر بلبنان» وسبيل الثورة للنصر هو القتال والقتال وحده .

فلسطين الثورة : العدد ٢٦
٢٠ كانون اول ١٩٧٢

عيوننا ترنو للبعيد

في غمرة كل الافراح والاحزان التي يعيشها الثوار الحقيقيون في كل مكان وزمان ، تطل علينا الذكرى الثامنة لانطلاقة حركة المقاومة الفلسطينية، ونحن اكثر ما نكون ايمانا بسلامة طريقنا على وعورته ... واكثر ما نكون صمودا ووعيا على خطط ومشاريع التآمر والاستسلام المطروحة في المنطقة لتصفية «قضية فلسطين» محور وكبرى قضايا الامة العربية بأسرها من الخليج الى المحيط .. كما تجيء هذه الذكرى ونحن اكثر استيعابا للتجربة الثورية عبر السنوات الثمانية الماضية بانتصاراتها ونكساتها وكل ما لها ، وكل ما عليها ، لاننا بالتجربة والممارسة عبر النضال الشاق الصعب الطويل، اتضحت لنا معالم وآفاق جديدة ، وتبدد الكثير من الاوهام ، وسقط الكثير من الاقنعة ، وزال العديد من السلبيات التي كانت تتحكم بالمسيرة الثورية مما يساعد على اعادة النظر في كثير من الامور ويرسخ الكثير من الركائز والقناعات ، وبالتالي يدفع بالمسيرة المسلحة الشعبية الظافرة خطوات الى الامام ــ عبر كل حقول الالغام ــ على طريق النصر والتحرير .

ما اكثر الافكار والكلمات التي يمكن ان تتجاذبنا في زحمة هذه الذكرى، سنحاول ان نكثفها بقدر المستطاع ، ونجعلها هادفة بقدر المستطاع ونسوقها بموضوعية بقدر المستطاع ايضا ، حتى لا تغلب الذكرى ، والذكريات على حقيقة ما تمثله وما تجسده حركة المقاومة ، وحتى لا تكون ذكرى الانطلاقة على حساب معنى الانطلاقة ، لان الفكر الموضوعي المجرد ، والكلمة الهادفة المكثفة ، وحدهما يستقطبان الاهتمام والعناية في مثل هذه الذكرى الهامة الرائدة في تاريخنا القومي المعاصر . ولعل الثوار وحدهم هم القادرون على التعبير عن مشاكل الثورة وقضاياها ، شجونها واشجانها ، وعن همومها

الحقيقية ، لاسيما في مرحلة الحركة الدائمة : مرحلة المد والانحسار ، مرحلة الانتصارات والنكسات ، مرحلة التجربة والخطأ .. ذلك لان الثوار الممارسين الذين يعيشون قضايا الثورة وهمومها ، يتحركــون ويفكرون ويكتبون من موقع الالتزام بالثورة ، والثورة بالنسبة اليهم قضية معانـاة وحياة ، وقضية ايمان واختيار ، وليست قضية تحليل وتصوير، او قضية تشاؤم وتفاؤل ، وحماس ، او يأس وملل ..

ولسنا بمناسبة هذه الذكرى في صدد تقديم الحساب لاحد ، فليس على الثورة من رقيب سوى ضميرها الثوري ومبادئها ومنطلقاتها التـي تتمسك بها ، وسوى جماهيرها الملتزمة بها والتي تساندها وتشاركهـا وتحبها بأخطائها وخطاياها ، والتي تدرك بحسها العفوي ووعيها على ضرورة وجود الثورة ، اسباب الانتصارات واسباب النكسات ، ولهذا فليس من حساب تؤديه الثورة لاحد الا لها .

وبعد ذلك ... فلقد كانت ثورتنا بالذات وستظل دوما في موقـع المحاسِب وليس في موقع المحاسَب لانه في مجال الحديث عن الاخطـاء والخطايا يتضح كل يوم ، وينكشف كل يوم وعلى المستويين ، العربـي والدولي ، من هي الجهات والفئات والدول والهيئات ، التي تحتاج الـى حساب ومحاسبة ومعاقبة .

ولسنا ايضا – بهذه المناسبة – في مجال تقييم الثورة ، لاننا من خلال فهمنا العميق لمعنى الثورة ، ومن خلال ادراكنا للقيمة التاريخية للانطلاقة التي نحتفي بها هذا اليوم ومن خلال نظرتنا الشمولية المستقبلية للثـورة نعرف أن منطقها لا يتجزأ ، ولذلك فان اي محاولة التقييم من خلال الابتعاد عن الفهم الكلي الثورة ماضيا ، وحاضرا ، ومستقبلا ، من خارج اطارهـا التاريخي ، انما هي محاولة ارباك مقصودة تستهدف النيل من عدالـة القضية المصيرية التي تناضل الثورة من اجلها . وهذا لا يعني من بعيد او قريب ، اننا لا نمارس النقد البنّاء ، والنقد الذاتي واعادة النظر في الاطوار والمراحل التي تمر بها الثورة ، والتي تحتاج باستمرار الى عمليات تصحيح وتسديد . ولكن النقد واعادة النظر والتصحيح تظل شيئا ... وعمليات التقييم والحكم على الثورة تبقى اشياء اخرى يمارسها احد اثنين : اعداء الثورة او الجاهلون بقوانينها وحتمية انتصارها .

.... يظل ، وعلى ضوء كل ما تقدم ، ان نستخلص وان نبرز مـن تجربتنا الثورية – في ذكرى هذه الانطلاقة – اخصب واغنى ما فيها على كافة المستويات النظرية والعملية ، وعلى مختلف الاصعدة السياسيـة

والاجتماعية ، ولسنا نفعل ذلك من باب اغناء النقاش والجدل ، او من باب تعميق مفاهيم او افكار معينة . وانما من منطلق تاكيد حقائق ثورية ، وتجسيد ركائز ثورية فرضتها الثورة واثبتت الممارسة انها من صلب منطلقاتها بالرغم عن كل السلبيات والاخطاء التي تحكمت في مسيرتها .

وفي راينا ان بعض الحقائق الهامة التي يجب ابرازها في ذكرى هذه الانطلاقة يتلخص فيما يلي :

اولا : ان شروط استمرار الثورة متوفر لها ، فليس من باب الصدفة ان تناضل حركة المقاومة الفلسطينية ، منذ ولادة الاراده الفلسطينية الجديدة وحتى اليوم ، ومن ضمن هذه الاوضاع الشاذة – العربية والدولية – وما تزال قادرة على الحركة وعلى العطاء في مختلف الميادين والساحات ، بل تكاد تكون الشيء الوحيد النابض المتحرك في المنطقة . وليس ادل على تنامي وتعاظم وتأثير حركة المقاومة الفلسطينية – بالرغم من تعدد النكسات – من حجم الهجمة المضادة عليها وازديادها المضطرد والذي اخذ ويأخذ اكثر من شكل بربري دموي بقيادة الامبريالية والصهيونية العالمية والرجعية العربية . ان تعاظم هذه الهجمة واستبسالها لاجهاض المقاومة ، دليل على وجودها وتعاظمها . وليس بالصدفة ايضا ، ان مرت وتمر بعض الاوقات التي بدا فيها العالم باسره وكأنه في حرب ضروس طاحنة مع حركة المقاومة في مختلف الساحات . فالمقاومة اذن وفي ذكرى انطلاقتها الثامنة اكثر تأثيرا وفاعلية ورسوخا وقدرة على الاستمرار من اي وقت مضى بالرغم من كل ما تعرضت وتتعرض له وهذا يعطيها في راينا المناعة ، ويمنحها العبرة للمستقبل .

كما ان شروط استمرار الثورة متوفر لها في فكرها السياسي النظري المعبر عنه بمنطلقاتها الاساسية والتي يضمها اليوم ميثاقها الوطني ، وبرنامجها السياسي ، وحصيلة الافكار والنقاشات والحوارات التي دارت في مؤسسات الثورة العلمية والتخطيطية والاعلامية ، والتي تشكل في راينا قمة من قمم الفكر الثوري المعاصر ، ولدت وتكرست من خلال النضال والمعاناة والعطاء ، هذه الافكار التي تشكل بمجموعها دليل عمل حركة المقاومة النظري والعملي وترسي الاسس السليمة «لمعنى الانطلاقة» واهدافها ، وتضع استراتيجيتها الشاملة في الكفاح المسلح وحرب الشعب من اجل التحرير الشامل والتي اعطت للثورة مضمونها التقدمي الحقيقي .

لقد اسقط فكر الثورة المتبلور في منطلقاتها وميثاقها الوطني ، وبرنامجها السياسي ، والتي تعكس نفسها على ممارسات الثورة ، كل

التكهنات والتخرصات والفلسفات حول منطلقات الثـــورة الفلسطينية . وسقط بالتالي دعاة الاقليمية الحقيقيون ، ودعاة القطرية المزيفون ، ودعاة التسويات والحلول الوسطية المتربصون بالثورة والمزاودون عليها بالشعارات الفوقية من الذين يترعرعون في احضان الامبريالية والرجعية المحلية هنا وهناك . كما اسقط فكر الثورة النظري الممارس بالبندقية دعاة الدولـــة الفلسطينية العميلة المرتبطة ، وكشف اصحاب الدعوة الحقيقيين لمثل هذه المشاريع ايضا في كل مكان .

كما ان شروط استمرار الثورة متوفر لها بوجود وصمود اداتهـــــا الضاربة التي ما زالت تستطيع ان تصول وان تجول وان تطول ، مهما تغيرت عليها الظروف ، واغلقت من دونها الجبهات . وانه بالرغم من الشوائب التي ما زالت تشوب وحدة هذه الاداة ــ وسنتعرض لذلك لاحقا ــ فانهـــا استطاعت ان تعمل من ضمن قدراتها الكثير . واستطاعت ان تصمد في اكثر من ساحة ، مؤمنة بذلك حماية الثورة واجهزتها المختلفة ، ومؤمنة القدرة على الحركة لقطاع كبير من الجماهير الفلسطينية والعربية المشاركة للثورة والمتعاطفة معها .

هذه بعض شروط استمرار الثورة الكثيرة المتوفرة لها ، ولا مجال هنا للخوض فيها كلها ، على انه لا بد من الاشارة ان ثمة شروطا موضوعية كثيرة غائبة قد تعرقل من مسيرة الثورة وتطيل فيها ومن هنا فان قدر الثورة وواجبها ايجاد هذه الشروط وتحقيقها والنضال من اجل خلق الظروف المثلى التي تتحقق من خلالها الشروط في هذه المسيرة الصعبة الشاقـــة المحاصرة . والمهم ان الثورة قادرة على الاستمرار اليوم بغياب بعض هذه الشروط ، وهذا من اسرار قوتها وايمانها وفهمها لحركة التاريخ .

ثانيا : لقد ابرزت الثورة ، الشخصية الفلسطينية ، وبعثتها الى الوجود حية نابضة ، بعد ان كادت تضيع معالمها الاصيلة بين غمرة التناقضـــات والصراعات العربية ، وبين حدة ووطأة المؤامرة الصهيونية العالمية ، وفي راينا ان هذا الانجاز من اخطر واهم منجزات الثورة ، في عصر تكاد تبتلع الامبريالية والصهيونية العالمية فيه ، كل شيء ، وفي زمن بلغ فيه نفـوذ «اسرائيل» الدولة مداه ، فاتضحت عنصريتها ، وبانت ابعاد فلسفتهـــا التوسعية ، ولم تخف كل ذلك بالممارسة مؤكدة في كل يوم ، ان الشعب الفلسطيني يشكل العقبة البشرية امام اطماعها فلا بد من زواله . امام كل ذلك ، وفي وجه كل ذلك قامت الثورة ، وكان لا بد وتحت وطأة بنادقها ان تتهاوى وبسرعة الكثير من الاوهام التي كانت تطغى على عقول وافكار الراي

العام العالمي بأسره . وعاد اسم فلسطين ، عاد كما لم يكن سابقا ، باهرا قويا ساطعا ، ينشغل به وفيه ، الاعداء والاصدقاء على السواء ... وفي راينا ان عملية البعث هذه كانت ضرورية وبهذا المستوى من التفجير ، وفي رأينا ومن ضمن فهمنا لحركة التاريخ ان في هذه الخطوة التي تبدو بسيطة للبعض ، قطعنا نصف الطريق ، اما النصف الاخر فهو التحرير الشامل .

ثالثا : اتضح وبشكل لا يقبل معه الجدل ، ان البعدين العربي والعالمي من صميم منطلقات وفكر الثورة الفلسطينية . فلقد انطلقت الثـــورة فيما انطلقت اليه لتفجير الطاقات العربية المبدعة في مختلف الساحات ولقـــد التفت بأجنحة ثورية مختلفة اسهمت معها في اخصاب التجربة الثوريـــة المرجوة ، ومن ثم وبالرغم من العثرات والعقبات التي قامت بوجه المسيرة، وعمليات الضغط المنكررة التي مورست وتمارس على حركة التحرر العربي التي لم تندمل جراحها بعد ، منذ نكبة الخامس من حزيران ، قامت الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية . وتجسدت في برنامج سياسي وقيادة طليعية ما زالت تعمل وتناضل من اجل استكمال تنظيمها . اما على الصعيد العالمي ، فلقد قامت اكثر من جبهة مساندة . واكثر من تنظيم ثوري تقدمي بالالتفاف حول حركة المقاومة الفلسطينية ؛ كما شاركت كل حركات التحرر في العالم في نصرة قضية الثورة ، واعتبرت منطلقات الثورة الفلسطينية من صميم منطلقاتها عندما اعلنت الثورة انها جزء من حركة التحرر العربي وبالتالي من حركة التحرر العالمي .

رابعا : لقد ولدت المقاومة الفلسطينية وهي تحمل معها مأزقها . فلقد طاردت السلطات العربية المختلفة واعتقلت رجال المقاومة قبل الخامس من حزيران ، ولقد جاءت نكبة حزيران لتؤكد لحركة المقاومة ان سبيلها النصر هو الكفاح المسلح بعد ان سقطت الاقنعة ، واتضحت مخططات الصهيونية العالمية التوسعية التي كانت تعبث وتراوغ الانظمة العربية . ولقد اعطت النكبة مدا ونفسا جديدا لحركة المقاومة . واستطاعت عبر الهزيمة العربية وعبر الفراغ ان تجسد نفسها عمليا على مختلف الساحات ؛ وان تنطلـــق لتقاتل الصهيونية في معاقلها . فكانت ردا بليغا على النكسة ؛ حرك الامل في صدور ابناء الامة العربية ، وادهش العالم . ولكن سرعان ما اتضحت خطورة الثورة للامبريالية والصهيونية العالمية ؛ وللعديد من الانظمة العربية التي صفقت للمقاومة في مطلع نضالها المسلح بعد ١٩٦٧ . وبدات حلقات التآمر على اعلى المستويات الدولية والعربية لايقاف هذا المد الثـــوري الزاحف .. وذبحت المقاومة في اكثر من مكان باسم الاخطاء والخطايـــا

والهفوات والمخالفات ، وكاد قسم من شعبنا يقع في منطق القوى المضادة الثورة ..

ولكن سرعان ما بدات تتضح الحقيقة ، عندما لاحت مشاريع الاستسلام والعمالة ، واستمرت الثورة تقاتل تحت أسوا الظروف والاحتمالات ، اتضحت الحقيقة للجماهير ولكل الشرفاء في الوطن العربي ، وفهم الشعب طبيعة المأزق الذي وصلت اليه المقاومة ، فهمت الجماهير ان المأزق يكمن في مجموعة هذه الانظمة التي تولت القضية منذ الهزيمة الاولى ، كما طالبت الجماهير حركة المقاومة ان تخرج بحكمة وشجاعة واستبسال من هذا المأزق وتتابع نضالها البطولي المسلح بأي ثمن ... وليس يعني هذا الكلام ابدا ان المقاومة تنفي السلبيات والاخطاء ... ولعلها ركزت وبالغت احيانا من ضمن الظروف النفسية التي احاطت بها على هذه السلبيات والاخطاء، وكادت نفسها تقع فريسة لمنطق القوى المضادة للثورة . فالسلبيات موجودة ، والاخطاء قائمة ، والطبيعي ان تكون موجودة وقائمة ، فالفدائي انسان وبشر ، والقيادات تجتهد وتخطيء ، ولكن مرة اخرى والمائة بعد الالف ومن ضمن فهمنا للظروف التي نشأت فيها المقاومة ، ومن ضمن فهمنا المتطور لمختلف الساحات العربية ، نقول للحقيقة وللتاريخ ، ان ضخامة المؤامرة المستمرة على حركة المقاومة كان من الممكن ان تثمر وان تحقق اهدافها مرحليا ، لولا الصلابة والجهد والايمان والصمود الذي بذلته حركة المقاومة في التصدي لكل هذه المؤامرات. ولقد اكسبتها هذه الصلابة قوة ومرونة ، واعطتها القدرة على الاستمرار ولملمة صفوفها وجراحها التي كانت تبعثر بين الحين والحين . اذن فهذه حقيقة اخرى يجب ان تتكرس لنعرف كيف نسير ، حقيقة تعرفها كل الجماهير وهي : ان المأزق تتحمله مرحليا وتاريخيا مجموعة الانظمة العربية ، العاجز منها عن القتال بحكم التردد وعدم الاستعداد او المنحرف منها والمرتبط عضويا بالامبريالية والصهيونية العالمية .

خامسا : ان الوضع الذاتي للثورة هو باستمرار موضع اعادة النظر والبحث والنقاش والحوار ولسنا في معرض تبيان وتفصيل الرواسب التي سحبت نفسها على حركة المقاومة الفلسطينية . والمهم اننا نعرف هذه الرواسب ، ونعرف اسبابها ومسبباتها ، ولقد خضنا نظريا وفي اكثر من مناسبة في بحثها وتفصيلها .

والذي لا شك فيه اننا حاولنا تجاوزها بالتصحيح حينا ، وبالبتر احيانا اخرى ، كما ان نضال فصائل حركة المقاومة من اجل دفع الوحدة

الوطنية من ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، اخذ عدة اشكـــال ومحاولات ؛ تهدف فيما تهدف اليه الى اقامة الجبهة الموحدة ذات الانتماء والاداة الواحدة الثورة . ولقد قطعت حركة المقاومة في هذا السبيل اكثر من خطوة الى الامام وما زالت تناضل من ضمن قدراتها لتحقيق هذا المطلب الجماهيري والاستراتيجي في وقت معا .

ان الحديث في موضوع الوحدة الوطنية . حديث سيطول لو دخلنا في دقائق تفاصيله . ولكن الحقيقة التي يجب ان تبرز هنا وفي هذا الصدد . ان ضغط الجماهير العفوي قد ولد حالة ايجابية في صفوف القواعـــد الممارسة ، والتي تضغط بدورها على القيادات لاقامة التنظيم الثوري الموحد لحركة المقاومة الفلسطينية . المرتبط ببرنامج سياسي واحد وباداة واحدة، وبالتالي بقيادة واحدة . .

وفي رأينا ان الوصول الى ذلك لم يعد من الصعوبة بمكان ؛ كما يحاول ان يصوره دعاة التشاؤم ؛ فلقد نضجت اشياء كثيرة في الساحة الفلسطينية؛ واعيد النظر جذريا باشياء كثيرة اخرى ؛ تؤدي في النتيجة الى توحيـــد الاداة من اجل الهدف المشترك . والذي لا شك فيه ان الوحدة الوطنيـــة قائمة وتمارس في حدها الادنى . ولكن ذلك لم يعد يحقق طموح الجماهير والمقاتلين ولا يفي بمطلبات الثورة ؛ وفي رأينا ان الاشهر القليلة المقبلة سنشهد بالممارسة صيغة اكثر تقدما للوحدة ؛ بدأت القيادة السياسيـــة تمارس بعض اوجهها من ضمن قدرتها والظروف التي تعيشها .

سادسا : ان الثورة الفلسطينية التي تناضل وسط حقول الالغـــام المحيطة بها ؛ لا تعيش بمعزل عن هذا العالم . فهي واعية كل الوعي علـــى مجمل تياراته السياسية والاجتماعية . وعلى متغيراته من ضمن موازيـــن القوى التي تتحكم فيه ؛ والثورة تعرف كيف تراقب وكيف تتحرك وكيف تستفيد من كل ذلك . الا انها ايضا ومن خلال منطلقاتها الاساسية وعلى ضوء تجربتها الغنية حسمت وفرزت في المعسكر الدولي ؛ كما حسمت وفرزت في الواقع العربي الرسمي ، وبالتالي حددت معسكر الاعـــداء والخصوم الممثل بالامبريالية والصهيونية العالمية وعلى راسها الولايـــات المتحدة ، ومعسكر الاصدقاء والحلفاء الممثل بالمنظومة الاشتراكية وعلـــى راسها الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي .

ظل ان نقول : في غمرة كل الافراح والاحزان التي يعيشها الثـــوار الحقيقيون في كل مكان وزمان . تطل علينا الذكرى الثامنة لانطلاقة حركة المقاومة ، وعيوننا ترنو للبعيد ، للمستقبل . اما الماضي فلنا منه جذوره

وتراثه وعبرته ؛ واما الحاضر فاننا نعيشه ونعانيه عرقا وصمودا ودماء وشهداء . واما المستقبل فنحن نتطلع اليه . ونخطط له ، ونستعد له ؛ ونحن واعون على طبيعة مسيرتنا . وصدقها . واصالتها ، وحاجتها التاريخية الماسة ؛ لأمتنا المغلوبة اليوم على امرها ؛ هذه الامة التي نعرف طاقاتها ؛ وامكاناتها ؛ التي لا بد ان تتفجر لتنتفض على كل الزيف ، وكل الاستسلام ، وكل التراجعات التي تمارس في المنطقة العربية .

في هذه الذكرى ، نطل بقلوبنا وأفئدتنا وعيوننا على الابطال من مقاتلينا المؤمنين برسالتهم في الفداء والتضحية من اجل الانسان العربي ... من كان منهم في الارض المحتلة ؛ او في طريقه اليها ، او كان في جبل الشيخ بين الثلوج والاعاصير في انتظار اداء دوره في معركة المصير ؛ او من كان يحمل القلم في كل بقعة من ارجاء العالم ليدافع عن حق امته في الحياة . لكل هؤلاء كلمة حب ووفاء وعهد . حتى النصر أو الموت .. فنضالنا واستشهادنا من اجل امتنا هو خيارنا الوحيد ، بالكفاح المسلح وحرب الشعب .

فلسطين الثورة

١ - ١ - ١٩٧٣

المجلس الوطني الفلسطيني ...
إنتصار الخط القتالي والارادة المقاتلة

مع صدور هذا العدد من مجلة «فلسطين الثورة» يكون المجلس الوطني الفلسطيني الذي يعقد اجتماعاته في احدى قاعات مقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية قد انهى اجتماعاته لهذه الدورة وعاد قسم من اعضاء المجلس الوطني الى مواقعهم بينما البعض الاخر يتاهب للعودة او هو في طريقه اليها فعلا ...

ومهما قيل عن الدورة الحالية للمجلس الوطني الفلسطيني وفيها ... ومهما حاول المتتبعون لشؤون السياسة عامة او المهتمون بالشؤون الفلسطينية والعربية خاصة تقييم هذه الدورة فان هذا التقييم يظل في محصلته النهائية قاصرا عاجزا عن ان يصل الى الاحاطة بكل الصورة بسبب شمول آفاقها من جهة وبسبب خطورة التجول ضمن تفاصيلها التي تتشابك على مسطح الصورة لتجعل من المتعذر لمس كل دقائقها دون الوقوع في خطأ التقدير الذي يقود الى اكثر النتائج خطأ ضمن أدق المقاييس ...

من هنا كان لا بد لنا من حديث عن المجلس الوطني الفلسطيني ربما لا يكون شاملا ووافيا ومحيطا بكل الصورة لاننا ندفع بهذا المقال الى المطبعة قبل ان ينفض من المجلس وعنه سامروه ... وقبل ان يصدر عنه بيانه الختامي او تتمخض عنه قراراته المتوقعة .

لكن الكلام على اي حال يظل ملتصقا بالصورة الحقيقية والواقعية متبثقا عنها ويظل حديثا مسؤولا ينسجم وشرف الانتماء الثورة الفلسطينية التي

ما تزال تشكل أشرف الظواهر في المنطقة وما يزال مقاتلوها الذين يطوون الليالي والايام في خنادقهم مستنفرين متأهبين او يمضـــون عبر الارض المحتلة منكبين بنادقهم وارادتهم الصلبة الفذة التي لا تلين ..

ونقول ...

ان ألدورة الراهنة للمجلس الوطني الفلسطيني قد انعقدت وســط ظرف من اخطر الظروف التي يمر بها النضال التحرري الفلسطينـــي والعربي ..

فحالة اللاحرب واللاسلم المخيمة بثقلها القاتل على المنطقـــة تسحب نفسها على اجتماعات المجلس وتخيم فوق رؤوس المجتمعين لتشكل جزءا اساسيا من مهامهم ألملحة والراهنة التي من المفروض ان تضغط بكل ثقلها لانهاء هذه الحالة ..

ومجمل المؤامرات واوضاع الحصار ومشاريع الاستسلام وما يمكــن رؤيته على امتداد الافق من النزوع الى الاستسلام للسلم الاسرائيلي والسلم الامريكي والترامي تحت اقدامه ... تشكل كذلك أســا يتحاور حولها ومن ضمنها اعضاء المجلس لمجابهة هذه المؤامرات ولتحطيم ذلك النزوع الـــى الاســـلام ..

والمبادرات الامريكية تشكل اساسا آخر تتحلق حوله اهتمامات المجلس وحواراته المتواصلة لتصل الى صيغة او صيغ تلتزم بها كافة فصائل الثورة لاسقاط هذه المبادرات بكل ابعادها وآفاقها ...

والتحرك الرجعي المشبوه في منطقة الخليج العربي الذي بدأ يفتحم أفق المنطقة ليشكل بعدا تآمريا جديدا يضاف الى الابعاد التآمرية الاخرى التي تحتشد وتمتليء بها المنطقة يجعل مهمات المجلس الوطني في دورته الراهنة اكثر دقة وتعقيدا ويدفع بالتالي الى المجلس بمزيد من الحـــوار والنقاش الصاخب ...

ان هذا كله مضافا اليه ظروف اخرى تتعلق بخصوصية الوضـــــع الفلسطيني وما يعتري هذا الوضع من تداخلات عربية تعيق بعض حركته.. يجعلنا نؤكد بان المجلس الوطني الفلسطيني في دورته هذه يمضي وسط طريق مليء بالكثير من الاشواك الدامية . ورغم ان المجلس في محصلتـــه المرئية التي تمخض عنها حتى الان والتي يبدو انه سيتمخض عنها لـــدى آخر اجتماعاته لهذه الدورة لن يحسم كل الامور والقضايا وخاصة فيمـــا يتعلق بمسألة الفرز الدقيق والصريح لمعسكر الاصدقاء ومعسكر الاعداء الا

ان هناك بعض القضايا الهامة التي حسمها المجلس كما ان هناك قضايا اخرى يبدو بكل تأكيد انه سوف يحسمها وذلك من خلال قراءتنا للخط الذي تجري فيه ومن ضمنه مناقشات المجلس . .

فالمجلس استطاع ان يستقطب الاغلبية الساحقة من آراء اعضائه حول اهمية جعل اسقاط النظام الملكي الحاكم في الاردن من اوليات النضال . وذلك بعد ان استطاع ان يجعل من هذه الاولوية محورا تدور عليه ومن حوله المناقشات لتجسيده وتكريسه ولتأكيد القرار الصادر بشأنه في البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي اقر في المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في ربيع العام الماضي . . .

وبذلك يكون المجلس قد اكد من خلال فهم واضح وعميق لابعاد ومهمات ومتطلبات المرحلة الراهنة بأن الساحة الاردنية وهي الساحة الرئيسية للنضال ضد العدو ينبغي ان تعود الى حظيرة هذا النضال وذلك بقمع النظام الملكي الهاشمي من فوقها واقامة حكم جماهيري وطني ديمقراطي فوقها . . .

والمجلس الوطني الفلسطيني استطاع كذلك ان يمضي خطوة الى امام على طريق الفرز تبشر بتوسيع هذا الفرز مستقبلا باعتباره طريقا مركزيا لتنمية وتعميق نضال الجماهير العربية ضد اعدائها الذين يعري الفرز اقنعتهم عن الوجوه وبالتعاون مع اوسع الحلفاء المرحليين والاستراتيجيين . .

واذا كان المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الراهنة قد شدد على خط القتال . . .

واعتبر الدعوة الى تعميق هذا الخط وتكريسه اولى المهمات التي سعى اليها وتكرس لها . . .

فذلك لان الفهم الثوري العميق لمعطيات المرحلة وكذلك الادراك الواضح لمقتضيات الاستراتيجية قد فرضا ضرورة التأكيد والتشديد على هذا الخط لفظا وممارسة وكحل وحيد لمسألة العدوان الصهيوني والتحدي الامبريالي والتسلل الاحتكاري الاخطبوطي داخل المنطقة . . .

ولربما جاء تحرك الجبهة السورية واشتعالها اثناء انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بمثابة دليل عملي اكد القناعة بضرورة تعميق خط القتال وبأن القتال هو الحل ولا حل غير القتال . . . وان الهيبة او التهيب من هذا القتال لا يقود سوى الى الطريق الاخر ، طريق الوقوع في هاوية الاستسلام المهين والتخاذل الجبان والقاتل . . .

ان التحرك السوري في اتجاه القتال والرد بعنف على العدو مضافا الى التحرك المتواصل للثورة الفلسطينية في اتجاه القتال قد احرج كثيرا وكثيرا جدا المواقف المترددة في المنطقة ...

كما ان النار المشتركة المنطلقة من فوهات بنادق الثوار ومدافع وطائرات ودبابات ومقاومات جنود الجيش العربي السوري قد وضعت السلم الاسرائيلي والسلم الامريكي المتسلل الى المنطقة عبر حالة اللاحرب واللاسلم أمام الطريق الحائر والمسدود ... واحرجت بلا رحمة المواقف الخائرة التي ظلت تتلمس مخرجا لها عبر المناورات ومقترحات التسوية رغم ما تنطوي عليه من مهانة ومذلة ومن سقوط تاريخي لكل المنطقة ...

ويظل المجلس الوطني الفلسطيني بكل ما له وما عليه وبكل ما يخرج منه ويدور فيه ... منبرا للحوار الذي يسطع وامضا وسط الظلمة الخانقة ..

وايضا المجلس الوطني الفلسطيني من ضمن الحوار الديمقراطي الذي يشيع فيه يبقى منبرا للفرز ولعل الذين وقفوا على الجزء الاكبر من حواراته يدركون جيدا ان اجتماعات المجلس التي انعكست فيها وانسحبت عليها الظروف الموضوعية للفرز التي تهيأت داخل المنطقة قد فرزت بشكل رائع الابناء الشرعيين للمرحلة بحيث أصبح سقوطهم امرا مؤكدا ...

ونخالنا نزيد ايضاحا اذ نقول ان الظروف الموضوعية داخل المنطقة والتي وضح من خلال الممارسة انها افرزت الاعداء وخاصة ذوي الوجوه المقنعة ... قد عكست نفسها على المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة وأفرزت اعداء خط القتال — على قلتهم الشديدة — من خلال محاولتهم اليائسة والبائسة جر المجلس الى ان يكون اعضاؤه اصدقاء لاعداء النضال واعداء الجماهير ...

ثمة كلمة أخيرة تقال ... وهي قد قيلت في اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية المطلة على مياه النيل الراكدة على السطح المتحركة بعنف في الاعماق ...

ان ما يهمنا هو صناعة التاريخ وليس صناعة المواقف الآنية ...

ويقينا ...

ان تكريس وتعميق الخط القتالي للثورة الفلسطينية والمضي بهذا الخط عبر الارادة المقاتلة التي نبتت وتنامت ساعة ساعة عبر ثماني سنوات مضت في عمر الثورة الفلسطينية وعام ناسع تدخله مقاتلة ...

يقينا ...

ان هذا التكريس والتعميق سوف يدفع مزيدا من الجماهير العربية ومن الجنود والضباط والفلاحين والعمال الى ان تمضي لتلحق بالثورة وبالثوار الفلسطينيين في الممر ...

تمضي بينهم ...

وتجتاز الممر معهم وبهم لتحطم المؤامرات والمتآمرين ...

ولتقمع السلم الاسرائيلي الامريكي ودعاته من المنطقة وتحل محاله السلم الحقيقي ...

سلم الجماهير المضطهدة تفرض ارادتها وتصنع حريتها وتسترد كرامتها وأرضها وسيادتها ...

فلسطين الثورة : العدد ٢٨
١٠ كانون الثاني ١٩٧٣

قضايا أساسية .. حققها المجلس الوطني

دون ان نتفاءل اكثر مما يجب ، نستطيع ان نقول ان المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الاخيرة ، قد حقق قفزة نوعية في مستوى البحث في المجالس الوطنية ، كما اعتاد ان يراها أو يسمع عنها شعبنا .

فلقد شهدت قاعة المجلس طرحا صريحا للكثير من القضايا التي كانت تمس على استحياء في الاجتماعات الماضية . كما استطاع المجلس ومن خلال المناقشات والنتائج التي اسفر عنها ، ان يبرز بوضوح اكثر الوجه التقدمي للثورة ، هذا الوجه الذي يشكل التعبير عنه بكل ابعاد التعبير ، الضمانة الاساسية والرئيسية لاستمرار الثورة ولتمكنها من تجاوز الازمة الراهنة التي تمر بها .

واذا كنا لا نريد ان نحمل المجلس اكثر مما يمكن له ان يحتمل ضمن طاقته وعلى ضوء تركيبته الحالية والظروف الموضوعية والذاتية فلا نقول انه استطاع ان يحقق المعجزات ، الا اننا من ناحية ثانية نستطيع ان نقول بان هذه الدورة قد حققت القضايا الاساسية التالية :

اولا – الذين يتابعون اجتماعات المجالس الوطنية منذ بدات وحتى آخر اجتماع للمجلس الوطني الاخير ، يشعرون ان تطورات اساسية طرات على هذه الاجتماعات خلال الدورة الحالية .

اهم هذه التطورات ان القضايا اصبحت تناقش وبمنتهى الصراحة ، لا من اجل التجريح ولا تفريغ أحقاد – وان كان التقييم في هذه القضية امرا مستحيلا – وانما بموضوعية وديمقراطية الهدف منها في النتيجة التوصل الى نتائج يجمع عليها غالبية اعضاء المجلس . لتصبح بالتالي قناعات حد

ادنى مشتركة حول القضايا التي تمس مصير الثورة .

ولقد اعطى هذا النقاش الصريح والديمقراطي ابعاده ، عندما تمكن المجلس من اقرار خطة عمل مرحلية ، وعندما عالج ادق القضايا واكثرها حساسية بروح من الجراة والموضوعية ، وعندما اختار اللجنة التنفيذية الجديدة .

ان شعبنا ، ككل عضو في المجلس الوطني ، يعرف جيدا ان اخطاء كثيرة قد ارتكبت ، وان عقبات هائلة تعترض المسيرة .

ولعله من بديهيات الامور ان يناقش المجلس هذه القضايا دون حساسيات ودون حسابات غير حسابات مصلحة الثورة الفلسطينية والجماهير العربية. فالمجالس الوطنية لا يجوز ان تكون منابر تفريغ احقاد كما لا يجوز ان تكون نسخا عن الكثير من البرلمانات العربية التي لا تزيد مهمتها عن الموافقة على ما يقدم لها من قرارات وتوصيات واوامر .

وعندما ناقش المجلس هذه القضايا توصل على الاقل الى قناعات حد ادنى مشتركة ستترك المجال مفتوحا لتحويل هذه القناعات الى ممارسات على ارض الواقع .

ان الثورة تعيش الان لحظات المصير . والذي يتولى قيادة الثورات لا يستطيع الا ان يحسم في مثل هذه اللحظات .

ثانيا ـ فرضت ارادة القتال نفسها ، وسقطت سقوطا ذريعا ، كل الدعوات الاستسلامية والانهزامية التي سعت لحرف المسار الثوري عن اتجاهه الصحيح وعن خط الكفاح المسلح عبر حرب الشعب الطويلة الامد، تارة تحت شعار التعقل والواقعية وطورا تحت شعارات موازين الرعب التي تشل الارادة الثورية وتجعلها اسيرة لحسابات بعيدة كل البعد عن حساب الثورات .

في المجلس ، في الاجتماعات العامة او اللجان كان هناك من يحاول ان يشل ارادة القتال بتضخيم الصعوبات ومحاولة خلط معسكر الاصدقاء بمعسكر الاعداء وبتهويل الواقع المحيط بالثورة .. او كان هناك من يتباكى على الخسائر والضحايا .

كما كان هناك من يحاول ان يجعل من هذا العصر عصرا لانتصار الامبريالية مخالفا بذلك ابسط مفاهيم اية ثورة .

ولكن المجلس الوطني الفلسطيني استطاع ان يسقط هذه الدعوات وانتصرت ارادة القتال واثبت المجلس نصا صريحا في مقدمة خطة العمل

يقول ان هذا العصر هو عصر انتصار الشعوب ، وان الثائر الفيتنامي الذي استطاع ان يهزم آلة الحرب الاميركية اكد هذه الحقيقة وأكـــد ان ارادة الانتصار عبر حرب الشعب هي اقوى من التكنولوجيا ومن كل اسانـــدة الحرب الامبريالية .

ثالثا ـ عبر الايام الستة التي قضاها المجلس الوطني في دورته الاخيرة كان هناك تركيز على قضية عانت منها الثورة وانعكست على أوضاعهـــا وساهمت في صنع الظروف المعقدة التي نمر بها الان ، تلك هي قضيـــة العلاقة مع الانظمة العربية من جهة ومع الجماهير العربية من جهة اخرى .

وفي بيانه الختامي أكد المجلس على ان الجماهير والجماهير وحدها هي السند ، هي التي تدافع عن الثورة لانها تدافع بذلك عن مصالحها .

وعندما تترجم الثورة هذه القناعة الى ممارسات ، تكـــون تجاوزت نفسها ، وتكون قد استطاعت ان تجدد شبابها ، وان تعود الى الارادة الـتي مكنتها من تفجير الثورة عام ١٩٦٥ وسط حصار رسمي عربي .

رابعا ـ والوحدة الجبهوية التي اقرها المجلس خطوة اساسية وهامـة على طريق تعزيز الوحدة الوطنية . ورغم التجارب المريرة فيما يتعلـــق بموضوع الوحدة الوطنية ، فان التوصل الى هذه الصيغة الجبهوية يمكن ان يكون بداية جيدة تحقق في النتيجة هذه القضية الحياتية بالنسبة للثورة. ولكن ذلك سيظل رهنا بمدى النضال الذي تخوضه قواعد الثورة من اجل تحقيق الوحدة .. وتجاوز الذات و«الأنا» .

★★★

هذه الانجازات التي حققها المجلس الوطني : اذا لم تكن في مستوى كل الآمال، فهي على الاقل تعطي للثورة ـ اذا ما تمت ترجمتها واذا ما تم اعتمادها كأسلوب دائم للعمل ـ القدرة على مواجهة التحديات القادمة وما اكثرها .

ان الثورة الفلسطينية في عام التحدي هذا ١٩٧٣ ستجد نفسهـــا معرضة لمزيد من المؤامرات سواء فوق ساحة الصراع في فلسطين او فوق الارض العربية او في كل مكان يتواجد فيه الفلسطينيون كما ستجد نفسها معرضة لحملات التطويق والتطويع الرسمية .

من الذي يضع القرار الفلسطيني ؟ سيظل خلال هذا العام هو التحدي الرئيسي ، لان من يملك صنع هذا القرار ، لا يملك تقرير مصير الشعب

الفلسطيني وثورته فقط ، وانما مصير كل ما يطرح على هذه المنطقة من مشروعات ومناورات .. فليس سرا ان ذبح الثورة هو ثمن كل الحلول التصفوية والاستسلامية ، وثمن السلم الاسرائيلي الاميركي الذي يعملون على تطويع المنطقة لقبوله !

واذا كانت هذه الثورة قد وجهت اليها طيلة السنوات الثماني الماضية حملات الابادة الجسدية والسياسية ومحاولات الاحتواء وفرض الوصاية ثم محاولات تجميد حركة الثورة ومنعها من القتال تمهيدا لخنقها .. ومحاولات تفجيرها من الداخل ، فان دلائل كثيرة تشير ان محاولة التفجير من الداخل ستكون الطابع الاساسي لمؤامرات المرحلة القادمة .

ومن يتابع الصحف المشبوهة والعميلة والمرتبطة ومن يتابع اذاعات عمان واسرائيل ولندن .. ومن يتابع الكواليس وهمساتها واشاعاتها .. يرى بوضوح هذه الحملة سواء عبر نشر الشائعات الكاذبة ، او محاولة تفجير الالغام الداخلية المزروعة في جسم الثورة والمهيأة لمثل هذا الظرف بالذات والتي لا تكاد تخلو منها ثورة ولا حركة وطنية في هذا العالم .

وثمة بعد ذلك كلمة نقولها في المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القاهرة بين السادس والثاني عشر من هذا الشهر ضمن أوسع قاعدة للحوار الديمقراطي تجاوز فيها اي مجلس سبقه ..

ان المجلس استطاع مؤكدا ان يقفز ضمن رؤية ابعد مدى وافق اكثر شمولا نحو فهم معطيات المرحلة الراهنة ..

وان يقدم من ضمن هذه الرؤية وهذا الفهم حلولا لكثير من القضايا وان يعالج من خلال التحليل للوضع الراهن المشاكل الحادة وحتى المشاكل غير الحادة التي انتقلت مع المجلس من فوق ارض الممارسة الثورية الى ارض الحوار في مبنى جامعة الدول العربية ..

وان خطة العمل التي اقرها المجلس قد وضعت معظم القضايا الاساسية في نصابها وكرست النظام الحاكم في الاردن كعقبة لا بد من القضاء عليها للوصول الى ارضية ومناخ ثوري يخدم جذريا هدف التحرير .

وفلسطين المحتلة تكرست وكما في السابق ارضا للكفاح المسلح الذي حسم المجلس انه لا يجوز النقاش فيه وحوله .

وارادة القتال واستمرار هذه الارادة وتكريسها وتنشيطها والتصاعد بها قرار خرج به المجلس ضمن خطة عمله بشكل فوت الفرصة على كل الذين حاولوا ــ وهم قلة ــ مس هذه الارادة ولو من بعيد .

ويظل المجلس الوطني الفلسطيني في محصلته النهائية مصدر اغنـاء واثـراء ..

يدفع الممارسة الثورية ضمن الحوار الديمقراطي خطوات الى الامام ...

ويعطي هذه الممارسة ابعادا وآفاقا جديده تخرج بها ومن خلالها المقاومة الى اختراق الحصار المقام من حولها .

فلسطين الثورة : العدد ٢٩

١٧ كانون الثاني ١٩٧٢

دائماً ... الى الأمام

ان الحديث عن منجزات حركة المقاومة ، لا يعني مطلقا ان ما تم وما أنجز حتى اليوم يرضي طموح الثوار في الثورة الفلسطينية . فطموح الثوار لا تحده الحدود في القضية المصيرية التي يخوضون غمارها اليوم من اجل البقاء والتحرير ، وسيظل هذا الطموح مرهونا بالنصر العسكري والسياسي والاجتماعي حتى تتوافر كافة شروطه المادية والمعنوية ؛ فيستريح الثائر ويتفيأ ظلال النصر ، او تكون قد كتبت له الشهادة في عداد الذين يقدمون اغلى ما عندهم على مذبح الكرامة والنصر والفداء .

والثورة الفلسطينية التي حسمت موقفها من ضمن هذا المنطق ، تشعر بأنه من صلب مسؤولياتها امام جماهيرها الفلسطينية والعربية ان تقف معهم بين الحين والحين ، وقفة مراجعة دقيقة تلتفت فيها نحو الماضي من اجل وضوح الرؤيا وتصحيح الاخطاء ، وتستشرف فيها المستقبل من اجل الاستمرار في النضال والقتال لتحقيق طموح الثوار في شكله الامثل .

نقول ذلك ونحن على ابواب السنة التاسعة من تجربتنا الثورية الرائدة، الطويلة النفس في الكفاح المسلح وحرب الشعب . نقول ذلك ونحن خارجين للتو من دورة مجلسنا الوطني الشعبي الحادية عشر والتي ناقشنا فيها كافة قضايا الثورة النظرية والسياسية والعسكرية وما يتفرع عنها من مشاكل حياتية تمس جوهر الثورة في الصميم . نقول ذلك لاننا لا نخاف من الحساب ، بل نطمح فيه ، من مواقع الالتزام على الصعيد التنظيمي ، وعلى صعيد الجماهير ، صاحبة المصلحة الحقيقية في التحرير والنصر .

كذلك ، فاننا من خلال ايماننا وفهمنا العميق لابعاد قضيتنا ، قضية فلسطين ، محور قضايا الامة العربية ، نستطيع ان نقول ونحن نتحمل

مسؤولياتنا امام التاريخ وأمام شعبنا ان ثورتنا الفتية التي ولدت وهي تحمل مأزقها معها ، والتي عانت وتعاني من كل الوان الحصار الامبريالي ــ الصهيوني ــ الرجعي ، تولد في كل يوم من جديد ؛ وان بذور حياتها الثورية فيها ؛ وانها الى الامام .. ودائما .. الى الامام .

فلماذا نحن دائما الى الامام ؟؟

سؤال كبير ومسؤول وهام . نتصدى للرد عليه من خلال نظرتنا الشمولية للاوضاع العربية والعالمية ؛ ومن خلال وضعنا الذاتي كمسيرة تحرير تفهم وتعي طبيعة هذه الاوضاع ، وتسير بالتالي عبر حقول الالغام المختلفة هنا وهناك ، معتمدة في الدرجة الاولى على قوتها الذاتية وارادة الموت والحياة عندها من خلال الفداء ، وعلى جماهيرها الثورية المؤمنة بها والمشاركة لها في معركتها الضارية ضد الامبريالية والصهيونية العالمية .

نحن دائما الى الامام ، لاننا فهمنا وأدركنا منذ البداية اننا مع التاريخ . فبالاضافة الى عدالة القضية التي نقاتل من اجلها على المستويين الانساني والقومي ، أدركنا طبيعة الهجمة الامبريالية الصهيونية على ارضنا وبلادنا ، ولقد بلورنا هذا الادراك في منطلقاتنا ومواثيقنا النظرية والسياسية ، وجسدناه بالممارسة والحركة والفداء ، فرفعنا بالتالي الممارسة الى مستوى الفكر ، متخطين بذلك كل الاوهام والحسابات والتمنيات التي سادت وتسود المنطقة ، ونكون بذلك قد كرسنا استراتيجية تأتي الايام والاحداث لتؤكد انه لا بديل عنها في مواجهة التحدي الضخم الذي تواجهه الامة العربية . وهي استراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب .

نحن دائما الى الامام ، لاننا ندرك ان ولادة حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة لم تكن بالصدفة ، وانما جاءت تلبية لحاجة جماهيرية فلسطينية وعربية ملحة ، بعد ان سقطت الكثير من الاقنعة ؛ وافتضحت العديد من النظم قبل الخامس من حزيران وبعده وانه لمن أصح وأبسط قوانين التاريخ ان تهب الطلائع الفلسطينية ــ مهما تأخرت ــ لتتولى زمام قيادتها بنفسها وذلك بحكم اصطدامها المبكر مع الصهيونية العالمية وبعد ان كادت تضيع معالم الشخصية الفلسطينية بين غمرة التناقضات والانحرافات العربية الرسمية ، وغمرة المؤامرات الدولية الكبرى على الحق العربي الفلسطيني.

نحن دائما الى الامام ، لاننا صمدنا وسنصمد دوما في وجه العواصف والاعاصير . وفي رأينا ان التاريخ بشقيه القديم والحديث لم يعرف ثورة تعرضت لشتى انواع الحصار والقمع مثلما تعرضت له الثورة الفلسطينية؛ وفي رأينا ايضا ان الظروف ستنضج اكثر فأكثر حيث ستتمكن حركة

المقاومة من كشف وفضح الزيف والتراجع والاستسلام الذي يسيطر على اجواء المنطقة ، اكثر مما فعلت في الماضي : لتصفر وجوه وتسود وجوه ضالعة بالوعي او اللاوعي في طريق تصفية القضية الفلسطينية وتكريس «اسرائيل» في قلب الوطن العربي .

نحن دائما الى الامام ، لاننا نحاول ان نكون دائما ادوات التفجير التي تطلق الطاقات البشرية والفكرية المعطلة في وطننا ، ولاننا نرى في الفئات المحرومة والتي ما زالت في حالة التبرعم اداة حقيقية من ادوات النضال والتغيير والتحرير . كذلك نحن دائما الى الامام لاننا بالرغم من فهمنا الموضوعي لدور هذه الفئات الكبير في الفداء والتحرير ، فقد استطعنا ومن ضمن فهمنا لمرحلة التحرير الوطني ان نجمد بالممارسة كل تناقضاتنا الثانوية لصالح التناقض الاكبر في صراعنا مع الامبريالية والصهيونية العالمية والرجعية المحلية ، مستقطبين كل الوطنيين الملتزمين بالثورة والتحرير ، مؤكدين اننا جميعا في مواقع التقدم ما دمنا نحمل السلاح لنناضل ضد اعداء أمتنا .

نحن دائما الى الامام ، لاننا نناضل باستمرار لتطوير اوضاعنا ، وتصحيح أمورنا من الداخل بالرغم من كل البعثرة والشرذمة التي تظهر بين الحين والحين ، وفي رأينا انه من علامات الصحة ان الثورة تطرح بنفس الحماس والحدة مشاكلها وصعوباتها بقدر ما تطرح انجازاتها وتلتزم حتمية انتصارها .

نحن دائما الى الامام : لاننا جابهنا مشكلة وحدتنا الوطنية — وهي من أضخم وابرز مشاكل المقاومة الداخلية — بكل شجاعة وصبر عبر السنوات الاربع الماضية ، فلم نتعب ولم نكل ولم نمل من النضال لايجاد الصيغ الافضل لتوحيد اداة المقاومة ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، وبالرغم من ان الدعوة لتحقيق وحدتنا الوطنية كانت في كثير من الحالات تصدر من جهات مشبوهة فتبدو «وكأنها كلمة حق يراد بها الباطل» الا ان الثورة كانت تدرك ان وحدة اداة المقاومة اصبحت مطلبا استراتيجيا وهدفا بحد ذاته عند الجماهير الفلسطينية والعربية ، فكان لا بد من تجاوز كل العقبات والظروف التي تحول دون الوحدة ، وكان لا بد من الانتصار على الذات في كثير من الحالات . وقفزت الثورة اكثر من خطوة الى الامام نحو توحيد اداتها في الماضي ، واستطاعت بالامس القريب ان تقفز قفزة نوعية اخرى بتحقيق الوحدة الجبهوية التي اقرها المجلس الوطني في جلساته الاخيرة ، وهي الخطوة التي تجاوزت كل التناقضات الثانوية على الصعيد

«الايديولوجي» وتجاوزت «لعبة الكراسي» المضنية على الصعيد التنظيمي .
وقد فوتت الثورة بذلك على قوى الثورة المضادة لها فرصة الدس والايقاع والتفرقة التي حاولت ان تقوم بها في اكثر من مجال وخابت كل تمنياتها ومراهناتها على انقسام حركة المقاومة وانشقاقها ، وسيعطي ذلك الفرصة من اجل النضال لاقامة التنظيم الثوري الموحد .

نحن دائما الى الامام ، لان قضية الثورة بالنسبة لنا قضية معاناة ، وقضية اختيار . فليست الثورة حالة تشاؤم او حالة تفاؤل ، وانما هي حالة ايمان نامية متصاعدة ، وحالة حركة وعمل ، وحالة تمرد مستمر على الواقع المتردي ، تبدأ برفض الاحتلال وتنتهي بتحرير الانسان والارض ؛ ومن هنا كانت عمليات التصحيح المستمرة مطلوبة ، وبشيء اكثر من الصرامة والدقة ؛ ومن هنا كانت ضرورة عملية الفرز على الصعيد الخارجي وتحديد معسكر الاصدقاء من معسكر الاعداء ، ومن هنا كانت ضرورة اقامة الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية لتكريس معنى البعد القومي في الثورة؛ ومن هنا كان ضرورة اقامة الجبهات والتحالفات مع حركات التحرر العالمية للتدليل بأن الثورة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العربي والعالمي . ومن هنا كان لا بد من الفرز بين العقل الذرائعي المستسلم وبين العقل الثوري الذي يرى ان منطق الثورة لا يتجزأ .

واخيرا .. نحن دائما الى الامام ؛ طالما نحمل البندقية ، وطالما الفدائي البطل قد حدد موقفه من الموت والحياة ، وطالما هو صامد حيث هو في السهل وفي الجبل وفي المنحنى . يجتاز الحدود ويعبر السدود ، لا يثنيه عن غايته اي شيء ، يضرب في كل مكان ويتحرك في كل مكان ، من اجل هدف واحد ، يعرفه حامل البندقية المقاتل جيدا ..

ان الثورة ليست في الانتظار كما يتوهم البعض ، وثمن السلم الاسرائيلي الامريكي الذي يعملون على تطويع الامة العربية لقبوله ، هو المزيد من الرفض والتحدي والتمرد ؛ والقتال المستمر ، والولادة الجديدة المتكررة عبر النفس الطويل والتي ستعطي وستنجب لهذه الامة المزيد من القيادات الملهمة التي لا بد ان تكون في حجم الثورة العربية المعاصرة ، بل اكبر منها .

فلسطين الثورة : العدد ٣٠
٢٤ كانون الثاني ١٩٧٣

النصر الفيتنامي ... والأمة العربية

على العرب وكل العرب ، والرسميين منهم بشكل خاص ، قبـــل ان يفلسفوا معنى النصر الذي حققه الشعب الفيتنامي على ارض المعركة ، ان يدركوا ويحسموا بأن الذي تم وجرى ويجري على الساحة الفيتنامية اليوم، هو انتصار تاريخي كبير ، وليس تسوية سياسية كما يحاول وبكل براعة ومهارة ان يصورها المهزومون ، او كما يحاول ان ينظر لها فلاسفة الثـورة المضادة من اعداء الشعوب ، ليحرموا الثوار حتى من لذة النصر وفرحته .

بعد ذلك ، لا بد من التعمق في فهم معنى هذا الانتصار الكبير ، ولا بد من ادراك اسبابه ومعطياته وابعاده ، ليتسنى لنا الافادة منه ، والاعتبار به؛ نحن الامة العربية التي تخوض اهم وأخطر معاركها المصيرية في هذه المرحلة التاريخية بالذات ضد أبشع وأشرس عدوان ، وضد افتك ألوان الاستعمار الاستيطاني الامبريالي الصهيوني الذي يفوق بحجمه موضوعيا ضخامـــة الهجمة الامبريالية على الفيتنام نفسها .

وفي راينا ان اولى البديهيات التي يجب التركيز عليها ونحن في صدد الحديث عن معنى الانتصار الفيتنامي ، هي ان هذا الانتصار لم يـــأت بالصدفة ، ولم يكن مفاجاة للذين يفهمون طبيعة حرب الشعب الطويلـــة المدى ، كما ان هذا الانتصار لم يأت كمحصلة للصراع الحاد بين المعسكرات المختلفة المعنية ، او نتيجة لموازين الرعب والقوى في العصر الجديد ، وانما جاء من ضمن كافة شروط النصر المتوفرة لدى الثورة الفيتنامية التـــي مارست عبر السنوات الطويلة الماضية الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة المدى من خلال استراتيجية متكاملة على مختلف الاصعدة السياسيـــة والعسكرية والاقتصادية والاجتماعيـــة ، كان فيها للتنظيم الطلائعـــي

والجماهيري الدور الاكبر في رسم سياسة المعركة وقيادتها دون مساومة منذ البداية وحتى النهاية على المبدأ الاساسي للثورة في التحرير ، ودون اي تنازل عن وحدة التراب الفيتنامي بالرغم من تعدد القوميات واللغات هناك التي وحّدها النضال ، والطلائع الثورية عبر المسيرة الشاقة الطويلة للثورة .

ان الدبلوماسية النضالية الفيتنامية التي تتوج بالانتصار اليوم كل هذه المعاني والمعطيات في الثورة الفيتنامية ، تدفعنا الى طرح العديد من التساؤلات حول العديد من الشؤون والقضايا السياسية والعسكرية والاجتماعية التي تمس صميم وجوهر قضية الامة العربية التي تمر بأخطر وأحلك مراحلها المصيرية ؛ بل ان هذا الانتصار الفيتنامي يدفعنا ونحن نطرح كل شكوكنا ومخاوفنا وتساؤلاتنا حول ما يدور على الارض العربية الى عملية مقارنة ضرورية بين ما جرى في الفيتنام منذ البداية وحتى النهاية ، وبين ما جرى ويجري في الساحة العربية بالرغم من بعض الاختلاف في الظروف الموضوعية للساحتين .

لقد أدرك الثوار الفيتناميون طبيعة الهجمة الامبريالية عليهم منذ البداية ، فلم يهربوا او يتهربوا من مجابهتها ، وحاولوا من ضمن امكانياتهم المتواضعة ، وبارادة اثبتت الايام انها قادرة على أن تقهر الموت نفسه ، ان يتصوروا مسيرتهم الشاقة الطويلة ، فوضعوا امامهم كل الاحتمالات الا احتمال الهزيمة والفشل ، وأرسوا القواعد والاسس الصحيحة للثورة المنتصرة .

اما نحن في الوطن العربي ، فعلى المستوى الرسمي في معظم الحالات ، وعلى مستوى الحركات الشعبية في بعض الحالات فقد تهربنا من محاولة فهم طبيعة الهجمة ضدنا ، واستخففنا بشراسة المد الاستعماري الصهيوني على المنطقة ، وطغت الكلمات والالفاظ عندنا على المضمون ، ووقعنا في الخطأ الكبير بتجاهل الاولويات والبديهيات ، وغلبنا المهم على الاهم ، وحوّلنا من القضية الفلسطينية التي اثبتت الايام انها محور قضايا الامة العربية ، الى قضية نتلهى بها احيانا ، ونتاجر بها ونساوم عليها احيانا اخرى ، حتى وقعت النكبة الاولى عام ١٩٤٨ .

وعبر العشرين سنة الماضية وحتى نكسة عام ١٩٦٧ جرت في المنطقة العربية تحولات ، كما جرت محاولات ، وكاد المواطن العربي يحس ان جزءا من القيادة العربية الرسمية والشعبية اعطت للمعركة اهتمامها الشامل ، فلم تتجاهل الاولويات والبديهيات ، وغلبت الاهم على المهم ، وظهر للعيان

على الاقل ان حركة التحرر العربي قد اعطت للمعركة مضمونها الاجتماعي والوحدوي من اجل التحرير ومن اجل دحر الهجمة الصهيونية الامبريالية التي بدت معالمها اكثر وضوحا من قبل بالنسبة للذين تصدوا لقيادة المسيرة الثورية في مختلف الجبهات والاقطار .

ولكن الاحداث جاءت لتثبت ايضا ان المحاولة كانت فوقية ، ولم تكن جادة ، ولم تكن بمجموعها بالاصالة التي تطلع اليها الانسان العربي . وبغض النظر وبمعزل عن شتى العوامل التي أدت الى الهزائم المتلاحقة ، تظل الحقيقة الموجعة قائمة ، وهي اننا تهربنا وهربنا من فهم ومواجهة الهجمة الضارية ضد اوطاننا ، والتي استهدفت وجودنا ، وظلت الشعارات الحقيقية بدون مضمون حقيقي ، فزيفت وأسقطت عند هبوب الريح .

وفي الخمس سنوات الماضية ، انتزعت حركة المقاومة الفلسطينية لها موطىء قدم في الساحة العربية واستفادت من الفراغ المتواجد اثناء عملية تضميد جراح النكسة ، وبدا للوهلة الاولى وبحكم الحاجة الملحة لها انها البديل عن كل شيء ، وكادت البطولات النادرة والعطاء النبيل ، والفداء الجم ينسي المواطن العربي مأساة وعمق النكبة التي أصابته ، وتهيأ للبعض وبفعل الهزائم والجراح التي سالت من صدر الامة العربية انها كفيلة بأن تجعل بعض المسؤولين والرسميين والقياديين ، ان يتبنوا الكفاح المسلح وحرب الشعب طريقا واحدا للتحرير .

ولكن سرعان ما اثبتت الاحداث ان حركة التحرر العربي الخارجة متعبة مثخنة من النكبة تحمل حركة المقاومة الفلسطينية الناشئة فوق طاقتها وقدرتها ، وان مجموعة الانظمة العربية الرسمية لا تستطيع مجاراة القفزة النوعية الثورية التي تقودها حركة المقاومة الفلسطينية والتي بدأت تقلق «اسرائيل» من جهة ، وتولد وتفجر الطاقات الثورية الحقيقية في الانظمة الرسمية نفسها ، مما دفع بها الى تبني مسالك مختلفة تتناقض جذرا مع وجود الثورة ، بدءا من تقليم الاظافر ومحاولات الاحتواء والوصاية ، وانتهاء بالمجازر والمذابح والقمع الذي مورس ضد الثورة في اكثر من مكان. وبهذا تكون هذه الانظمة قد وقعت بتناقضها مع الثورة الفلسطينية من جديد في الخطأ الكبير بعدم فهمها لطبيعة الثورة التي تتصدى للهجمة الامبريالية الصهيونية من ضمن استراتيجية متكاملة على كافة الاصعدة ، وبذلك تكون ايضا قد صنفت نفسها في احد خانتين لا ثالث لهما : خانة العجز او خانة الانحراف والخيانة .

نقول هذا بعيدا عن المزاودة والاثارة ، نقول هذا من مواقع الالتزام

بالقضية العربية كوننا جزءا لا يتجزأ من هذه الامة ، نقول هذا من خلال ايماننا بالعمل العربي الموحد الهادف المستقطب للجماهير والحاشد لكل الطاقات العربية الخلاقة والمبدعة والكثيرة وبعيدا عن الخونة والعملاء الذين اثبتت الايام عمالتهم للامبريالية والصهيونية وتآمرهم الدائم على الثورة الفلسطينية وعلى حركة التحرر العربية بكاملها .

نقول هذا من خلال دعوتنا في عيد النصر الفيتنامي لضرورة تفهم طبيعة الهجمة الامبريالية الصهيونية على امتنا ، وضرورة تحديد الهدف بالتحرير، ووقف التراجعات المهينة التي مارسناها في السنوات الاخيرة حتى الاستسلام ، فلم تثمر ولم ترجع لنا شبرا واحدا من الارض ...

نقول هذا لاننا نعرف ان الفيتنام فاوضت من مركز القوة والعزة ، بعد ان قتلوا واصابوا ما يزيد على المليون وسبعمائة الف امريكي ومرتد ، وبعد ان عطلوا واسقطوا ما يزيد على السبعة آلاف طائرة امريكية بين «هليوكبتر و ب٥٢» وغيرها ، بحسب الاحصاءات الامريكية .

نقول هذا ونحن نسمع اصوات المستسلمين بيننا ومن حولنا في وطننا الكبير يقولون : «بأن امريكا بعد ان انتهت من فيتنام ستتفرغ للشرق الاوسط لحل مشكلته» ونحن نقول لهؤلاء بأن امريكا لن تستطيع ان تفرض الحل الاسرائيلي الامريكي ، الا من خلالهم ، وان هذا الكلام جزء من الحملة النفسية الموجهة للجماهير العربية التي ترفض ان تركع ، هذه الجماهير التي تزعم امريكا والصهيونية انها تفهم طبيعتها جيدا ، وفي رأينا ان امريكا والصهيونية العالمية اخطأت في الماضي وستظل في خطأ مستمر حول هذه المقولة التي أكدها التاريخ في الجماهير العربية التي رفضت دائما وترفض الاستسلام تحت اسوأ الظروف .

ونقول هذا ايضا لاننا نعرف ان امريكا تتحرك من خلال عملائها في المنطقة التي تحاول ترتيب اوضاعها فيها اليوم من اجل تركيع المنطقة واستسلامها لمصلحة اسرائيل ، ولكننا ايضا نعرف ان امريكا التي خسرت كل شيء في الفيتنام لم تخسر بعد شيئا في هذه المنطقة ، وستفكر كثيرا في انتهاج مثل سياستها الراهنة عندما تبدأ الخسارة الحقيقية التي تمس مصالحها في المنطقة ، وستفكر اكثر بقدرتها على فتح اي جبهة جديدة في العالم اذا وجدت من يتصدى لها ومن يجابهها ومن يصفعها ، كما هو الحال في فيتنام .

لو القى المواطن العربي اليوم نظرة سطحية الى الواقع المتردي العربي لربما اعتراه بعض اليأس والاسى والتشاؤم ، ولكن القضية كما قلنا ونكرر

دائما ، ليست قضية تشاؤم وتفاؤل بقدر ما هي قضية ايمان وصمود ومعرفة وارادة وتنظيم وقتال . بهذه المعطيات استطاعت الثورة الفيتنامية ان تجترح النصر ، وتستقطب الاصدقاء ، بهذه المعطيات وغيرها استطاعت الثورة الفيتنامية ان تعطي لحركة التاريخ مضمونها الحقيقي وهو ان النصر حليف الشعوب ، وبهذه المعطيات استطاعت فيتنام ان تكسر كل المعادلات وتتجاوز موازين الرعب والقوى في العصر الجديد .

والثورة الفلسطينية اليوم بالرغم من شعورها بالغربة والوحدة ، وسط هذه الاجواء المستسلمة والارادة النائمة المبعثرة هنا وهناك ، ووسط كل اجواء الحصار والاحتواء البارزة والواضحة في هذه المرحلة بالذات من تاريخ القضية ، تدرك جيدا دورها التاريخي ، وتعرف ان من صميم طبيعتها وواجبها ومسؤولياتها ان تحاول تخطي هذا الواقع وتثويره ، وتغييره لصالح الثورة والاستمرار ، مع جماهيرها الفلسطينية والعربية والعالمية .

ان عبرة فيتنام تؤكد لنا صحة مسيرتنا وصحة منطلقاتنا ، ولا بد ان تعلمنا ايضا المزيد من الدقة والمزيد من التنظيم ، والمزيد من الفداء والعطاء، والمزيد من المحبة والتواضع ونحن نحمل الراية ونسير نحو النصر .

فلسطين الثورة : العدد ٣١
٣١ كانون الثاني ١٩٧٣

حول مؤتمر وزراء الدفاع. والخارجية.. والجبهة الشرقية
قوة الموقع .. من صلابة الموقف

في القضايا المصيرية التي تمس تاريخ وحياة الشعـــوب ووجودها ، ماضيا ، وحاضرا ، ومستقبلا ، يتجاوز الحديث والكلام والنضال كـــل الهيئات والاحزاب والتنظيمات ، الى الافراد والمواطنين الذين يشكلـــون القطاع الاوسع من الجماهير التي تبدأ في «الهمهمة والغمغمة» كلما احست بالخطر يحدق بها ، وكلما ازداد وعمق شعورها بالمؤامرات ، والاشراك التي تنصب من حولها لسحقها وخنقها ، وبالتالي لاجهاض وتصفية القضايـــا المقدسة المصيرية التي تدافع من اجلها ، ومن اجل انتصارها .

والذي يفتح قلبه وعقله قليلا ، والذي يصيخ بأذنيه قليلا ايضا ، لمعرفة ما يدور ويجري في أذهان الناس على امتداد الوطن العربي ، يلمس مثل هذه الحالة العارمة التي يتصاعد فيها الشعور العفوي بالخطر والغضب ، من مرحلة «الهمهمة والغمغمة» الى مرحلة التعبير والافصاح والتصـــدي لاسبابها ومسبباتها في كل مكان .

والثورة الفلسطينية التي عاشت معاناة الجماهير في الماضي وتعيشها اليوم ، وكشفت بالتصدي والممارسة كل الاخطار والمؤامرات التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية محور قضايا الامة العربية وجودا وعدما ، تجد اليوم نفسها مدعوة اكثر من اي وقت مضى لكشف حقائق الامور ، ووضع النقاط على الحروف ، وفي هذه المرحلة بالذات ، وهي تدرك من خـــلال التحليل والمعلومات ، ان القضية في خطر ، وان الامة في خطـــر ، وان الهجمة الامبريالية الصهيونية في تعاظم ، وانها تجهد اكثر من اي وقت

مضى لتمرير الحلول الامريكية الاسرائيلية الاستسلامية في المنطقة ، معتمدة على سلسلة الترتيبات التي اجرتها هنا وهناك ، ومستفيدة من الجو العربي الرسمي المتردي المستسلم والذي فقد في بعض محاوره القدرة على التمييز بين الوطنية والخيانة ، وبين الشرف والكرامة القومية ، وبين التبعية والاستسلام للعدو المهيمن الغاصب .

وقبل ان ندخل في صلب الموضوع نحب ان نكرر للمرة المائة بعد الالف، بأننا بعيدا عن المزاودة ، او حبا في النيل والتشهير بأحد ، نكشف ما نكشف ، ونقول ما نقول ، ويدفعنا الى ذلك التزامنا العميق والمصيري بقضيتنا التي تعبث بها ايدي الجهل والاستسلام والجبن والتردد من ناحية وايدي الخيانة والعمالة والتآمر من ناحية اخرى .

ان الثورة الفلسطينية التي تكشف اليوم عقم هذه المحاولات واساليبها من اجل دفع المعركة ولو خطوة صحيحة للامام ، انما تستهدف التصحيح والمشاركة من خلال فهمها المتكامل لطبيعة المعركة ، ومن خلال استراتيجيتها المتكاملة في الكفاح المسلح وحرب الشعب الذي اثبتت الايام صحتها وسلامتها وانه لا بديل عنها للتحرير ، وستظل تحاول ذلك من منطلق الواجب والالتزام بالرغم من سقوط كل التمنيات والاوهام في عقل وصفوف المقاومة ، ولكنها ما زالت تطمع والاحداث تتوالى بهذه السرعة والبالونات الامريكية تقذف في وجوه اصحاب التمنيات ، ان يعود من لا يزال في ايديهم اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية الى رشدهم وصوابهم ، فيتفهموا طبيعة المعركة ، ويستوعبوا اسباب وخطورة الهجمة الصهيونية الامبريالية على أوطانهم ، فيحشدوا ان ارادوا الحشد على الاسس الصحيحة ، ويهيئوا للمعركة على الاسس الصحيحة ، ويقيموا تحالفاتهم ومصالحهم على الاسس الصحيحة قبل فوات الاوان ، وقبل ان يصبح الجميع في موقع واحد نتيجة للتخبط والخلط بين الامور ، بحيث يتعذر بعد ذلك الحوار بالكلمات ، فلا يجدي التصحيح والمشاركة ، ويصبحون هم وحدهم ضحية وساوسهم ، وترددهم وتخبطهم ، وعجزهم وبالتالي انحرافهم .

واليوم لا بد من القول ، ولم يمض بعد سوى ايام قليلة على انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع العرب ، ان كل التمنيات الفوقية التي رافقت جو انعقاد المؤتمر وما قبله ، قد سقطت بالضرورة ، ولسنا نقول ذلك من باب اشاعة اجواء اليأس والهزيمة عند الناس ، ولكننا نرى انه من صلب مسؤوليتنا ان نطرح كل الحقائق للجماهير ، لتعرف ما الذي يجري ؟ وما الذي يدور حولها ، فتتمكن من الاستعداد والمجابهة والتصدي والتصحيح،

فالجماهير لا تعرف اليأس وهي تعلم كل الذي تعلمه ، وقد سبق لها ان عانت من خيبة الامل في اكثر من مناسبة وبعد اكثر من مؤتمر ، ولن يضيرها ان تعرف الحقيقة مكثفة وصادقة بعد ان ميعتها وفلسفتها اجهزة الاعلام المختلفة في الوطن العربي وكادت تقضي بفقدانها لمصداقيتها اهمية العمل العربي الجدي الذي نطمع اليه ويطمع ويحلم به كل الثوار العرب والشرفاء .

نحن نقول ذلك وكل ذلك حول سقوط كل التمنيات التي رافقت اجواء المؤتمر في ظل تنقية الاجواء العربية ، قبل ان يطلع علينا الملك حسين بتصريحاته التي لم نفاجأ بها عقب انعقاد مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية بأيام قليلة .

نحن نقول ذلك وكل ذلك لاننا رافقنا اجواء المؤتمر ، وكنا ندرك انه بالرغم من الخطة العسكرية التي قدمت من اجل احياء الجبهة الشرقية «والتي وضع فيها العمل الفدائي تحت تصرف القيادة العسكرية» وبالرغم من التبرعات التي قدمت للجبهة السورية التي استنزفت وقاتلت على امتداد العام المنصرم وبالرغم من القرار الذي اتخذ لتخصيص تسعين مليون دولار من اجل المعركة كنا ندرك بأن هذه التمنيات ستسقط لان كل الاسس والمعطيات التي انطلقت منها وعنها فكرة تنقية الاجواء العربية ، ليست سليمة ، وانما هي أسس واهية ومزورة ، والتزوير بالضرورة لا يؤدي الى التحرير .

ومن هنا لم يكن موقف وفد المقاومة الفلسطينية الموضوعي والحاسم مرتجلا ولا بالصدفة ، ولم يكن من قبيل المزاودة او الاحراج لاحد ، وانما كان من خلال فهمه لطبيعة كل الاسس والمعطيات والمنطلقات التي انبثقت عنها فكرة تنقية الاجواء العربية ، ومن خلال فهمه لطبيعة النظام المرتد والمستسلم للهجمة الامبريالية الصهيونية على المنطقة ومع ذلك فقد ارتفعت المقاومة الفلسطينية على كل جراحاتها في المؤتمر المذكور ، حتى لا تحمل فوق ما تستطيع احتماله ، وحاولت ان تترك فسحة العمل مفتوحة امام اصحاب التمنيات ، كما حاولت ان تهرب من حقول الالغام المنصوبة لها هنا وهناك ، فاعتذرت عن الصيغة التي شملتها في الخطة العسكرية وربطتها بارادة القتال وممارسته ، وربطت عودتها للاردن بصيغة محددة واضحة كان المسؤولون العرب قد ارتبطوا والتزموا بها في الماضي ، تبيح للثورة حرية العمل والكفاح والفداء ضد العدو الغاصب المحتل .

والسؤال الكبير الملح الذي يطرح نفسه بصدق وفضول على كل الناس

الشرفاء في الوطن العربي ، وعلى ضوء ما يجري في الساحة العربية والدولية من مناورات ، ومؤامرات ، وتمنيات ، وتبرعات ، ومحاولات ، ومصالحات ، حول اللقاء بين الاردن وبعض الانظمة العربية هو بالتحديد ما يلي : هل ان هذا اللقاء بين الاردن وبعض الانظمة العربية هو انتقال للاردن نحو مواقع الانظمة العربية ؟ أم هو انتقال مواقع بعض الانظمة العربية نحو الموقف الاردني ؟؟

لسنا هنا في مجال استعراض بنية النظام الاردني الاقتصادية والسياسية ، كما لسنا في مجال استعراض تاريخه التآمري على الحركة العربية الوطنية ، بدءا من ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق وعبر تدخله المسلح في اليمن مرورا بالوحدة المصرية السورية ، ومجازره الرهيبة ضد الثورة الفلسطينية في ايلول وبعد ايلول ، ولكن الذي يهمنا وفي مجال الدعوة لتنقية الاجواء العربية من اجل المعركة ان نبين موقف الاردن من المعركة والقتال والجبهة الشرقية .

وفي رأينا ان موقف الاردن واضح كل الوضوح حول هذا الموضوع ، فهو بالاضافة الى تبنيه سياسة الجسور المفتوحة ، وبالاضافة الى اللقاءات الخاصة الاردنية الاسرائيلية ، وبالاضافة الى دعوة رجال الدين من مسيحيين ومسلمين ويهود الى بحث قضية القدس ، وبالاضافة الى ممارسات عديدة لا تعطيه حتى حق الكلام عن القتال ، بالاضافة الى كل ذلك هناك سلسلة من التصريحات الواضحة على لسان مليكه ومسؤوليه تنص على رفض فكرة الحرب «وانه لا جدوى من القتال او المشاركة فيه لانه يجر الى كارثة جديدة لا يمكن تحملها» .

يقول الملك حسين في مجلة «نيوز اند ورلد ريبورت» حرفيا ما يلي :

«نحن هنا في الاردن . بامكاننا التأكيد على اننا غير قادرين على الصمود بعد خسارة معركة اخرى ، وهذا نفسه ينطبق على بقية العالم العربي» . اذن فهذا موقف الملك من القتال ، اما موقفه من المفاوضات والصلح فقد ثبتته نفس المجلة وتناقلته كل وكالات الانباء وهو :

«ان قضية المفاوضات المباشرة وغير المباشرة قضية ميكانيكية بحتة ، فما دامت النوايا سليمة فان الاجراءات الشكلية لن تقف عقبة في وجه السلام » !

الحقيقة ان موقف الملك حسين واضح وصريح ومتصلب من مسألة الصلح وعدم القتال ، فماذا عن موقف بقية الانظمة العربية ؟ هل هو موقف ثابت وحاسم ومتصلب من مسألة القتال ؟ وهل يمكن لهذا الموقف ان يكسر

ويفير الموقف الاردني ويسحبه الى مواقعه ؟ وهل يمكن لهذا الموقف ان يجمد بعض الفرق الاسرائيلية على الحدود الاردنية ؟

لسنا هنا في معرض التشكيك ، ولا في معرض الاحراج ، ولكنها اسئلة تلح علينا وعلى جماهير امتنا في كل مكان ، وحتى لا نقع في دوامة التمنيات من جديد ، بوسعنا ان نقول ان سلسلة التراجعات التي مارسها الموقف العربي الرسمي من لاءات الخرطوم الثلاثة الى قرار مجلس الامن المشروط بحل القضية الفلسطينية ، الى قبول قرار مجلس الامن بدون تحفظات ؛ الى قبول مشروع روجرز ، الى مجمل الحلول الجزئية التي تطرح ويحكى عنها هنا وهناك ، صحيحة كانت ام غير صحيحة ، كل ذلك يشكل هواجس وظنون ومخاوف تكاد تشير الى انتقال الرسمية العربية مع بعض الاستثناءات نحو الموقف الاردني وليس العكس .

ان كل ذلك يزيد من القلق ، ويزيد من حجم الهدير والدمدمة والهمهمة في اوساط الجماهير العربية ، فتسأل .. وتسأل ثم تطلب الحساب .. والشعوب قادرة دوما على تسديد الحساب .

فلسطين الثورة : العدد ٣٢
٧ شباط ١٩٧٣

البعث .. من اجل ماذا .. وكيف !

من يبدأ الخطوة الاولى ..

في غمرة المعاناة والاحساس العميق بالخطر الذي تعيشه الجماهير العربية ، وهي ترقب وتشهد بوادر ومظاهر الاستسلام في المنطقة العربية امام الهجمة الصهيونية الامبريالية ، يتوجب على الانسان العربي الواعي ، والمسؤول امام نفسه وشعبه وامام التاريخ ومن حوله هذه الجماهير القلقة ، ان يتساءل ويبحث عن أجدى السبل والاساليب السياسية والعسكرية التي من شأنها ان تحول ، بل تمنع الاستسلام المهين الذي يفلسفه ، وينظر له اعداء الامة العربية من رسميين وغير رسميين على الصعيدين الدولي والعربي .

وانه للتذكير ، ومن باب التذكير والمحاسبة فقط ان نشير في هذا الحديث لمظاهر الاستسلام وبوادره ، والتي تجسدت بسلسلة من التراجعات المهينة عبر السنوات الخمس الماضية عن كل ما هو في مصلحة الامة العربية وتاريخها ماضيا ، وحاضرا ، ومستقبلا ، والتي تبلورت فيما تبلورت اليه بالمساعي الحثيثة الواضحة لتمرير الحلول الامريكية الاسرائيلية باسم السلام والعدل في منطقة الشرق الاوسط ، هذه الحلول المفضوحة المكشوفة التي تستبيح كرامة الانسان العربي ، والتي اصبحت رائحتها تزكم الانوف ، نتيجة للعجز والاستكانة وفقدان الرؤية فيبعض الحالات، ونتيجة للانحراف والعمالة والخيانة في بعض الحالات الاخرى حيث تصب هذه الحالات جميعها في النهاية في مستنقع واحد مسموم بالتآمر والخزي والعار .

وليس يعني البحث عن أجدى السبل وافضل الصيغ والاساليب

العسكرية والسياسية لمنع الاستسلام وتعطيل معادلاته ؛ ان يتوانى او يتخلى الذين حملوا السلاح طيلة اعوام ثمانية عن دورهم الرئيسي في القتال والكفاح المسلح وحرب الشعب وتفجير الطاقات العربية من اجل الحيلولة دون تصفية قضية فلسطين وتحرير فلسطين ؛ وانما ذلك من صلب مسؤولياتهم الثورية وانسجاما مع صميم منطلقاتهم النظرية التي حددت بأن الثورة الفلسطينية ، جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العربي ، فلسطينية الملامح والقسمات ، عربية العقل والقلب والروح والعمق والبعد. فالعمل العربي الثوري الصحيح والالتحام به من اجل التحرير ودفع الهجمة الامبريالية الصهيونية عن أوطاننا ، كان وسيظل دائما من بديهيات دعواتنا وممارستنا ، ولقد عشنا طيلة الاعوام الماضية من خلال تمنياتنا احيانا ، ومن خلال قناعاتنا وايماننا احيانا اخرى ؛ ومن ضمن فهمنا لطبيعة المعركة ومعنى وحجم الهجمة على امتنا ، ومن خلال معرفتنا بالصهيونية وأطماعها. لقد عشنا اكثر من تجربة ومررنا بأكثر من دوامة ، اختلط علينا فيها الشك باليقين ، والتقى عبرها الكفر بالايمان ، لنجد انفسنا في غمرة كل هذه الحقائق والاوهام ، ووسط كل هذه الدوامات على صعيد العمل العربي نراوح في اماكننا في البداية ثم نتراجع .. ونتراجع . فالى اين ؟

لقد دعونا فيما دعونا اليه ، الى الحشد والتعبئة واستغلال الطاقات الضخمة المتواجدة في الامة العربية وفي الوطن العربي ، وقلنا فيما قلناه: «ان الذي سيقرر مصير الامة العربيةليس حجم الهجمة وشمولها ووقاحتها، وانما الذي يقرر مصير الامة هو الاسلوب الذي تأخذ به الامة في مواجهة الهجمة فهما ومعالجة» . وقلنا فيما قلناه : «ان ليس خيار العرب هو الرضوخ للمخطط الصهيوني الامبريالي ، وانما خيارهم في ايجاد الوسيلة الفضلى لمواجهة الهجمة المعادية ، فالمعركة اكبر من الجميع ، اكبر من القيادات ، اكبر من القادة انفسهم ، وليس أجدى وأفعل منها في استرداد الكرامة المهيضة والحق السليب» .

صرخات ومناشدات يبدو ان كلها ذهب مع الريح ، وتنازلات مهينة لو اعطي بعضها للجماهير التي تسحق وتقمع في كل مكان ، لاستطاعت وحدها حرة ، موفورة الكرامة ، ان نكون وقود التحرير واداته الضارية المنتصرة . تنازلات وتراجعات ووساوس ومخاوف وتردد وخوف تكاد تزيل حتى التناقض (الثانوي !) مع الصهيونية ودولة العصابات التي قامت على اشلاء مائة مليون عربي ...

فما هو المطلوب اليوم امام كل هذا التردي العام ، ومظاهر الاستسلام

بدق الابواب على مختلف الجبهات ؟ ما هو المطلوب عمليا والبعثرة الرسمية العربية اخذت مداها عبر السنوات الماضية وكأنما الامة بأسرها فقدت القدرة على الحوار في البديهيات فتحول المجتمع العربي بأسره في ظل الوضع الرسمي الى ما يشبه برج بابل ، يقول الناس فيه ما لا يعنون ، وتنقل فيه الامور بأشكال مشوهة ومزيفة ، فيزداد الخلاف وتعمق التناقضات ، ويهرب كل من مسؤوليته ويلقي تبعات التردي والهزيمة على الاخرين ؟؟

ما هو المطلوب عمليا من اجل منع الاستسلام وبالتالي الحيلولة دون تبرير الحلول الامريكية الاسرائيلية التي تستهدف الوجود العربي بأسره ؟ ما هو المطلوب عمليا من اجل تصليب الموقف العربي ومنعه من الانهيار الكامل ؟

في رأينا ان خطوة واحدة صحيحة الى الامام ، تبعث الامل ، وتصلب الموقف العربي . وتعيد له زمام المبادرة ، وتحول دون ارتكاب جريمة الاستسلام . وفي قناعتنا ان كلا من سوريا والعراق مدعوتان لتحقيق مثل هذه الخطوة الاولى في رحلة الالف ميل باتجاه المعركة والتحرير في معركة المصير . وكم كنا نود لو تجنبنا الخوض في مثل هذا الموضوع الدقيق الحساس لو كان تحقيق مثل هذه الخطوة هو من ضمن استراتيجية الدولتين المعنيتين العاجلة والحاسمة والفورية في ظل هذه الظروف العصيبة ، ولكن الذي يبدو ان هذا المطلب العفوي الجماهيري قد طال عليه الزمن ، بحيث اصبح من الضروري وامام المأزق الكبير الذي تعيشه الامة تحريكه والدعوة له . ودفعه الى مساره الطبيعي الاصيل .

واننا لا نحتاج ونحن في صدد الحديث عن سوريا والعراق بالذات الى التاكيد اننا ننطلق من مواقع الالتزام والفهم العميق لدور القطرين الحقيقي في المعركة . شأننا في ذلك مع كل دعوة الى اية خطوة ثورية ندعو لها من اجل فلسطين والوطن العربي . ولعلنا ايضا ونحن في صدد الحديث عن العراق وسوريا نلبي حاجة وعطشا وتساؤلات هامة عفوية عند الجماهير التي ترى في النظامين العراقي والسوري نظاما واحدا يحمل الحزب الحاكم فيه نفس الاسم ، ويرفع نفس الشعارات ، ويتبنى نفس الافكار والمبادىء، ويناضل من اجل تحقيق نفس الشعارات والاهداف مما يحقق امكانية العمل المشترك والتفاعل الموضوعي .

هواجس وافكار شتى ، وربما ذكريات تساور المواطن العربي اليوم وهو في مجال البحث عن خطوة عملية الى الامام تسهم في تصليب الموقف العربي لمنع الاستسلام وتصفية القضية ، لاسيما وان هذا المواطن العربي يعرف بأن

«حزب البعث» قد استقطب عبر الثلاثين سنة الماضية خيرة شباب الوطن العربي ، فاعتقل وعذب واستشهد تحت رايته وفي افكاره ومبادئه آلاف وآلاف من الخليج الى المحيط .

ونحن هنا لسنا في مجال تحميل «حزب البعث» الحاكم في سوريا والعراق فوق طاقته ، ولسنا في مجال احراجه او مناشدته والضغط عليه من اجل تحرير فلسطين ، فنحن نعرف ان مسؤولية تحرير فلسطين من مسؤولية كل العرب وابناء هذه الامة الشرفاء ، ولكننا ايضا نعرف ان في وسعنا وفي هذا الظرف العصيب ان نطالب بخطوة عملية سريعة الى الامام على الصعيدين العسكري والسياسي ، تعيد لبعض الذين فقدوا ثقتهم بانفسهم ما فقدوه ، لاسيما وان في صلب مبادىء حزب البعث انه انطلق من اجل تحقيق الوحدة ومن اجل فلسطين بالذات .

فما الذي يحول دون تحقيق ذلك ان كانت هذه هي الافكار والمبادىء التي تحكم في كل من سوريا والعراق ؟ لقد نادى حزب البعث بالكفاح المسلح عام ١٩٤٦ واشترك بعض قيادييه في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ، وانتزع الحزب مكانته الجماهيرية من خلال مطلبه الوحدوي وتنظيمه القومي ومحتواه الاجتماعي والدعوة من اجل تحرير فلسطين . فما الذي يحول دون تحقيق خطوة عملية واحدة الى الامام اذا كانت هذه الافكار والمبادىء هي التي تحكم في كل من سوريا والعراق ؟؟

وليس سرا نذيعه اليوم عندما نقول ان انطلاقة حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة ترعرعت وسجلت اهدافها الاولى من الارض التي حكمها حزب البعث عام ١٩٦٥ ، وان «حركة فتح» رائدة النضال الفلسطيني المعاصر ، بالرغم من مشاكلها ومتاعبها هنا وهناك ، وجدت التأييد والدعم في ارض البعث ومن بين صفوفه وابنائه الذين ناضلوا معها حتى اليوم بشجاعة وصدق في المسيرة الشاقة الصعبة الطويلة . وليس سرا نذيعه اليوم ان فصيلين من فصائل حركة المقاومة المنضوين في اطار وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية هما من طلائع البعث تنظيما وفكرا تجمعهما على ارض المنظمة نفس الاهداف والبرامج والممارسات . اذن ما الذي يمنع سوريا والعراق ان يخطوا خطوة عملية واحدة الى الامام من اجل منع الاستسلام ، فيصلب الموقف العربي ، وتبرز معادلة جديدة متحركة في الجبهة الشرقية قوامها العراق وسوريا وحركة المقاومة الفلسطينية ، ما الذي يمنع ذلك اذا كان البعث بأفكاره وتاريخه ومبادئه وممارساته هو الذي يحكم اليوم في سوريا والعراق ؟؟

لسنا من المتشائمين . ولكننا ايضا لسنا من المنظرين للفراغ وللتمنيات، وقد نكون نحن بحكم العلاقة الجدلية بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي ان لم يكن بحكم الذكريات والالتزام ، اكثر الناس فهما للظروف التي مر بها حزب البعث ، وللحصار الذي عانى منه ، ولطبيعة القوى التي تالبت ضده ، وللاسباب السياسية والنظرية التي ادت الى تشرذمه ؛ ولكننا مع كل ذلك نقول انه ليس هناك ثمة ما يبرر ان لا يحقق «البعث» قفزة نوعية في علاقاته وممارساته وفي هذه المرحلة العصيبة بالذات اذا كان «البعث» كما يعرفه ابناؤه ، وجماهيره ، مبادؤه وافكاره وشعاراته هو الذي يحكم اليوم في سوريا والعراق ؟؟

ان الثوار الابرياء . وكل الثوار الحقيقيين ابرياء ، لا يفهمون الامور ولا يرونها في ظل مازق امتنا الكبير الا بهذه المقاييس وهذه المعايير ، والمواطن العربي صاحب الهموم الحقيقية والمعاناة والقلق الاصيل لا يفهم هذه الخطوة العملية الى الامام ، الا عندما يرى الجيش العراقي والجيش السوري في خندق واحد ، والطائرات العراقية والسورية في مطار واحد . ويرى قادة جيش العراق مع قادة جيش سوريا في غرفة عمليات واحدة ، يعملان من ضمن خطة واحدة من اجل معركة المصير التي نص اول من نص عليها وفلسفها حزب البعث ، والا ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه.

ان هذه الدعوة العملية ، لمثل هذه الخطوة العملية من شأنها ان تحدث تغييرا في موازين المعركة . ومن شأنها تصليب كل الموقف العربي ، وترد على بعض الدعوات والتيارات القليلة الانعزالية في مصر الحبيبة قاعدة النضال العربي ، والتي تستهدف مثل هذه التيارات عزلها عن دورها العربي الطليعي ، فيحس المواطن المصري بأنه ليس وحده في الميدان كما يحاول البعض تصوير القضية له ، ويفشل المخطط الامبريالي الصهيوني في عزل مصر عن العالم العربي .

هذه دعوة صميمية لا تقوم على المحورية يمليها الواقع والعقل ، والقلب والضرورة والمصلحة القومية ، وفي رأينا ان انجازها بسيط لا يخضع للتمنيات اذا كان «البعث» هو الحاكم في القطرين العراقي والسوري . والا فسيخرج من يتساءل ويقول : هل صحيح ان حزب البعث العربي صاحب استراتيجية الوحدة من اجل تحرير فلسطين ، اصبح في وضعه الراهن عقبة امام الوحدة والتحرير ؟؟ ام ان الاقليمية اصبحت تستعدي البعث على الوحدة في سبيل المصالح القطرية الضيقة ؟؟ ام ماذا ؟

في رأينا اخيرا ان حكم التاريخ سيكون اقسى على التقدميين منه على

الرجعيين والمتآمرين ؛ اذا ما فرطوا وتهاونوا مهما تكن الاسباب ؛ فقد حكم التاريخ على الرجعيين والمتآمرين منذ البداية ، ولا نخال تقدميا حقيقيــــا واحدا يرضى بان يدخل «مزبلة التاريخ» .

فلسطين الثورة : العدد ٢٣

١٤ شباط ١٩٧٣

السجن الكبير

وحدهم الثوار والمعتقلون ، هم الذين يعيشون اليوم خارج السجن الكبير الذي تعيش فيه الامة العربية بأسرها . ووحدهم الثوار والمعتقلون هم الذين يمارسون في ظل الهزيمة والاستسلام والقمع ، كامل حرياتهم وإراداتهم ، وكفاحهم على النفس الطويل من اجل تحرير الانسان العربي ، وتحرير الارض العربية .

وحدهم الثوار والمعتقلون ، وبالرغم من كل ألوان الحصار ، ومحاولات التطويق والتصفية الجسدية والسياسية ، وفي ظل ابشع انواع التعذيب والاضطهاد النفسي والبدني ، يشعرون ويعرفون بأنهم ابناء القضية الحقيقيون ، هم روادها وحماتها وسياج أمنها ، الواقفون مع التاريخ ، المناضلون من ضمن فهمهم لحركته وقوانينه ، المنتصرون على انفسهم وعلى اعدائهم ، العاملون بفرح وببراءة رغم الحصار والجراح ، ورغم احقاد وخسة الجلاوزة والسفاحين المنتشرين في طول الوطن العربي وعرضه .

وحدهم هؤلاء الثوار من منطلق العقيدة والايمان ، والوعي والفهم ، ومن بؤر التمرد والرفض للواقع المهين ، ومن ظلام الاقبية وزنازينها . ومن اماكن تواجدهم حيث يكونون ، في السفح ، والجبل ، والمنحنى ، يتصدون اليوم لابشع هجمة بربرية ، تشنها الامبريالية والصهيونية العالمية على الامة العربية ، مدركين وايديهم في السلاسل والاغلال ، انهم وحدهم الاحرار خارج السجن الكبير الذي تعيشه الامة العربية اليوم ، حكاما ومسؤولين ، وزعماء ، وقيادات ، فقدت احساسها بالتاريخ ، فتأرجحت بين العجز والانحراف لتدخل طائفة مختارة ، وتدخل معها من تستطيع للسجن الكبير ، المخضب بالدماء . والمتوج بالمهانة والعجز والاستسلام والعبودية ، والمطوق

والمسور بأسوار الامبريالية والصهيونية الفاشمة ؛ وقوى الثورة المضادة للانسان العربي الجديد المتطلع للحرية والانعتاق ؛ والمدرك لطبيعة الهجمة عليه وعلى امنه في كل مكان .

وحدهم هؤلاء لا يخافون من امريكا «نيكسون» . وامريكا «روجرز وكيسنجر» ولا يرهبون قرارات البنتاغون الداعرة ضد الشعوب ؛ ولا يخضعون لدسائس الصهيونية وممارساتها ؛ ومؤامراتها وتهديداتها المتواصلة ، ولحربها النفسية ضد الامة العربية . وذلك لان اختيارهم منذ البداية كان عميقا وواعيا . ولانهم يدركون طبيعة الهجمة ومعناها على امنهم ؛ ولانهم يعرفون ان نيكسون وروجرز وكيسنجر وما يمثلون ، ومن يمثلون على الارض العربية أشباح وارقام واقزام مؤقتون ، وأسماء باهتة زائلة صغيرة لا علاقة لها بالانسان والحضارة . زال من قبلها وارتد عن هذه المنطقة الكثيرون من الجلاوزة والمجناحين من امثالهم ، عبر تاريخها الطويل العريض الكبير . فاستطاعت دائما من خلال سهدائها وثوارها واحرارها ومعتقليها ان تخرج من سجنها الكبير الى شواطىء النصر والتحرير .

نقول هذا اليوم وسجون الوطن العربي تغص بالمعتقلين والثوار والاحرار . هذه الظاهرة المرضية التي عانى منها المجتمع العربي طيلة العشرين سنة الماضية . والتي كان من ضحاياها كبار الثوار والمناضلين ؛ والتي كانت من اسباب هزائمنا الرئيسية المتوالية حيث فقد المواطن العادي حريته على كافة المستويات . فلم يجد في كثير من الحالات المبررات والاسباب الكافية التي تدفع به للنضال وللدفاع حتى عن هذه الارض !!

نقول هذا اليوم وسجون الاردن بالذات تغص بآلاف المعتقلين الابرياء الشرفاء الذين لم يكن اولهم ولن يكون آخرهم المناضل القائد «ابو داوود» ورفاقه الشجعان . الذين سجلوا تحت قيادته العديد من الانتصارات البطولية الشعبية على امتداد السنوات الاخيرة ، هذه الانتصارات التي يعرفها ويفهمها كل من رافق وعاش انطلاقة الثورة ؛ وعاش مخاضها ؛ وعانى مشاكلها . هذه الثورة التي استطاعت ان تكرس وتجسد — كما اثبتت الايام والحقائق — ان استراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة المدى هي السبيل الوحيد الصحيح لصد الهجمة الامبريالية الصهيونية وتحرير الارض المغتصبة .

ثم ماذا بعد مع هذا النظام في الاردن ؟ ولماذا تراه يبدي كل هذه الدهشة ؟ وما الذي يجعله يعتقد اننا نستطيع التعايش معه في ظل أوضاعه الراهنة ؟ فهل هي الثقة المتبادلة بيننا وبينه ؟ ام هي قضية التحرير

المشتركة التي نقاتل في سبيلها ؟ ام عداؤنا المشترك للامبريالية والصهيونية العالمية ؟

اسئلة هامة قد حسم الجواب من حولها في مفهوم المقاومة وممارساتها. وحتى لا يبقى هناك اي التباس حول موقف المقاومة من النظام ، وحتى لا يظل اي طرف من الاطراف المعنية واضعا راسه في الرمال كالنعامة ، من خلال محاولات التفسير والتبرير . ومحاولات التفلسف والتنظير باسم قومية المعركة والقتال وما شابه هذه العناوين والشعارات غير الجادة التي تلقى في الهواء هنا وهناك . فقد اصبح من الضروري وحان الوقت لنؤكد في كل يوم ان كل هذه التمنيات والمناشدات والمحاولات التي نفرغ شعار قومية المعركة من محتواه الحقيقي قد سقطت وانتهت ، لاسيما وان الثورة الفلسطينية قد اعطت هذه التمنيات والمحاولات بما فيها المساعي الاخيرة لتنقية الاجواء العربية في مؤتمر وزراء الدفاع العربي ، اكثر من فرصة ، من ضمن موقف نوري موحد محدد الملامح ، اكده قادة المقاومة ، في اكثر من مناسبة وأكثر من اجتماع ، ولكن كل ذلك لم يثمر ، وكان من الطبيعي ان لا يثمر ، واندفع النظام في غيه يضرب حتى بهذه المحاولات الفوقية عرض الحائط ، ويعلن بصلف وغطرسة منطقه الاستسلامي ورفضه للقتال ، ولكافة الشروط والمواصفات التي من شأنها ان تحشد وتعبىء ، وتعطي المضمون الثوري الحقيقي للمعركة المرجوه .

لقد تعرضت جماهير امتنا عبر العشرين سنة الماضية الى سلسلة من المذابح والمجازر على يد العدو الصهيوني ، كما تعرضت هذه الجماهير ذاتها للمهانة والطرد والتشريد على الارض العربية في الاردن . فمنذ عام ١٩٤٨ ، ومرورا بعام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٧ قاسى وعانى المواطن الاردني والفلسطيني شتى انواع البطش والارهاب على يد النظام الذي توج (بطولاته) ! عام ١٩٧٠ – ١٩٧١ بسلسلة المجازر الدموية ضد الشعب المكافح من اجل استرداد بلده وكرامته .

ان الجماهير العربية تتساءل اليوم عن الفرق في «الكم والكيف» بين ما تتعرض له هذه الجماهير من احتلال صهيوني مباشر مكشوف وواضح ، واحتلال صهيوني قمعي آخر ، يحاول ان يغطي نفسه برداء عربي ، يقوم بالمهمة ذاتها . وينفذ المخطط ذاته ؟؟؟

سؤال كبير . واجه الناس ، كل الناس في الماضي ، وضاع في غمرة الاحداث والتمنيات والعجز ، ولكنه يعود اليوم ابطل اكثر الحاحا من اي وقت مضى ، على ضوء الوضع المهين الاستسلامي الذي يسود اجواء المنطقة ،

ويعود ليبرز بحدة وعنف ليتناول بالحساب والعقاب كل العقبات والعراقيل التي تحول دون التصدي للاحتلال والاغتصاب الصهيوني ، وذلك يتناول بالضرورة العقبات والعراقيل في الارض الاردنية . وعلى امتداد اكثر من رقعة في الوطن العربي . مما يؤكد المقولة الجماهيرية التاريخية في الفكر السياسي الثوري الفلسطيني المعاصر : «ان عمان طريقنا الى القدس» وان غير عمان كذلك من عواصم راكدة مستسلمة ضالعة قابعة في ظل العجز لا بد ان تكون ايضا : «طريقنا وسبيلنا الى فلسطين» .

ان تحرك الثوار نحو اهدافهم في الارض المحتلة يدفعهم الى عبور ارض معادية شرق وغرب النهر . حيث يتعرضون لنفس المخاطر والمؤامرات وعمليات التصفية، ومن هنا يأخذ التصدي للنظام شرقي النهر لاقامة الحكم الوطني فيه . اهمية خاصة في هذه المرحلة ، ليس لان النظام في الاردن يقف عائقا بيننا وبين العدو الرابض غرب النهر فقط ، بل لان هذا النظام يسعى جاهدا لان يمثل بردائه العربي جماهيرنا الفلسطينية والاردنية من خلال المستضعفين والعملاء والمأجورين . ليوقع باسمها صك الاستسلام والتعامل وتصفية القضية الفلسطينية محور قضايا الامة العربية .

من خلال فهم الثورة العميق لهذه الاوضاع المتردية في الوطن المحتل وفي معاقل الامبريالية والصهيونية ، كان من الطبيعي ان يندفع خيرة الثوار لتحقيق كل الاهداف التي من شانها مطاردة «اسرائيل» ومحاربتها ، فلهذا اندفع المناضل «ابو علي المهدي بسيسو» على ظهر قارب صغير نحو فلسطين المحتلة ، فالقت السلطات الاسرائيلية القبض عليه وعذبته ، ولهذا اندفع الثائر القائد «ابو داوود» ورفاقه حيث القي القبض عليهم في عمان قبل ايام .

ان الروح الثورية العظيمة الدفاقة التي تدفع مثل هؤلاء المناضلين في ظل ظروف الانحسار والتراجع والتآمر وصفقات الاستسلام ، لتحقيق طموحات الثورة وجماهيرها ، هي بالضرورة نفس الروح الذي ستجعل الثورة تواصل اندفاعها العظيم لاقتلاع كل اشكال القهر والاحتلال من فوق الارض المحتلة شرق النهر وغرب النهر .

ان هذه الروح الثائرة المتمردة التي ترفض الهوان والذل والاستسلام ، وترفض الوجود الاسرائيلي في المنطقة العربية ، وتتصدى للامبريالية وعملائها ، تؤكد بالضرورة ايضا بان الثورة الفلسطينية تعرف ماذا تريد ؟ ومن اجل ماذا تقاتل ؟ وكيف نقاتل ؟ وان هذه الروح الثورية المتمردة التي تكبر وتنمو وتترعرع في ظل الثورة ونعيمها وجحيمها، وتنتشر في صفوفها

انتشار النار في الهشيم . نزيد في قناعة الثوار ، وتعمق من اختيارهم ، وصحة موقفهم من الموت والحياة .

فتحية اكبار ومحبة وكبرياء . لمن يعرفون طريق البداية للوصول الى النهاية المؤزرة بالنصر . تحية لهم اينما كانوا وأينما وجدوا وهم يلبسون قيود الاماني والحرية من اجل تحرير الانسان العربي وتحرير فلسطين ، وتحرير الارض العربية المغتصبة . تحية لارواحهم وانفسهم الطليقة ، تحية لهم تنبض بالفهم والوعي والتقدير ، ـ لانهم وحدهم ـ وكل الثوار معهم يعرفون بانهم وحدهم خارج السجن الكبير .

فلسطين الثورة : العدد ٢٤
٢١ شباط ١٩٧٣

المنحرفون والعاجزون والامبرياليون يشاركون في :

حرب الاستنزاف الاسرائيلية !

ان حرب الاستنزاف بين العرب والدولة الصهيونية لم تتوقف ـ كما يتضح في كل يوم ـ بقبول بعض الدول العربية مشروع روجرز عام ١٩٧٠ ، فها هي الدولة الصهيونية تصعد هذه الحرب وتتابعها على اوسع نطاق وتستأنفها من جانب واحد مما يؤكد خطأ الذين اعتقدوا ان ايقاف حرب الاستنزاف سيتيح للدول العربية التقاط أنفاسها الحربية ، بشن حملة استنزاف دبلوماسية على «اسرائيل». ولقد ثبت بمرور الزمن ان«اسرائيل» هي التي التقطت أنفاسها ، وهي التي تمارس اليوم حرب الاستنزاف ضد الامة العربية ، بدءا من اطلاق قنابل النابالم والصواريخ والرسائل الملغومة على طول وعرض الارض العربية ، وانتهاء بسلسلة الاعتداءات والتحديات العسكرية المهينة التي تقوم بها هنا وهناك .

وحرب الاستنزاف الاسرائيلية لم تخضها الدولة الصهيونية ولا هي تصعدها وحدها ، وانما تقف معها في هذه الحرب قوى الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية في كل مكان .

لقد كانت مجزرة ايلول ضد حركة المقاومة في الاردن عام ١٩٧٠ ، الاعلان الاكبر لاستئناف حرب الاستنزاف الاسرائيلية ، وهي مثال واضح على دور الرجعية والامبريالية الاميركية وغيرها في هذه الحرب ايضا ، فلقد اجهضت مجزرة ايلول ارادة القتال العربية في شرقي الاردن ، واستنزفت من قوى حركة المقاومة الفلسطينية التي كانت تقوم قبلها بأكثر من عشرين عملية ضد العدو الصهيوني يوميا . فاذا هذه العمليات تتقلص وتنشغل

حركة المقاومة بالدفاع عن الذات بالاضافة الى مهامها القتالية الاخرى .

ولقد نقل العدو ايضا حرب الاستنزاف الى جنوب لبنان ، فعمل على ضرب الجماهير اللبنانية وارعابها وتهجيرها وزرع التناقضات في الساحة اللبنانية ، كما فرض ضغوطا عسكرية هائلة على النظام اللبناني ، جعل فيها خياره بين التصدي لايقاف الهجمة الفدائية على اسرائيل ، وبين تعرض لبنان لضغط الآلة العسكرية الاسرائيلية .

ووالى العدو الانفراد بالدول العربية فشن على سوريا سلسلة من الاعتداءات بلغ عدد ضحايا الحلقة الاخيرة منها خمسمائة قتيل وجريح . ولقد ردت سوريا على هذه الاعتداءات الا انها وحيدة في ردها كشفت عجز المواجهة العربية عموما .

وتعرضت الامة العربية لعملية استنزاف معنوي كبيرة ، فيما ترى الامة ضحاياها يتساقطون ، والعدو ينفرد بكل دولة عربية على حدة ، والحكام العرب لا يستطيعون الرد على الصهيونية ناهيك بردعها ، بل ان بعضهم اسهم في مساندة العدو في حرب استنزافه . فسرحوا الضباط والعسكريين الشرفاء ، وتصدوا للعمال والكادحين والطلاب والمثقفين بالرصاص، وليست التصفيات التي يتعرض لها المقاومون اليوم في الاردن ، وآخرها عمليات القسر والتعذيب بحق «ابو داوود» ورفاقه في الاردن الا مثالا صارخا على دور الرجعية المحلية في حرب الاستنزاف الاسرائيلية .

كما ان الامبريالية تشارك الصهيونية والرجعية في حرب الاستنزاف هذه . فتواصل الضغط من اجل استنزاف خيرات النفط العربي ، وتضغط على دول النفط لاستنزاف عائداتها في المصارف الغربية والاميركية ايضا، فلا تكون هذه العائدات حرة على الصعيد السياسي ولا تكون حرة على الصعيد المالي كذلك .

وفي الاسبوع الماضي امتدت يد الاستنزاف الاسرائيلية عبر حوالي مائتي كيلومتر داخل الاراضي اللبنانية فضربت مخيمي البداوي ونهر البارد في شمالي لبنان ، فاثبتت انها مصممة ومصرة على تصفية وجود الشعب العربي الفلسطيني الذي يشكل عقبة بشرية ومعنوية في طريق استمرار الدولة الصهيونية وتوسعها ، كما اكدت ان هذه العمليات ضد الجماهير الفلسطينية ليست بدافع الانتقام اصلا كما تدّعي ، وانما بدافع حمل الامة العربية على الاستسلام والركوع وايهام الفلسطينيين بان الاستسلام للصهيونية افضل له من الاستسلام للموت .

وفي الاسبوع الماضي ايضا اسقطت المقاتلات الاسرائيلية طائرة مدنية

ليبية عن سابق تصور وتصميم فأودت بحياة اكثر من مائة من العرب والاجانب ، واننا نقول ان ذلك تم عن سابق تصور وتصميم لاننا نعرف تاريخ الحركة الصهيونية ونعرف انها جعلت «الوكالة اليهودية» ومنظمة «الهاجناه» واجهة لها ، بينما اسندت في الوقت ذاته مسؤولية اقذر العمليات وابشعها لمنظمتي «شتيرن والارغون». كذلك فانه سبق «لتل ابيب» ان أنذرت طرابلس الغرب اكثر من مرة بسبب تأييدها لحركة المقاومة الفلسطينية ، وجاء في انذارها الطويل ان ليبيا ليست بعيدة عن متناول يد الاستنزاف الاسرائيلية ، ومن هنا فلا حاجة للقول بان وقائع اسقاط الطائرة قد اثبت للعالم ، وباعتراف جزئي من المسؤولين الاسرائيليين انفسهم ان «مجزرة السماء» الليبية كانت مفتعلة ومقصودة .

ان اسرائيل وبعد ان سددت للعرب ضربة قوية في حرب حزيران واستطاعت تحطيم قوتهم العسكرية المنظورة ، تنتقل اليوم الى تحطيم رصيد القوة والفعل لدى العرب ، وذلك حتى لا تكون للدول العربية فرصة في مرحلة وقف اطلاق النار لاعادة بناء القوة العربية ، وحتى لا يصبح عندها القدرة لخوض مواجهة عسكرية جديدة ضد الصهيونية في المستقبل، ولان الصهيونية تدرك مدى القدرات المادية والمعنوية التي تملكها الامة العربية ، ومن هنا فانها معنية في المقام الاول باستنزاف القوى المعنوية والنفسية للامة ، ليسهل عليها تحطيم قدراتها المادية الكبيرة .

وانه من المؤلم ان يكون رد الدول العربية على حرب الاستنزاف الاسرائيلية بحرب استنزاف من هذه الدول نفسها ضد طلائعها الوطنية وطلائعها المسلحة ، وقواها الشعبية ، وانه لمن المؤلم ايضا ان يكون رد الدول العربية على حرب الاستنزاف الاسرائيلية بحملة استنزاف دبلوماسية ضد الصهيونية ، حيث تقف فيها الامبريالية الاميركية في موقف الخصم بحكم ارتباطها العضوي بالدولة الصهيونية ، وفي موقع الحكم ايضا ، بالاعتماد عليها لتنفيذ التسوية الاستسلامية وتصفية القضية الفلسطينية .

وانه من المؤلم ايضا ان يكون الاعلام العربي الذي رشح يوما من الايام لمحاربة الاعلام الصهيوني في اوروبا وأميركا ، عاجزا عن حماية ذاته من تأثير الرجعية العربية والامبريالية ، وحتى الصهيونية على الارض العربية !!

ان المنطقة العربية تعيش في هذه المرحلة ليلا طويلا لا تقطع أوصاله الا اصوات القنابل والانفجارات والاعتداءات الاسرائيلية على الوطن العربي . وان اصحاب الرؤية التاريخية وفي طليعتهم المقاومون الثوريون يعرفون ان سواد هذا الليل سيزداد حلكة واكفهرارا ، ولكنهم يعرفون ان احلك ساعات

الليل هي الساعة التي تسبق الفجر . والثوار الحقيقيون الذين يدميهم غياب رفاقهم الشهداء ، ويؤلمهم سقوط الضحايا العربية ، ويجرحهم ان يكون الانسان العربي رخيصا في نظر المسؤولين العرب قبل ان يكون رخيصا امام اعين العالم ، يتفاءلون ولا يتشاءمون ، ويزداد ايمانهم ولا يكفرون ، ويتأكدون ان ثورة حتى النصر والتحرير هو خيارهم التاريخي .

وهم واثقون بأن حفنة من الصهاينة في فلسطين لا تستطيع ان تصمد امام ردة الحياة والقتال لدى الامة العربية ، ولا امام قواها المعنوية والمادية الكبرى ، وهم يدركون ان وحشية الهجمات الاسرائيلية تعبر عن عدم ثقة بالنفس لدى الحركة الصهيونية ، اكثر مما تعبر عن القدرة على البطش لديها ، وهم يدركون ايضا ان قوة الهجمة المعادية من شأنها ان تدفع الامة الى بناء المناعة والقوة لديها لمواجهة اكبر الاخطار .

ولم يكن بالصدفة ان الامة العربية وهي تفتش عن اداة ترد على الهجمة الصهيونية التي تمثلت في اسقاط الطائرة الليبية ان اتجهت انظارها الى حركة المقاومة الفلسطينية ، فصدر عن منبر عربي وهو من اكبر المنابر الاعلامية في الوطن العربي ، دعوة الى اعطاء حركة المقاومة ، «ورقة بيضاء» في التصدي للصهيونية ، وهي عملية منح جاءت متأخرة بعد تاريخ تردد ومنع طويلين ، ولكن هذه الدعوة تؤكد معاني كثيرة ، وتشكل دليلا قاطعا ان حركة المقاومة واستراتيجيتها ، ونضالها على كل المستويات ، وان كل ما تمثله في هذه الساحة ، وحده يضيء معالم الطريق للنصر الحقيقي .

اما التائهون والضائعون بين العجز والانحراف ، فانهم سيخسرون كل شيء .. ويرشحهم التاريخ حتى لخسارة انفسهم . وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه .

فلسطين الثورة : العدد ٣٥
٢٨ شباط ١٩٧٣

اسئلة لا نستطيع الا طرحها

قلنا في اكثر من مناسبة انه لا تربط منظمة التحرير الفلسطينية علاقة بمنظمة «ايلول الاسود» ويؤكد ذلك ان «ايلول الاسود» غير ممثلة في اللجنة التنفيذية او المجلس الوطني للمنظمة او في اي مؤسسة لحركة المقاومة الفلسطينية . ولكن منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، ولارادته في الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة المدى ، معنية ، ولا يمكن الا ان تعنى بكل الظواهر التي يفرزها الشعب الفلسطيني ومنها ظاهرة «ايلول الاسود» ومن هنا فقد راقبت قيادة المنظمة باهتمام مجريات أحداث الخرطوم الاخيرة ، وكانت عينها ساهرة على النتيجة التي كانت تسير اليها ، الى حد اضطرت فيه ومعه ان تلعب دورا في المستقر الذي انتهت اليه .

لقد اثارت أحداث السودان الاخيرة اكثر من سؤال في مختلف الساحات وفي مقدمتها الاسئلة التي طرحتها الجماهير الفلسطينية والعربية حول العملية معناها واهدافها ، ومنها الاسئلة التي طرحتها منظمة التحرير ذاتها ايضا ، وبينها اسئلة اخرى كثيرة طرحتها وما زال يطرحها الرأي العام العالمي .

ولعل ابرز هذه الاسئلة هو : لماذا عملية الخرطوم ؟ وكان الجواب واضحا كما سمعنا هو : لتحرير الاخ «ابو داوود» ورفاقه في المقام الاول ، وكذلك لتحرير مقاومين ومناضلين فلسطينيين آخرين .

وسؤال : لماذا يكون «ابو داوود» الهدف الرئيسي للعملية ؟ والجواب عند الشعب الفلسطيني الذي يعرف : ان ابا داوود كان قائد الميليشيا في الاردن عندما شن النظام الاردني ومن خلفه الامبريالية والصهيونية ، مجزرة

ايلول عام ١٩٧٠ على قوات المقاومة وجموع الجماهير ، ولان الاخ ابو داوود ضرب مثلا للقائد يمشي الى المعركة امام رجاله .

وسؤال آخر طرحه الراي العام العالمي ، وسط جو الحدة والعنف والحريق الذي لف عملية الخرطوم ، وهو لماذا هذه الظواهر الحادة ولماذا «ايلول الاسود» ؟؟

ان اي جواب على هذا التساؤل لا يجوز ان يتجاهل الوقائع التاريخية والوقائع اليومية ايضا . لقد كانت الظواهر الحادة هي النتيجة لكل المآسي التي حلت بالشعب الفلسطيني ، ومن هنا فان اي مراقب، ولو كان محايدا، لا يستطيع الا ان يرى ايلول الاسود وليدا طبيعيا للاحتكاك الذي تم ما بين مجزرة ايلول عام ١٩٧٠ ضد حركة المقاومة ، وما بين الارادة الصلبة في الكفاح المسلح لدى الشعب العربي الفلسطيني .

ان الظواهر الحادة تنشأ عادة بفعل التآمر على ارادة الشعوب التي لا تقهر ، وهي تتغذى باستمرار شد الخناق حول الشعب ومحاصرته ، وهي مؤهلة لان تستقطب شعبية كبيرة اذا ما استمر الحصار على الشعوب واذا ما واصلت الامبريالية مخططاتها ضد الشعوب ، فكيف عندما تصل هذه المخططات الى حد التصفية الكاملة كما يحدث بالنسبة للشعب الفلسطيني. ومن هنا فعلينا ان نفهم ايلول الاسود – ونحن نراها تضرب هنا وهناك – وعلى غيرنا من المتسائلين ان يفهم انها تمثل وتجسد حالة عقلية بدات تسود بعض قطاعات الشعب الفلسطيني والعربي نتيجة الكبت والحرمان والتآمر الدنيء المفضوح ضد قضية الامة الكبرى . ولكن ذلك لا يعني من بعيد او قريب ان نكون بديلا للثورة ولاستراتيجيتها المتكاملة في الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويل المدى ، سبيلنا الوحيد للتحرير . ان الثورة ترفض ان تكون ايلول الاسود بديلا والشعب الفلسطيني كذلك .

وسؤال آخر يطرحه الناس هنا وهناك وهو : لماذا أعدم رجال «ايلول الاسود» الدبلوماسيين الاميركيين ؟؟

من خلال التحليل السابق للظواهر الحادة ، ومنها ظاهرة ايلول الاسود، لا نستطيع الا ان نقول ان الشعب الفلسطيني قد حسم بالسلاح ونهائيا موقفه من العلاقة العضوية بين الدولة الصهيونية وبين الامبريالية الاميركية. فالاحلام التي كانت تقول باحتمال تحييد موقف واشنطن بين الدولة الصهيونية وبين الدول العربية . قد تبخرت وزالت بالممارسة تماما كما سبق للحركة الوطنية والتقدمية العربية ان رفضت بالنظرية امكانية تحقيق هذا الاحتمال ولكنها عجزت عن تجسيدها بمستوى شمولي يمس مصالح

الامبريالية في المنطقة .

ان تكريس هذه النتيجة قد جاء بعد ايام من استقبال الرئيس الاميركي في البيت الابيض ، للرئيسة «الاسرائيلية» وتعهده لها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية والمادية من باب تأكيد هذه العلاقة العضوية ، ومثلما بدا بأنه يتضمن مكافأة على اسقاط اسرائيل للطائرة الليبية اخيرا .

وسؤال آخر مطروح ايضا هو : لماذا لم تصفِ ايلول الاسود بقية الرهائن وما يمثلونه ؟؟

قد تكون هناك عدة اسباب وجيهة اخذت بعين الاعتبار ، كما يبدو ان البعض الذي حسم موقفه نهائيا من الامبريالية الاميركية وهي شريكة الرجعية الاردنية في مجزرة الاردن ، لم يحسم بعد موقفه نهائيا من كل القوى في الساحات المختلفة ، وما زالت التمنيات لدى البعض ان يثوب البعض الاخر الى رشده ، وان يضع مصالحه القومية فوق مصالحه الاقتصادية ، وان يضع يده مع التاريخ ومع المستقبل ، وان يفكر بهذا المستقبل اكثر مما يفكر بماضيه وماضي التاريخ . كمازال البعض من البعض الاول يفكر بأن الدماء لدى البعض الاخر لا يمكن ان تتحول الى «ماء» وان الاخوة لا يمكن ان ينقسموا الى قابيل وهابيل !

ولا نعرف اذا كان هذا هو موقف «ايلول الاسود» بالذات ولكننا نعرف انها لا بد ان تعيش بين الناس والاحداث فنتأثر بها ايجابا وسلبا .

كذلك يطرح السؤال الثاني : هل كانت عملية الخرطوم ردا على عملية اسقاط الطائرة المدنية الليبية ؟؟

وجواب الناس على ذلك ، ان عملية الخرطوم ليست الرد المطلوب على مجزرة «السماء الليبية» ولكن ليس هناك ادنى شك بأن عملية الخرطوم اعطت العرب فكرة عن مدى قدرتهم على الانتقام ، واعطت الاعداء في الوقت ذاته فكرة عن قدرة العرب على الفعل ، وعن اختصار المسافة بين القول والفعل لديهم متى ارادوا .

ويتساءل بعض المراقبين : لماذا تبدا هذه العمليات ببطولة نادرة ، ثم يتخلل بعضها التعقيدات والثغرات ويكاد البعض ينتهي بمشكلة ؟؟

ويجيب بعض المهتمين والمتابعين لهذه الظاهرة ، انه في البحث عن اسبابها نجد نفس الاسباب المشتركة التي تجمعها مع مجمل العمل الفلسطيني والعربي ، وهو قضية الانسانية ، فالعرب وبشكل عام يضعون الانسانية فوق الميكانيكية ، ويجمعون الروحية مع المادية ، والقلب مع العقل . وهذا جزء من الخلق العربي والعقل العربي ايضا ، ولكن الذي يبدو

ان العقل العربي المتجه الى الكفاح الشعبي المسلح ، والخلق العربي الذي لا يمكن ان يبقى ويعمم الا اذا بقي العرب ، لن يكونا بعد كل الذي جـــرى ويجري ، لن يكونا بعد فلسطين كما كانا قبل ضياع فلسطين ، وأجزاء من الاوطان العربية ، الا منابع للتغيير وللتفجير وللتحرير تفرضهـــا بالضرورة معركة المصير من خلال الايمان والممارسة ، فيكون فيهما ومنهما المزيد من الخير للعرب وللبشرية جمعاء .

ان قضية فلسطين قضية عظيمة، وعادلة، ومقدسة ، وسيكون لاعلانها، واحقاقها اكبر التأثير على مصير ومستقبل الامة العربية بأسرها ، كمـــا سيكون لها ايضا اكبر التاثير على مستقبل الاوضاع العالمية ، ولذلك فان هذه الهجمة الشرسة على الامة العربية وفي هذه المرحلـــة بالذات انما لتحملها على التخلي عن قضيتها المركزية الاولى ، كذلك تجيء حملة التصفية والتضييق والحصار ضد الثورة الفلسطينية فاجرة وقاسية ورهيبة الى هذا الحد .

ولان قضية فلسطين عظيمة ومقدسة الى هذا الحد فانها خطيرة في الوقت ذاته ، وتضع على قادتها واصحابها في كل مكان وزمان مسؤوليات كبيرة وثقيلة وحادة .

ولان قضية فلسطين عظيمة ومقدسة وخطيرة بهذا المستوى ، فـــان جماهيرنا ما زالت اكبر من كوادرها الثورية ، وما زالت كوادرها الثوريـــة اكبر من قياداتها ، وما زالوا جميعا اصغر من قضية فلسطين .

يظل ان هذه الجماهير والكوادر والقيادات الثورية المحدودة في غمرة المحيط العربي الكبير ، تقف كالعملاق امام الذين ينصبون من انفسهم قضاة على الثورة الفلسطينية ، ناهيك عن أولئك الذين يتأرجحون بين العجـــز والانحراف والذين يتآمرون على القضية المركزية ذاتها .

من هنا كان ويجب ان تكون معركتنا الاساسية مع ذاتنا ، وفي الوقت الذي تستطيع فيه حركة المقاومة أن تتجاوز ضعفها وتتغلب على نواقصها، ستكون اكثر قدرة على الاسهام في اخراج الامة العربية كلها من مأزقهـــا الكبير الذي يتحمل قادتها وحكامها مسؤولياته كاملة امام التاريخ والاجيال المقبلة .

المسيرة طويلة وشاقة وصعبة .. والطريق هو الكفاح الشعبي المسلح.. وستظل الثورة على صواب .

فلسطين الثورة : العدد ٣٦
٧ اذار ١٩٧٢

..دقت ساعة الفرز !

تظل الكلمة المسؤولة الهادفة تسير جنبا الى جنب مع الرصاصة التي نطلقها على اعداء امتنا في حربنا المقدسة الطويلة المدى ضد الامبريالية والصهيونية العالمية ، تظل وحدها القادرة على تحديد الامور ، ورسم معالم الطريق ، وفرز الحقائق ؛ في مرحلة ابسط ما يقال فيها انها خطيرة وحاسمة ؛ تستدعي المجابهة والتصدي والمصارحة في قضايا وشؤون الثورة الفلسطينية وطبيعة ومعنى علاقتها بمجموعة الانظمة العربية الرسمية .

وليست هي المرة الاولى التي نتحدث فيها عن طبيعة ومعنى هذه العلاقة ، وليست هي المرة الاولى التي نتوقف فيها بمسؤولية لاعادة النظر في جوهر الموضوع ، وليست هي المرة الاولى التي دعونا وندعو فيها الى تقييم العلاقات بين جملة الاوضاع الرسمية العربية من ناحية وبين حركة المقاومة الفلسطينية من ناحية اخرى . بل تكاد تكون هذه المادة جزءا لا يتجزأ من خلفية أحاديثنا ومعالجاتنا من منطلق الواقع السياسي والجغرافي والاستراتيجي وحقيقة التواجد البشري الفلسطيني على الارض العربية ؛ ومن منطلق الارتباط العضوي بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني وحركة التحرر العربية .

ولسنا بحاجة الى التأكيد أننا ننطلق من مواقع الحرص والالتزام بمواقع الثورة والتحرير ، ومن منطلق فهمنا النظري العميق الذي مارسناه بالتجربة في مختلف الساحات ، وعلى الصعيدين العالمي والعربي . ومن هنا فلا يمكن ان تطرح مثل هذه الامور للمزايدة او المناقصة ، ولا يمكن ان تعالج مثل هذه القضايا الا بحس تاريخي وفي اعلى درجة من المسؤولية

تفرضها معركة المصير التي نخوضها اليوم والتي لا يجوز ان يبقى فيها مكان لعابث او لجاهل او لمنحرف .

فالدعوة اذن ، لتقييم وفهم معنى وطبيعة العلاقات بين المجموعـــة العربية الرسمية وبين حركة المقاومة الفلسطينية ، جادة وليست جديدة ، أملتها المصلحة القومية العليا في الماضي ، وتحركها وتمليها اليوم وفي اكثر من موقع عوامل وأسباب عديدة بارزة ، وتعارضات كثيرة ترقى الى مستوى التناقضات . والمقاومة قبل كل شيء ، وبعد كل شيء تعبير عن ضمير هذه الامة من حيث كونها مؤهلة تاريخيا وظرفيا لان تفجر الطاقات التصحيحية في الوطن العربي ، فتقاتل وتناضل وتمارس من ناحية ، وتطرح الحقيقة وكل الحقيقة للجماهير من ناحية اخرى .

اسئلة كبيرة وجادة تطرح نفسها علينا ونحن في صدد معالجة هـــذا الموضوع وهي :

هل هناك موازين ثابتة تفرض التعامل المستمر مع الانظمة العربية من منطلق الواقع السياسي والجغرافي والاستراتيجي والتواجـــد البشري الفلسطيني على الارض العربية ، ومن خلال المنطلقات القومية التي أشرنا اليها في مطلع حديثنا ؟؟ وهل يعني هذا التعامل الموافقة المطلقة او المعارضة المطلقة ؟؟ وماذا عنى وماذا يعني هذا التعامل ؟ والى اي مدى يعكس نفسه على حرية العمل واستقلالية الموقف ، وقدرته على ترجمة نفسه سلوكـــا وتصرفا في معركة التحرير ؟؟

لو كانت الاوضاع سليمة وصحية على امتداد الساحة العربية ، بمعنى لو ان النظرة كانت واحدة والفهم كان واحدا لطبيعة الهجمة الامبرياليـــة الصهيونية على الوطن العربي ، وبالتالي او كانت المواقف والممارســات واحدة لدحر هذه الهجمة وقهرها ، لقلنا ومن ضمن فهمنا للامور بأن قضية فلسطين هي قضية داخلية لكل مجتمع عربي وان هناك موازين ثابتة تفرض التعامل المستمر مع الانظمة العربية ، بل ربما ذهبنا الى أبعد من ذلك كما ان سبق وذهبنا في مرحلة التمنيات والمساومات والفراغ بعد هزيمة الخامس من حزيران . ولكن الامور انتهت الى عكس ما كان يتمناه البعض ، وجاءت الاحداث ومجريات الامور لتؤكد استحالة وجود مثل هذه الموازين الثابتة التي تفرض التعامل المستمر من خلال المنطلقات التي اشرنا اليها في معظم الحالات ومع العديد من هذه الانظمة ، وظهر ان هنالك الكثير من المتغيرات والعوامل تتحكم بالموازين الثابتة المفترضة ، وتؤثر بها ، اساسها ما يتعلق بطبيعة تكوين بعض هذه الانظمة التي ترى في وجود وبقاء اسرائيل عملية

تسهيل وتريح لبقائها وذلك بسبب ارتباط مصالحها بشكل مباشر مع المصالح الاميركية وبالتالي مع اسرائيل ، ومنها من رضخ باسم الواقعية لديمومة وجود اسرائيل وانحصر نضالها من خلال استحضار الهيبة الدولية في المنطقة ، وذلك لعجزها الذاتي والفشل في شد مجتمعاتها الى حتمية المجابهة .

من خلال كل هذه المفارقات الرسمية التي جسدها الواقع بسلسلة التراجعات المهينة ، بدءا بوقف اطلاق النار وقبول مشروع روجرز ومرورا بمجازر الاردن الدامية ، وعمليات الحصار والتطويق التي عانت منها حركة المقاومة الفلسطينية ، وانتهاء بعمليات التحريض والقمع المكشوفة التي تدعو اليها الولايات المتحدة من خلال السودان وغيرها من الانظمة العربية في هذه الايام ، يبدو واضحا بأن المسؤولية تقع في عدم وجود مثل هذه الموازين الثابتة للتعامل المستمر ، على عاتق الانظمة العربية نفسها ، من خلال التعارض الذي اشرنا اليه عند البعض والذي لا بد من النضال من اجل ازالته ، او التناقض الذي اشرنا اليه مع البعض الاخر الذي يبدو انه من المستحيل ازالته ، وقد اسقطته المقاومة من حساباتها ليوم الحساب .

ان الثورة الفلسطينية التي تطرح نفسها على انها احد القطاعات الهامة لمجابهة للغزوة الصهيونية الامبريالية تحدد تعاملها اذن مع هذه الانظمة بمقدار شعور هذه الانظمة بخطورة هذه الغزوة الصهيونية الامبريالية ومدى عزمها واستعدادها لمجابهتها والتصدي لها، فاذا كان لمثل هذه الانظمة وجود فهي التي تتبنى مواقف الثورة ويكون ذلك من ضمن استراتيجيتها ، ودون ان ينتظر من الثورة تطابق مع سياستها على صعيد التعامل فالثورة تدرك حدود ما تنتظره منها ، لانه في حالة وضوح الاستراتيجية يصبح موضوع التعامل من المواضيع الثانوية ، وضمن ما يستفاد منه لمصلحة المسيرة ، وتصبح قضية الاخطاء والمخالفات التي تقع هنا وهناك ، من فضائل الثورة المؤجلة وليست اسبابا تدعو لقمعها وذبحها وتصفيتها وبالتالي تصفية القضية المركزية بأسرها لصالح اسرائيل .

ظل ان نقول اننا لسنا من دعاة فتح المعارك في الفراغ ، فلقد دعونا الى العمل العربي الجدي الثوري الموحد من اجل المعركة ، وقدمنا كل تجاربنا وخبراتنا النظرية والعسكرية من خلال برامج وخطط مدروسة ، طرحت في مختلف المؤتمرات من اجل المجابهة والتصدي للهجمة الامبريالية الصهيونية التي يزداد حجمها يوما عن يوم ، وباركنا كل جهد من اجل تنقية الاجواء العربية لحساب المعركة وليس على حسابها ولمنع تمرير الحلول الاسرائيلية

الاميركية في المنطقة ؛ ولكن كل هذا الجهد وكل هذه المحاولات لم تثمر وازدادت حدة المؤامرة على قضية الامة العربية المركزية في السر والعلن ، واصبح اهتمام الجماهير وتداخلها في القضية المصرية وفي عرف الانظمة المتخاذلة استعداء للجماهير عليها ، بدلا من ان تراها دفعا اضافيا لها ، فكانت الاعتقالات والتصفيات والصمت على الاعتداءات المتكررة التي تشنها اسرائيل صباح مساء على أوطاننا ..

ومن هنا لقد دقت ساعة الفرز ، واصبح من الضروري ان يلازم التعامل انماط من التداخل المثابر المستمر لتنظيم قوى الجماهير والشعب للحيلولة دون ارتكاب الخطيئة الكبرى ، والتصدي لكل من يعمل بارادته او من غير ارادته على خيانة القضية التي يدور من حولها المصير العربي وجودا وعدما.

ان القضية عادلة ومقدسة ؛ ولا يحق لاحد ان يعبث بها ، والقضية العادلة المقدسة قادرة على الانتصار ، والايدي الممتدة لخدمتها بالممارسة والارواح التي تفتديها تؤمن بذلك ، وتعرف ذلك على المدى الطويل ، فهي لا تيأس من نفسها ، ولا تيأس من جماهيرها الفلسطينية والعربية ، ولكنها ربما تكون قد يئست من بعض المتصدرين المتربعين في رئاسات وقيادات لا حق ولا استحقاق لان يتربعوها ويتصدروها . ومن هنا ايضا فقد حانت ساعة الفرز ، وحركة المقاومة الفلسطينية ليست بديلا عن حركة التحرر العربي ، ولكنها وامام كل هذه الاخطار تدعو لاخذ زمام المبادرة ، وتدعو للفرز ، وما زالت الفرصة سانحة امام المترددين في القيادات قبل ان تحل عليهم لعنة التاريخ ولعنة الجماهير .

فلسطين الثورة : العدد ٢٧
١٤ اذار ١٩٧٣

روجز وكيسنجر وجهان لعملة واحدة!

تأتي الاحداث لتفضح في كل يوم الذين كانوا وما زالوا يقولون باختلاف موقف وزارة الخارجية في الولايات المتحدة عن موقف وزارة الدفاع في «البنتاغون» وعن موقف الرئاسة في البيت الابيض . فقد كشف وليام روجرز وزير الخارجية الامريكي القناع عن وجهه ، فدعا الى ذبح الفدائيين وتصفية قوات المقاومة الفلسطينية ، كما حرض العرب على الاقتتال فيما بينهم ، وأعلن تجاه قضية الشرق الاوسط نفس النوايا ، ونفس المواقف التي يحملها ويقفها ويعبر عنها ، هنري كيسنجر المستشار الخاص للرئيس الامريكي .

ويعتقد بعض المعلقين السياسيين ، وبعض اطباء العلم النفسي السياسي بأن روجرز يعيش عقدة كيسنجر بعد نجاحاته السياسية التي حققها هذا الاخير ، مما جعل روجرز يخرج عن تحفظاته ويفقد مرونته ، فيتبنى في العلن — وبعد ان اصبح يعيش في الظل شيئا فشيئا ، بعيدا عن المباحثات والقرارات الاستراتيجية — اصبح يتبنى في العلن خطة منافسه كيسنجر، القائلة بأن مصالح الولايات المتحدة قد انتعشت في المنطقة بفعل الهزيمة ، وانها تتضاعف بفضل تصلب الموقف الرسمي الامريكي فيها وتنسيقه مع السياسة الاسرائيلية ، والتي تقول ايضا ان العرب لا تنفع معهم اللياقة والمرونة وانما الشدة هي الوسيلة المثلى للتعامل معهم من اجل صيانة المصالح الامبريالية والصهيونية ، والتي تتمثل حسب رأيه في استمرار وقف اطلاق النار في المنطقة ، وتوجيه الضربات القاسية لحركة المقاومة الفلسطينية ، وتحويل المعركة بين العرب واسرائيل الى معارك بين العرب انفسهم ، ولهاث بعض الحكام المعنيين وراء سراب «الحل السياسي» .

امام هذه الانتصارات الفوقية المؤقتة التي تحققها السياسة الامريكية في المنطقة ، وبالاضافة الى العقدة التي اصبحت تتحكم به ، وجد روجرز ان من مصلحته تبني الخطة الكيسنجرية والدفع بمجمل مشاريعه ومبادراته وتصريحاته ومواقفه لان تتماثل مع الخطة المذكورة .

الا ان هذا التماثل لم يفاجئنا من بعيد او قريب على الرغم من كل الاسباب والعوامل التي دعت الى كشفه وفضحه ، فلقد نبهنا اكثر من مرة الى ان خطة كيسنجر ومشروع روجرز تجاه الشرق الاوسط ما هما الا وجهان لعملة واحدة ، وهذا ما كانت تشير اليه القرائن وهو ما انكشف تحت وطأة أحداث الخرطوم الاخيرة ، والتي صدر بعدها مجموعة تصريحاته وتهديداته وملاحظاته التي عاد الرئيس الامريكي الى تكريسها بدعوته الى اعادة النظر في قوانين الولايات المتحدة التي تمنع حكم الاعدام ، والمح بأن المقصود من ذلك هو مكافحة عمليات العنف الخارجية بصورة خاصة .

في رأينا ان واشنطن بموقفها المتكامل العدائي الصريح تجاه حركة المقاومة الفلسطينية والامة العربية تريد اشياء كثيرة سريعة أبرزها ما يلي :

اولا : الضغط على السلطات العربية لجعل موقفها من الفدائيين متماثلا مع موقف السلطات الاميركية التي تربطها علاقة عضوية بعدونا الرئيسي .

ثانيا : دعوة العرب الى الاقتتال فيما بينهم ، وذلك بعد ان اتضح لواشنطن وتل ابيب عن طريق الاحداث والافعال ، ان افضل سلاح تشننانه على القوة العربية ومصادر القوة العربية هو سلاح عربي .

ثالثا : بالرغم من تلويح واشنطن بعزمها على تغيير قوانينها الفيدرالية لصالح عقوبة الاعدام فاننا نعتقد ان المقصود بهذا في المقام الاول هو اعطاء الامثولة لبعض الحكام العرب وتحريضهم، وليس لترتيب الاوضاع الداخلية الامريكية كما يزعمون .

فالولايات المتحدة لم تعدم احدا من الذين مارسوا العنف الثوري في اراضيها ، كما ان اسرائيل لم تعدم بصورة رسمية اي فدائي فلسطيني القت القبض عليه وحاكمته . ولكن واشنطن وتل ابيب تريد من بعض العواصم العربية ان تعدم الفدائيين وذلك بهدف جر العرب الى الاقتتال فيما بينهم ، وبهدف الاساءة الى القضية العربية امام أعين الرأي العام العالمي المتحضر ، وامام انظار قوى التقدم في العالم .

مرة اخرى نقول : ان مشروع روجرز هو وجه العملة الاخر الذي تحمل خطة كيسنجر ايضا بعد ان خلع روجرز قناعه فظهر وجهه القديم الجديد .

ان حركة المقاومة الفلسطينية كما هو معلوم ومعروف قد حذرت من مشروع روجرز وسط عام ١٩٧٠ ، ودفعت من دمها في سبيل الحيلولة دون تنفيذه والعمل على دحره ، واكدت لكل الحكام المعنيين ان الهدف الحقيقي للمشروع ليس العمل على ازالة «آثار عدوان» حرب ١٩٦٧ . وانما من اجل تحويل هذه «الآثار» لتصبح جزءا من الامر الواقع في المنطقة .

وها هي الثمار المرة «للمشروع» على طول وعرض المنطقة من المحيط الى الخليج ، تبدو واضحة جلية المعالم . فوقف اطلاق النار قائم ومستمر وبناء الارادة العربية والقوة العسكرية ايضا لا يكتمل خارج مناخ المعركة والقتال ، والرسميون مهتمون بكل شيء الا بالمعركة والاعداد لها، والوطنيون والمناضلون العرب مطاردون او منبوذون او معتقلون ، وحركة المقاومة الفلسطينية مهددة ومحاصَرة تناضل بصدق وشجاعة من اجل اخراج الامة العربية من مأزقها .. هذا وقد مر على الاحتلال الاسرائيلي ما يقرب من السبع سنوات .

ثم لا ننس ان روجرز ذاته هو الذي طرح في ايار ١٩٧١ « مشروع الحل الجزئي» وهو المشروع الذي اتضح انه يستهدف سلب العرب أداة قناة السويس من أيديهم في المعركة السياسية وتعويضهم به عن الانسحاب الكامل والتحرير . وهكذا فقد ربحت اسرائيل ومن ورائها امريكا بمشروع روجرز الاول وقتا يسمح بتحويل «آثار العدوان» الى جزء من الاوضاع الراهنة ، وجاء مشروع روجرز الثاني فأخذت القوتان المعاديتان بقية الوقت الذي تجدانه ضروريا لتأكيد العدوان والتوسع الاسرائيليين ، وجاءت التصريحات والتهديدات الروجرزية الاخيرة تستهدف ايقاف الحرب بين العرب واسرائيل الى مبادرة لازكاء وزيادة الحرب بين الحكام العرب وبين حركة المقاومة ، وبين العرب والعرب . وليس في ذلك اية مفاجأة لحركة المقاومة ، ولكنه ربما كان يحمل بعض المفاجآت لبعض الحكام العرب الذين لم يفهموا بعد طبيعة الهجمة الامبريالية الامريكية الصهيونية الشرسة على المنطقة ، ولم يفهموا بعد طبيعة هذه البالونات التي تقذف لهم هنا وهناك وبين الحين والحين من اجل التخدير وبالتالي تركيز الاحتلال والعدوان .

والمهم ان يفطن بعض الحكام العرب الى الهدف الصريح المعلن من وراء خطة روجرز بعد ان غفلوا عن هذا في الماضي ، وهذا يطرح سؤالا هاما في الوقت ذاته هو : هل نسمح لروجرز ان يتدخل بالشؤون العربية الداخلية الى الحد الذي اصبح فيه يأمر بالقتل والشنق والاعدام العلني لابناء هذه الامة ؟؟

ان طريق الخيار امام العواصم العربية لم يصعد بعد باتجاه الكرامـــة الوطنيـة والمصالح القومية ، وليس هناك اقوى من الشعب والجماهير يتوجه اليها الحكام بالمبادرات ، وليس أجدى من البندقية تكشف طريــق النور وتحدد معالم الرؤيا وسط الظلام الذي نعيشـه ، وليس للامة سوى طلائعها المناضلة ومسيرة التاريخ نسير معها ونفجر قواها الثورية الكامنة من اجل التحرير والنصر .

فلسطين الثورة : العدد ٣٨
٢١ اذار ١٩٧٣

المتآمرون على لبنان

ان روح الاخوة السائدة بين حركة المقاومة والجماهير في الساحة اللبنانية وحالة التعايش القائمة بين حركة المقاومة والسلطات اللبنانية تثيران لدى «اسرائيل» والتحالف الصهيوني الاميركي وقوى الرجعية العربية قلقا وخوفا حقيقيين ومن نوع جديد ، يدفعان بكل هذه الاطراف المرتبطة عضويا للجوء الى اشكال وأساليب جديدة في التآمر داخل الساحة اللبنانية .

ولذلك فان قوى الثورة المضادة تضغط الان بطرق جديدة على النظام اللبناني بهدف ابتزازه وبهدف دفعهالى تشديد التضييق علىحركة المقاومة. والاسراع في تصفيتها معنويا وماديا .

كان العدو يأخذ في السابق على لبنان ان مجموعات الفدائيين تنطلق من حدوده لمهاجمة الكيان الصهيوني فكان يقوم باعتداءاته على لبنان ، مدعيا ان وقف هذه الاعتداءات رهن بوقف العمليات الفدائية . الا انه رغم كافة الترتيبات التي اتخذت ورغم الوضع القائم واصلت القوات الاسرائيلية عدوانها على لبنان ، فهي لم تعد تكتفي بالوضع الراهن بل انها تسعى لالغاء الوجود الفدائي في لبنان . واكثر من هذا فان عدوان اسرائيل على مخيمات النازحين الفلسطينيين ، دليل على ان الصهيونية لم تتخل عن هدفها النهائي وهو تصفية الوجود الفلسطيني الذي يشكل عقبة بشرية امام استمرار احتلال اسرائيل ومواصلة عدوانها وتقدم توسعها .

وها هو «ابا ايبان» يتهم لبنان بالهمجية لان بعض المقاومين الفلسطينيين يتواجد فيه . وكأن وزير خارجية العدو يريد غسل ذاكرة العالم من حقيقة ان وجود تجمعات الفلسطينيين في لبنان هو نتيجة لجريمة

الصهيونية . وكأن العالم يمكن ان يصدق سبة دولة «النازية الجديدة» يمكن ان تنال من الوطن الصغير الذي ضرب مثلا في تعايش الطوائف ضمن اطار من الحرية . وكأن هذا الاتهام يمكن ان يستر حقيقة اسرائيل البشعة التي اكتشفها بعض اليهود الاسرائيليين انفسهم ، فأقاموا خلايا المقاومة ضد الدولة الصهيونية وقدم الى المحاكمة اخيرا وصدرت بحقه أحكام السجن .

ولكن «أبا ايبان» العارف بمدى الجهود التي يبذلها لبنان من اجل تبوء مكانته في سدة الحضارة انما يريد باتهامه هذا تحريض السلطات اللبنانية على حركة المقاومة تماما كما فعل زميله الامريكي «روجرز» عندما راح يحرض ضد مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين وضد حركة المقاومة .

وليس هذا المؤشر البعيد وحده دليلا على اشتداد وطأة الهجمة المعادية على لبنان وعلى حركة المقاومة فيه ، ودليل العمل على احكام الحصار من حولهما . فمن نشاط الاستخبارات الاردنية ، الى مسلسل عمليات التخريب المفضوح ، الى نشاط شبكات التجسس، ومرورا بعمليات ضرب المؤسسات الصحفية على تعدد نزعاتها ، ووصولا الى حوادث الاعتداء على الضباط والجنود اللبنانيين ... كلها مؤشرات تدل على مدى التنوع والتجديد والتفنن التي تلجأ اليها قوى الثورة المضادة الان ، وهي تستكلب من اجل دفع النظام اللبناني الى الاصطدام بقوات حركة المقاومة .

ولقد تمكن الشعب العربي في لبنان بوعيه واختباره من كشف خداع المتآمرين الذين كانوا ينزلون بالبلاد خسائر مادية وبشرية ، ويحاولون الايحاء بأن لحركة المقاومة دورا في هذا كله ، ولقد اكتشفت الجماهير اللبنانية مع الوقت بعض المدبرين الحقيقيين لاعمال التخريب هذه . وهكذا استطاع شعب لبنان بوعيه ان يفوت على القوى المعادية وعلى القوى المحلية العميلة والانعزالية فرصة الانطلاق لتحقيق اهدافها .

وبدورها فان حركة المقاومة تفهمت خصوصية الساحة اللبنانية ، لاسيما وسط جو التراجع الذي تعيشه المنطقة العربية ، فقامت بترتيب علاقاتها مع السلطات في الساحة اللبنانية حتى تم تحقيق مستوى من التفهم للمسؤوليات المترتبة على كل من الطرفين والتفاهم على المسؤوليات المشتركة بينهما ، وقد قدمت حركة المقاومة تضحيات من اجل تحقيق هذا، لانها ترفض التفريط بتراب لبنان ، وتنكر توريط لبنان في المخاطر ، ولانها تتحرك في الوقت ذاته بالمرونة الثورية وتسير على طريق كفاح شعبي طويل المدى .

ولم يعد سرا ان قيادة حركة المقاومة دفعت من رصيدها الشخصي تجاه كوادرها وقواعدها وجماهيرها ، ولكنها وللتاريخ فيما كانت تفكر بمستقبل ومصير حركة المقاومة ولبنان انكرت ذاتها وتجاهلت حساباتها الشخصية ، الا انه ليس سرا في الوقت ذاته ان مجال تنازل هذه القيادة أمام كوادرها وقواعدها وجماهيرها هو في الاساس محدود للغاية .

ولقد تحملت الجماهير اللبنانية في سبيل حركة المقاومة الكثير من الخسائر البشرية والمادية وضحت ببعض استقرارها ايضا ، الا ان هذه الجماهير دفعت التضحيات عن رضى لعلمها انها جزء من الامة العربية ، تتحمل واجباتها تجاهها كما تستحق معها حقوقها . وليس من عاقل يصدق ان بوسع لبنان الذي يعيش وسط المنطقة العربية ان يحصر المغانم فيحتفظ بها لنفسه ، ويعزل المغارم فيرميها عنه الى بعيد .

لقد اكتشف الاستعمار منذ دفع الحركة الناصرية وحزب البعث العربي الاشتراكي الى التصادم في الستينات ، ودفع الشعب الفيتنامي الى التقاتل فيما بينه حوالي العشرين عاما ، وحرض النظام الاردني على تصفية حركة المقاومة في قاعدتها الرئيسية ... اكتشف ان أفتك سلاح ضد العرب هو سلاح عربي . ولذلك فان أقصى مطامح قوى الثورة المضادة في هذا الوقت هو دفع النظام اللبناني الى شن هجمة تصفوية شاملة على حركة المقاومة . وهو بذلك يهدف الى تحقيق غايات ثلاث : الاولى هي استنزاف القوة العربية عن طريق ضرب بعض مصادرها ببعض ، والثانية ، تصفية قوات المقاومة في الساحة اللبنانية ، والثالثة ، الاساءة الى طموح لبنان نحو تأسيس تجربة انسانية وحضارية . ومن هنا فان اتهام «ابا ايبان» للبنان بالهمجية في الحاضر ، هو في الحقيقة دعوة الى همجية لبنان في المستقبل .

ولما كانت قوى الثورة المضادة ترى ان تصفية حركة المقاومة في لبنان لا تعني التصفية الشاملة لحركة المقاومة فانها تريد بتشديد اواصر التضييق والحصار حول حركة المقاومة العمل على تصفية حركة المقاومة على الصعيد المعنوي ، وذلك قبل تصفيتها على الصعيد المادي . ذلك ان قوى الصهيونية والامبريالية والرجعية تريد لحرب الشعب ان تكون عمليات افراد ، وللثورة ان تتحول الى ثأر ، ولحركة المقاومة ان تتغير الى حركة انتقام وللثوار والمقاومين ان يصبحوا قتلة . اي ان القوى المعادية تضمر لحركة المقاومة ان تصبح كتلة من اللهب تحرق ذاتها وتحرق من حولها . وفي هذا صلب التآمر على حركة المقاومة ، وكثير من التآمر على لبنان .

على ضوء ما تقدم فان سؤال المرحلة في الساحة اللبنانية هو التالي :

ما هي مسؤولية الاطراف المعنية ؟؟

والجواب على هذا السؤال التاريخي لا يخلو من الصعوبـــة . الا ان الجواب المبدئي هو ان الجميع مدعوون الى التحلي باليقظـــة والحذر . فالمؤامرة على حركة المقاومة في لبنان ، وعلى لبنان واحدة . ويمكن تفويتها بتعزيز العلاقات بين حركة المقاومة والجماهير اللبنانية وتوطيـــد أواصر التعايش بين قيادة المقاومة والسلطات اللبنانية .

ان الثورة الفلسطينية واعية ، وهي لا تعيش غافلة عن ما يجري ويدور في المنطقة وهي مصممة على ان تقاتل جنبا الى جنب مع الشعب العربي في لبنان لفضح واحباط ودحر كافة انواع التآمر على لبنان وعلى حركة المقاومة في لبنان .

فلسطين الثورة : العدد ٣٩
٢٨ اذار ١٩٧٣

التهويل بخطر الثروة العربية !

يتساءل الكثيرون اليوم عن المقصود بالتهويل من قوة الثروة العربية . وعن المقصود بالعمل على الهاب ونشر تلك الحمى في العالم ؟ فالذي لا شك فيه ان العالم يشهد في الوقت الحاضر انتشار نوعين من الحمى ، احداهما رئيسية هي «حمى المال» واخرى فرعية هي «حمى النفط» ، وكما يبدو فان المنطقة العربية هي سر ومصدر هذه الحمى الشاملة .

ولعل ابرز مظاهر هذه الحمى الشاملة في العالم ، هي اضطراب نظام النقد الدولي ، والعمل على تقويمه باستمرار عن طريق تخفيض عملات الدول الرأسمالية الناهضة بعد الحرب العالمية بشكل اساسي ، كما ان من ابرز هذه المظاهر هو عطش شرايين العالم الراسمالي الى النفط ، بحكم ان المنطقة العربية هي المصدر الرئيسي لاستهلاك العالم الراسمالي له ، اليوم، وفي المستقبل البعيد .

والذي يلاحظ ، ان هذه الحمى الشاملة ليست طبيعية . وليس ادل على ذلك من عمليات التهويل بخطورة النفط العربي وخطورة ودائعه التي يملكها العرب . هذه الخطورة التي تروج لها وسائل الاعلام الغربية وتعمل على تضخيمها بشتى الاساليب ، الى حد دابت فيه مؤخرا الى توزيع اخبار منسقة مدروسة يتناول جانب منها قوة الثروة ومصدر الطاقة لدى العرب، ويتناول الجانب الاخر منها مدى حاجة وجوع العالم وعطشه الى تلك الثروة وتلك الطاقة ، كما بدأ بعض السياسيين والاخصائيين في الولايات المتحدة بصورة خاصة ، وفي الغرب بصورة عامة يوحون ويوجهون بأن معالجة العالم من هذه الحمى الشاملة تقضي بل تفرض تأمين حاجة واحتياط الغرب من النفط العربي ، كما تقضي باستثمار ودائعه في

صناعات واسواق الغرب كذلك .

ترى ، ما هو المقصود بالعمل على الهاب تلك الحمى ونشرها في كيان العالم ؟

في اعقاب حرب الخامس من حزيران قال «ييغال آلون» نائب رئيسة وزراء العدو ، انه لولا تلك الحرب ونتائجها لتمكن العرب من تأميم النفط. وكان من الواضح ان هذا الكلام موجه الى عالم الغرب للتدليل على مدى ترابط المصالح الاسرائيلية والمصالح الامبريالية ، ومدى الدور الذي تقوم به اسرائيل «كشرطي حراسة» للمصالح الغربية في المنطقة العربية .

اما اليوم فيعمل حكام اسرائيل على ترسيخ «آثار العدوان» وعلى الاصرار على ابقاء قوات اسرائيل في النقاط الرئيسية «كشرم الشيخ» وغيرها . بل يذهبون الى ابعد من ذلك في استغلال الهزيمة الحزيرانية وانشغال الحكام بالمعارك الداخلية والجانبية ، فيعمدون الى استئجار بعض الجزر في البحر الاحمر من اثيوبيا ، ويستعدون ، كما تفيد الانباء ، للسيطرة على بعض الجزر العربية في البحر الاحمر مستعينين بعسكريين اسرائيليين في ثياب صيادين يمنيين . يحدث هذا في الوقت الذي قامت به ايران باحتلال بعض الجزر العربية في الخليج لتعمل على فرض سيطرتها على باب المندب مدخله الرئيسي . ان هذا يؤكد العلاقة العضوية بين المصالح الاسرائيلية والمصالح الامريكية والمصالح «الشاهنشاهية» في المنطقة العربية ، ويؤكد ان اسرائيل وايران تتحركان من ضمن خطة في المنطقة تهدف فيما تهدف اليه السيطرة والتحكم بالنفط العربي لصالح الامبريالية .

في رأينا ان هذا التهويل بقوة الثروة العربية وخطرها على الاقتصاد الغربي ، هو من ضمن عملية واحدة متكاملة ، ليست بريئة وليست طبيعية ، تهدف فيما تهدف اليه تهيئة الاجواء النفسية في العالم الغربي لاي هجوم او تدخل في العالم العربي للمطالبة بالاشراف الدولي الشامل على النفط العربي ، او على الاقل بمشاركة اوسع واشمل يشترك فيه بعض الحكام العرب ومعهم ممثلو المصالح الغربية والامبريالية ، لانه بالرغم من كل ما حصل عليه الراسمال العالمي الغربي من خيرات وطننا وثرواته فانه لا يرتوي ولا يشبع ، وهو بالاضافة الى رغبته في السيطرة والتحكم ، يقدم الذريعة تلو الذريعة ، بان العرب «جمال» محملة بالذهب ، وهذه الحيوانات لا تعرف مصلحتها ، ولا تفكر باستقرار العالم وسعادته ومصيره .

ان الوضع الحالي كما تحاول المصادر الامبريالية والمعادية تصويره ، يذكرنا بالوضع الذي تلا تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ والذي تلاه التهويل

الذي قامت به المصالح الامبريالية آنذاك ضد العملية ، على اساس تأثيرها على التجارة العالمية ، ولم ننس بعد مشروع هيئة المنتفعين بقناة السويس الذي قدمه منزيس رئيس وزراء استراليا بعد ان اخذت عملية التهويل مداها ، وهو المشروع الذي سبق العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر .

ولعل هناك من يقول في موقف امريكا من التهويل بقوة النفط العربي وقوة الثروة العربية انها تحاول التمهيد لمطالبة العرب بضمان استهلاكها واستهلاك الغرب من النفط العربي حاضرا ومستقبلا ، في مقابل تمرير التسوية السياسية في المنطقة بعدما يستجيب الحكام العرب لهذه المطالبة.

والمأساة ان يصدق بعض الحكام العرب كما صدقوا في السابق ان واشنطن يمكن ان تصدق في اي عرض او وعد ، والمأساة ان لا يدركوا انهم يدفعون الى تنازل جديد من ضمن سلسلة التنازلات التي قدمت حتى اليوم والتي تناسوا من خلالها ومن خلال تمنياتهم انه حتى يتم تحرير شبر من الارض لا بد من المعركة ، ولا بد من القتال ، ولا بد من ان يكون النفط سلاحا استراتيجيا في هذه المعركة ، والا فستستولي المصالح الامبريالية على كل النفط العربي وعلى الودائع ايضا ، وتنتفي حينئذ كل المبررات والاسباب التي دعت وتدعو الى التهويل بقوة النفط العربي وقوة الثروة العربية .

في هذا الوقت نعود الى السؤال الاستراتيجي والتاريخي وهو : ما العمل ؟

مرة اخرى تجد الامة العربية نفسها تبحث عن مصادر قوتها ، ومرة اخرى تجد في الوحدة ملجأها للقوة الرئيسية والفاعلة . ونحن نؤكد من جديد على دعوتنا الى صيغة تضم وتجمع بين سوريا والعراق يكون لحركة المقاومة فيها دورها الاساسي ، كما تأخذ هذه الصيغة بعين الاعتبار موقع مصر وثقلها في الوطن العربي ليعزز وينمى فيها خط القتال والمعركة ، وتأخذ في الاعتبار ايضا كون ليبيا والجزائر هما العمق الاستراتيجي لمصر العربية . ذلك ان صيغة كهذه تجمع اهل القضية العرب ، وتضع قواهم العسكرية في المواقع الاستراتيجية اللازمة لمواجهة الكيان الصهيوني ، يعطي كثيرا من القوة العربية الى فلسطين ويضع الشعب العربي الفلسطيني في طليعة معركة التحرير . اذ ان احد المعادلات المصيرية المطروحة امام الامة العربية منذ تمكنت الصهيونية في فلسطين هي : لنتقدم الى فلسطين او تتقدم الصهيونية الينا .

ان الوضع يلح على حكام النفط العرب ان يضعوا النفط سلاحا استراتيجيا حاسما في المعركة خدمة للقضية العربية ومن اجل حماية

مصادر ثرواتهم . ونحن على يقين من ان اغلب حكام النفط العرب وان كانوا لا يلتفتون الى هذه الحقيقة التاريخية اليوم ، فان الايام ستثبت انه : اما ان يكون النفط العربي للقضية العربية او لا يكون النفط للعرب .

ولا شك في ان الصراع الذي تفرضه القوى الامبريالية والصهيونية في الوقت الحاضر على الامة العربية في منطقة الخليج والبحر الاحمر تحتاج فيه الامة العربية الى صداقة المنظومة الاشتراكية ومساندتها ودعمها ، وستظل تبرز مثل هذه الحاجة ذات المصالح والمنافع المشتركة ، لاسيما وقد بدأت الصهيونية تطرح نفسها وبكل صلف بديلا للتجربة التقدمية ، وتشهر وتفضح بوطن الاشتراكية الاول ، وخصوصا وان الاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يظل بعيدا عن اعادة ترتيب الاوضاع الاقتصادية والسياسية في المنطقة.

لقد لحق تجار العالم عبر التاريخ علم الدولة المرفرف من اجل مصالح يأخذونها ويستثمرونها . ويبدو ان العلم الامبريالي يدفع به الهواء الصناعي في الوقت الحاضر باتجاه المنطقة العربية على امل ان يمضي العلم الامبريالي الى حيث التجارة . وعلى مفترق الطرق هذا ليس امام التجار والاحرار العرب خيارا الا الانضمام الى العلم العربي على مشارف فلسطين .

فلسطين الثورة : العدد ٤٠
٤ نيسان ١٩٧٣

خطوات الى الامام على طريق الوحدة الوطنية

«اما القيادات فتتغير ، واما الاشخاص فسيزولون ، وتبقى القضية اكبر من القيادات والاشخاص ... »

هذه كانت كلماته الاخيرة ، هكذا عندما يلعب القدر لعبته ، ويصيغ قائد ، في آخر ما يكتب ، موقفا نحن في امس الحاجة اليه بعد غيابه ، ما كتبه كمال ناصر لم يكن ابدا بحاجة الى تقديم ما ، جملتنا هذه باقة ورد من اسرة تحرير «فلسطين الثورة» الى رئيس تحريرها في عيده الاكبر . طموحا وعهدا لتقديم الهدية الاجمل ، الاعظم ، الاسمى ، هدية التحرير والنصر .



لن ينتهي الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية الا باقامة التنظيم الثوري الموحد .

ولن ينتهي النضال الدؤوب من اجل تحقيق وحدة اداة الثورة الفلسطينية الا بخلق التنظيم الثوري الموحد .

وستبقى كل الخطوات الجادة التي جسدتها وكرستها حركة المقاومة الفلسطينية عبر السنوات الماضية ، بالكفاح والمعاناة والصبر الطويل ، ناقصة وغير مستوفاة ، اذا لم تتوج عبر المسيرة التاريخية الرائدة التي تخوضها الطلائع العربية الفلسطينية ، باقامة ، وخلق وتحقيق التنظيم الثوري الواحد ، المدعو لخوض معركة المصير عبر حرب الشعب الطويلة المدى من اجل التحرير الشامل ، ودحر الهجمة الامبريالية الصهيونية الكبرى ضد الامة العربية ، وجودا وتراثا ، حاضرا ومستقبلا .

والذي راقب وتابع وعانى حالة المخاض في الساحة الفلسطينية وعاش مسيرة الثورة وهي تناضل وتكافح من اجل توحيد اداتها ، ومن اجل دفع فصائلها على طريق الوحدة ولو خطوة نحو الامام ، يفهم ويعرف بالضرورة معنى واهمية هذا الكلام ؛ ومعنى الحديث حول هذا الموضوع الرئيسي في الثورة في مرحلة بدات تنضج فيها الظروف للمزيد من الوحدة الفلسطينية، بل بدات تتوفر وتتلاءم فيها الشروط الموضوعية ، من اجل دفعها خطوات جديدة نحو الامام .

ان نظرة عابرة الى الوراء ، ووقفة سريعة مع الماضي القريب وما يمثله هذا الماضي من بعثرة وتشرذم ، تعمق من احساسنا بالمسؤولية التاريخية نجاه المستقبل ، وتؤكد لنا مدى صحة نضالنا وصراعنا في تجربتنا الثرة الغنية من اجل تحقيق وحدة اداة المقاومة ، وبان ما قطعناه في هذا السبيل حتى اليوم كان ضرورة وطنية ، بل حتمية تاريخية ترقى الى مستوى الهدف على الصعيدين الفلسطيني والقومي .

ولسنا هنا في مجال تعداد اسباب البعثرة والتشرذم في الماضي ؛ فلطالما حددنا وذكرنا ونوهنا بمجموعة الاسباب والعوامل التي سحبت نفسها على الشعب الفلسطيني وبالتالي على الساحة النضالية الفلسطينية؛ والتي كنا وما زلنا نردها لسببين رئيسيين ، احدهما خارجي يتعلق بالتيارات الخارجية وبعض التيارات العربية الرسمية التي سعت وتسعى الى تقويض حركة المقاومة وتفتيتها ومحاصرتها وتطويقها ، وثانيهما ذاتي داخلي يمس بنية الفصائل وتكوينها ومدى تجربتها ، ووعيها لحركة التاريخ.

كانت الدعوة والحديث والعمل من اجل الوحدة الوطنية الفلسطينية تبدو في الماضي وكانها مرهونة بردود الفعل العفوية على المؤامرات التي تتعرض لها الثورة الفلسطينية هنا وهناك ، وكان يبدو ايضا بأن الدعوة والحديث والعمل من اجل هذه الوحدة لم يكن نابعا من قرار محدد وواضح تسعى كل الاطراف المشاركة في الساحة الفلسطينية من اجل تحقيقه كفعل وليس كردة فعل ، بحيث اصبح يعتقد البعض بان كل ما يجري ويدور بشأن وحدة اداة الثورة الفلسطينية انما هي مواضيع نظرية محضة تطرح للنقاش وللحوار داخل اجتماعات المجالس الوطنية الفلسطينية لتعود وتختفي عند انتهاء دورات هذه المجالس .

كانت الامور تبدو على السطح بهذا الشكل غير المقنع للاسباب التي ذكرناها ولغيرها من الاسباب ، ولكن الحقيقة وبالرغم من كل التناقضات الثانوية التي تتعايش الساحة في ظلها ، وبالرغم من مجزرة الاردن الرهيبة،

كانت غير ذلك . فقد ناضلت فصائل حركة المقاومة ومنذ ارتضت بمنظمة التحرير الفلسطينية ارضا تلتقي عليها ، من اجل تدعيم الوحدة الوطنية وخلق الاطر الاكثر موضوعية وواقعية من اجل تحقيقها ، ولم يكن بالصدفة ابدا ان تبدأ العلاقة بين الفصائل بتكوين مكتب التنسيق العسكري ، ثم تكوين قيادة الكفاح المسلح ، ومن ثم دفع كل فصائل المقاومة للانضواء في اطار منظمة التحرير الفلسطينية والالتزام بميثاقها وبالبرنامج السياسي الذي اقره المجلس الوطني الاخير بصيغته النهائية ، مما دفع بفصائل المقاومة على طريق الوحدة واقامة الجبهة الوطنية ضمن اطار منظمة التحرير بحيث تتحقق وحدة الجبهة في القيادة والاندماج في المؤسسات .

ولم يكن بالصدفة ان تتمكن المقاومة من خلال هذه التجربة الوحدوية المحدودة ان تتخطى كل العقبات والصعاب التي تخطتها ، وان تمر بمختلف المآزق التي تتعرض لها ، وأن تلم شملها من جديد بعد مجازر عمان وجرش وعجلون ، فتطور من اساليبها باعتراف العدو وتقاتل بشجاعة على مختلف الجبهات ، وتحصل على الانتصارات السياسية تلو الانتصارات وتزيد من التحامها بجماهيرها الفلسطينية والعربية باقامة الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، ايمانا منها بالبعد القومي للمعركة ، كما تقيم اوسع التحالفات الدولية والعالمية ايمانا منها بأن الثورة جزء لا يتجزأ من معركة التحرر العالمي .

يسوقنا اليوم الى حديث الوحدة الوطنية النشاط الملموس عند فصائل حركة المقاومة التي تتحاور فيما بينها لايجاد صيغ ارقى وافضل لتحقيق الوحدة الوطنية ، كما يسوقنا الى هذا الحديث مجموعة الخطوات الوحدوية التي تمارس في الساحة الفلسطينية والتساؤلات التي تدور من حول هذه الممارسات ، والمعاني التي تكمن من ورائها ، لاسيما وقد حاول البعض ان يعطي اجوبة بعيدة كل البعد عن حقيقة هذه الممارسات والمعاني ، ووصفها بأنها اتصالات تستهدف المحورية .

اننا امام هذه التساؤلات نجد من واجبنا تثبيت الحقائق التالية :

اولا : ان اية خطوة توحيدية لا تتم بين فصيلين او اكثر بمعزل عن بقية الفصائل الاخرى ، ولقد تم خلال الفترة الاخيرة لقاءات متعددة بين غالبية التنظيمات في الساحة ولا زالت الاتصالات جارية مع من تبقى ، ولهذا يمكننا ان ننفي بحسم تهمة المحورية التي يطرحها المتربصون خارج الساحة .

ثانيا : ان الخطوات واللقاءات الوحدوية التي تتم هي من صميم وجوهر البرامج السياسية والتنظيمية للمجالس الوطنية وليست خارجة عنها .

ثالثا : ربما تكون الاتصالات والخطوات الوحدوية الجارية الان . قفزة نوعية على طبيعة الوحدة الوطنية التي ظلت سائدة حتى الان ، وهي بذلك تثبت الموقف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية المتعلق بمسألة الوحـــدة الوطنية .

مرة اخرى . وتكرارا لما قلناه ونقوله سنظل قضية دفع فصائل حركة المقاومة من اجل اقامة التنظيم الثوري الواحد هدفا استراتيجيا في حـد ذاته من اجل خوض معركة الامة العربية ضد الهجمة الضارية التي تخوضها وتشنها الامبريالية والصهيونية العالمية عليها في كل مكان . ومن هنا فان توسيع وتعميق ايه خطوة باتجاه الوحدة الصحيحة هي في رأينا خطـــوة مباركة الى الامام في مرحلة التحرر الوطني حيث تدعو الضرورة القومية الى تجميد كل تناقض ثانوي لمصلحة التناقض الرئيسي .

ظل ان نقول اننا في انطلاقتنا هذه . ونحن نعرف ماذا نريد بالضبط . لا نخضع للمزايدات ولا للمناقصات . فلا ميوعة تحت غطاء المرونة ، ولا تشنج باسم التصلب . يحكمنا البرنامج السياسي والقوانين العلمية الثورية، والعلاقات الجدلية التي تستطيع وحدها ان تحدد الخطوات .

اما القيادات فتتغير . واما الاشخاص فسيزولون ، وتبقى القضية اكبر من القيادات والاشخاص . ولا بد ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة قبل ان تسقط الثورة كما فعلت في الماضي القريب ، الاجزاء التي لا تستحق الحياة .

فلسطين الثورة : العدد ٤١
١١ نيسان ١٩٧٢

(مذكرات)

القسم الثاني

على صدوركم باقون

على صدوركم باقون

مذكرات أسير فلسطيني في السجن الكبير

(الحلقات التي سننشرها في هذه المجلة ننتزعها من مذكرات محام شاب فلسطيني يقيم في الارض المحتلة يكتب بصمت ، ويعاني بصمت ، ويتحرك بصمت ، وهو يستعرض في هذه المذكرات تجربته الذاتية في الارض المحتلة ، يشاهد ، ويناقش ، ويدرس ، يحاول ان يسبر أعماق المجتمع الجديد القديم الذي اصبح يعيشه تحت وطأة الاحتلال ، معبرا ببساطة من رفضه له من خلال فهمه لطبيعة القضية ـ المشكلة . مقدما الدليل تلو الدليل على خطورة ما يجري بالرغم ، والمتابعة النظرية لكل ما يقال وما يكتب هناك ، وبالممارسة الحية على الارض التي يعيشها .. آملين ان يكون في نشرها بعض الفائدة للقارىء) ..



٣٠ حزيران سنة ١٩٦٧ :

خرجت من بيتي لاول مرة في هذا الصباح ، مشيت في شوارع بلدتي الضيقة وانا اتمتم واتساءل : ان كنت فعلت حسنا بالخروج .. جسدي منهك ، اعصابي مشدودة اجل .. اجل هذه هي المرة الاولى التي اخرج فيها بعد ان حدث كل الذي حدث وتم كل الذي تم ..

يا إلهي لماذا لم تقض عليّ تلك الرصاصة التي مزقت بعض شرايين جسدي ..؟ لماذا لم امت مثل كل البسطاء الذين ماتوا ؟؟ يا إلهي جنبني هذه التجربة فأنا وللمرة الاولى وبعد خمس وعشرين يوما عشت فيها مع هواجسي وآلامي الروحية والجسدية وحدي .. وحدي مع أمي وشقيقتي، اخرج اليوم لارى العالم من جديد ، لارى الناس ، لارى الاصدقاء .. ولارى

اري !! من ؟؟ اكاد احس بالحمى تعاودني ، وكوابيس تهجم عليّ من جديد وأنا اكتب هذه السطور ، فلا اقوى حتى على تسجيل كلمة العدو المحتل لوطني وأرضي .. وبيتي ..!!

اجتزت الدهاليز والازقة للساحة العامة .. كلهم كانوا هناك ، شيوخ البلدة .. شبابها ، نساؤها ، اطفالها واجمون ، صامتون ، ولكنهم يتحدثون ويشترون ويبيعون . نظرت اليهم جميعا ، صافحتهم وصافحوني ، حدثتهم وحدثوني ، حدقت في عيونهم جميعا الا الاطفال ، وحدهم كانوا يحدقون في وجهي ، وفي ظهري ، وفي صدري ، وكنت اهرب من نظرات عيونهم ، اهرب من خناجرهم التي كانت بلا وعي تطعنني في كل مكان من جسمي وروحي ووجداني وعقلي .. كيف اهرب من هذه العيون ؟؟ كيف ؟؟ ما زلت حتى الان لا استطيع !!

مشيت نحو تلة في البلدة ، طالما جلست عليها وخلوت الى نفسي فوقها احاول ان ألملم شتات نفسي ، مستعرضا بعض ما قد تم من أحــــداث ، ومخططا للمستقبل الذي اكاد لا اتبين ابسط ملامحه من خلال الهزيمة التي مزقتني شخصيا من خلال هزيمة امتي وبلادي في الخامس من حزيران .. لماذا ؟ وكيف ؟؟ ومن غير المعقول ان يحدث كل هذا وبكل هذه السرعة .. وبالرغم من كوني لست غريبا كل الغربة عن الاسباب والمسببات فلم اكن بحالة نفسية او جسدية تسمح لي باستيعاب وفهم وتقبل كل ما وقع ..

كانت الشمس قد بدات تتوسط صدر السماء وانا في شبه غيبوبة ، وفجاة احسست بالواقع يشدني الى الارض ، وادركت انني بالرغم مـــن حريتي المزيفة التي اتمتع بها في بلدتي النائية بعض الشيء عن مراكز تحرك العدو ونشاط عناصره في التغلغل الى كل ركن في المنطقة ، ادركت انني في الاسر شئت ام ابيت ، وانني اعيش في السجن الكبير وانني عاجلا او آجلا سالتقي باحدهم ، او ببعضهم عرضا او صدفة ..

بدأ هذا الاحساس بالاسر يكبر في نفسي ، واختلط هذا الاحساس بهول الحقيقة وهو انه لا بد من الالتقاء بهم ، رؤيتهم للمرة الاولى ، هـــؤلاء الصهاينة القتلة اعداء امتي ومحتلي وطني وارضي .. كان لا بد من الهرب ، بطريقة ما ، بالاختفاء ، بالتسلل ، نفسي ترفض هذا اللقاء وتعافه ، لست اخشى من شيء ، فأنا اعرفهم ، تماما ، تماما ، واتصورهم وافهم طبيعة حركتهم التوسعية .. ومع ذلك فلست اريد رؤيتهم ، وهذا موقف شخصي اتخذته خلال لحظات وبدأت افكر رغم جراحي ومرضي كيف اهرب وكيف

انجو من هذه الاهانة التي قد تصفعني بين لحظة واخرى ..
وتدخل القدر في صميم حريتي وموقفي الشخصي . كانت الدورية الاسرائيلية قد بدأت تقترب من التلة التي اجلس متداعيا فوقها .. سألوني عن اسمي وعن هويتي ، فسميت لهم اسما واشرت لهم انني من تلك البلدة، حاولوا ان يدخلوا معي في حوار اي حوار . كانت الارض تميد من تحتي ذلا وعارا، كنت على ما اذكر اتمتم لهم انني مريض، مريض واكرر انني مريض.. نظروا الي مليا .. رفعت عيني نحوهم مرة واحدة ، لاشاهد كل المعاني والمشاعر التي تخيلتها ترتسم في عيون ووجود هؤلاء الناس بالذات . بالرغم من الغلالة المصطنعة التي كانوا يحاولون من خلالها تغطية مشاعرهم الحقيقية ، بالاستعلاء والغطرسة ، والكراهية والحقد . ووراء كل ذلك لمحت ومضات من القلق والاضطراب تبرق من خلال تلافيف كل المشاعر التي لمحتها في ذروة احساسهم بالنصر المزيف ..
احساس رهيب ، وتجربة هائلة سريعة غنية ، مارستها في دقائق لا يعرفها ولا يفهمها الا من مر بها او عاناها .. تجربة تركت في نفسي آثارا وانطباعات كان لها وما يزال لها ذيولها طيلة تجربتي الرهيبة في ظل الاحتلال ..
ادركوا ولمسوا انني مريض فذهبوا .. وقمت متجها نحو بيتي .. كان العار وشتى الاحاسيس تلفني ، مشيت مطاطا الراس .. متحاشيا النظر الى عيون الاطفال .

٥ تموز ١٩٦٧ :

اذاع راديو العدو ان النار اطلقت على احدى دورياته بالقرب من معسكر للاجئين في منطقة رام الله .. وقد حذر العدو وتوعد ولم يعلن عن نسفه لثلاثة بيوت في القرية الوادعة الصغيرة قرب المخيم ، عرفت ذلك فيما بعد، وعرفت ايضا ان الرصاص اطلق بالفعل من مكان ما حول القرية ..
كان الطبيب قد اوصاني والح علي بالنزول الى المدينة لمعاينة جرحي الذي ما زال ينزف، وكنت اماطل واماطل حتى تتشبع الصورة في عيني .. لست ادري لماذا صممت في هذا اليوم على النزول ، وبالفعل ركبت الباص اليتيم في البلدة في الدفعة الثانية من صباح اليوم نفسه وانطلقت الى المدينة ..

لم يكن الركاب يثرثرون كعادتهم في الماضي ، وجوم واسى او ابتسامات كالحة وجمل متقطعة متحشرجة الانين «يا الله» وبتهون ، والله يفرجها ، ولا حول ولا قوة الا ..

وتقدم الباص نحو المدينة وبدا في اجتياز شوارعها الواسعة وفورا ادرك الجميع ان ثمة رائحة غريبة ، واشياء غريبة تلف الشوارع وتسحب ظلالها حول بيوتها ، وجوه جديدة ، قامات جديدة ، ذقون جديـــدة ، فساتين جديدة ، لغة جديدة غصت بها المدينة والشارع الرئيسي بنوع خاص ، تأكل وتتفرج بوقاحة وبصلافة ، وكأنها لم تأكل طيلة حياتها ، ولم تعرف الفلافل والحمص والبيض والكعك منذ اجيال واجيال .. ظاهرة تكررت على مدى اشهر طويلة ، ظاهرة شراء والتهام وابتلاع كل شيء في المخازن العربيـــة تثبت فيما بعد انها من ضمن تخطيط اقتصادي سريع يستهدف تفريـــغ المخازن العربية خاصة الملبوسات وقطع الغيار والادوية وكل ما يمكن ان يملأ الصهاينة مكانه من بضاعتهم وانتاجهم ..

وهنا احب ان اسجل للحقيقة ، وبعد ان نزلت من الباص ، وانطلقت في الشارع الكبير وراسي تطن بيت المتنبي الشهير ..

«ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان»

احب ان اسجل التحفظ الشديد ، والبرود القاسي الذي كان يستقبل فيه «حتى التجار» هؤلاء المحتلين ، وكان الكثير من هؤلاء التجار قد اقفلوا متاجرهم طيلة الايام الاولى للاحتلال ، فعادت السلطة وفرضت عليهـــم فتحها ، وانا اشير بشكل خاص الى التجار لانه سيكون لنا حديث عنهم اثناء التعرض الى المقاومة السلبية التي انطلقت فيما بعد تعمل في تنظيم المقاومة من ضمن الواقع في ظل الاحتلال ..

كان المؤذن «ابو احمد» وهو رجل خفيف الظل يجلس على احد نواصي الشارع الرئيسي الكبير امام متجر قريبه يصيح بين الفينة والفينة «يا فتاح يا عليم» وكنت اقترب منه وانا اغذ السير نحو هدفي ، «يا فتاح يا عليم» وقام مرحبا بصديقه القديم الذي هو انا ، صديقه الذي لم يره طيلة هذه الفترة ..

من خلال «ابو احمد» اخذت اتعرف على مطلع معالم الجريمة التي بدات سلطات الاحتلال الصهيوني ترتكبها في بلادنا ومنذ الشهـــــر الاول .. وبالمناسبة «ابو احمد» خرج مع شخصين آخرين في شهر كانون الاول من العام نفســه في مهمة خاصة على ما يبدو وعلمت انه استشـهد في معركـــة

الحمة عام ١٩٦٩ .

سمعت اشياء كثيرة ، وتعلمت اشياء اخرى مع العم «ابو احمد» رأيته بعدها مرتين ، اين مدينة يافا الذي لم يكن ليدور في خلدي انه يعرف كل هذه الامور .. لا تخرج يا استاذ اسمع صوته للآن يرن في اذني ، «ابق في بلدك ، تعرف عليها من جديد ، واعرف هؤلاء الناس ، ماذا يفعلون ؟ وماذا فعلوا في العشرين سنة الماضية ، لقد دخلتم الحرب دون ان تعرفوا مجتمعكم ولا مجتمع عدوكم ، هذه فرصتك .. ابق ولا تخرج ، واسمع نصيحة صديقك الرجل البسيط» ..

وعندما سرت نحو الفندق الكبير لالتقي بزملائي المحامين الذين كانوا يجلسون بلا عمل ، ويتحلقون حول المذياع ، كانت كلماته ما زالت ترن في اذني .. ولكنني كنت اعلم انني قد قررت البقاء ولن اخرج ابدا ..

«الحلقة الثانية ، لقاءات سياسية كان يفرضها العدو في بيوت بعض المحامين والسياسيين القدامى حضر بعضها صاحب المذكرات واستمع لاكثر من حوار دون ان يناقش ، ثم دخول صاحب المذكرات الى الارض المحتلة في عام ١٩٥٨ لاول مرة ، وانطباعاته ومشاهداته» ..

العدد الاول

٢٨ حزيران ١٩٧٢



١٠ تموز ١٩٦٧ :

كلمات «ابو احمد» الذي استشهد فيما بعد في معركة الحمة عام ١٩٦٩ ما زالت ترن في اذني : «ابق في بلدك ، تعرف عليها من جديد ، واعرف هؤلاء الناس ، ماذا يفعلون ؟ وماذا فعلوا في العشرين سنة الماضية ؟ لقد دخلتم الحرب وانتم لا تعرفون مجتمعكم ، ولا مجتمع عدوكم ، هذه فرصتك ، ابق ولا تخرج» ...

صممت على البقاء ، واستأذنت زميلي المحامي «أ» لاقيم معه في بيته

ريثما أتدبر امري ، ولم تكن مدينة «رام الله» هي المدينة المعزولة عن قلب المجتمع الفلسطيني بحيث لا يقصدها الصهاينة «للفرجة» مع الاسف ، او للاصطياف ، او للاختلاط بالناس . فالمدينة ، ومنطقتها بالذات: حية نابضة في التاريخ المعاصر بنشاطها وتقدمها في مختلف المجالات ، ولعل من ابرز ما يميزها كثرة المثقفين والمتعاطين بشؤون الحياة العامة ، الاجتماعي منها والسياسي ، ولم يكن من الغريب ابدا ان يتوافد عليها الصهاينة بمختلف الحجج والاسباب ، لاقتحام ما تبقى ولم يقتحم من العقل والمجتمع العربي فيها . .

كانت ظاهرة مؤلمة ان نشهدهم يتوافدون بالمئات بل بالآلاف احيانا ، صباحا وظهرا ، ومساء ، يدخلون الفنادق . والمقاهي ومختلف الاماكن العامة ، والبيوت في كثير من الحالات بحجة التفتيش عن السلاح احيانا ، او عن اسماء لرجال وشباب معروفين بماضيهم الوطني احيانا اخرى . وكانت معاملتهم دائما تتخذ نفس الطابع الممجوج لكل من عرف او قرأ عن اساليبهم ، حديث مصطنع مزيف عن السلام وكأنهم آلات يكررون ما لقنوه واتفقوا على قوله ، ومن ثم الاسلوب الصارم الفلاظة التي ترتفع الى مستوى العنف والبطش عندما كانوا يجابهون بالرفض والازدراء او يعثرون على شيء يشير الى اي نوع من انواع المقاومة بدءا بالمنشور وانتهاء بالمسدس او الرصاصة . .

اصبحت مع الايام نهما لرؤيتهم وهم يمارسون هذه العمليات المدروسة المخطط لها ، واصبحت واعيا على الحرب النفسية التي اخذوا يشنونها على شعبنا، كما حاولت ان اتتبع بالاهتمام الشائعات الرهيبة التي كانوا ينثرونها وينشرونها بمختلف الوسائل والاساليب في اوساط الجماهير . . كنت وبعض الزملاء نتابع ونراقب ، وكان الناس في غالبيتهم الساحقة ما زالوا في ذهول تحت وطأة الهزيمة والاحتلال ، يتحلقون في الصباح والمساء ، في البيوت والدكاكين والصيدليات الكثيرة في المدينة ، يفلسفون الامور ، ويتأوهون ويتحسرون ، يغضبون ويثورون فيما بينهم ، ويتجادلون . ويحللون ويجتهدون في قرب او بعد الساعة التي ينتهي فيها الاحتلال . . ويستمر الحديث ويطول الجدل ، وتطرح القضية من جذورها ، وتكثر الاجتهادات . . وينتهي الليل والآذان مشدودة الى «الترانزستور» ، وسيلة الجماهير الوحيدة التي شاركت فيها في حرب الخامس من حزيران . . .

ويلتقي الاصدقاء في بيت زميلي «أ» في النهار ليتفرقوا في المساء .

والسؤال الكبير يلح عليهم في كل يوم : ماذا نفعل ؟ وماذا نعمل ؟ وكيف ؟ وكيـف ؟

١٥ تموز ١٩٦٧ :

في القسم الغربي من المدينة ، حيث يطل منزل زميلي المحامي من بعيد على الساحل من فلسطين عام ١٩٤٨ ، وحوالي الساعة الرابعة من عصر هذا اليوم ، كان الصمت يخيم على الاشخاص الخمسة المعذبين الحائرين ، الباحثين ، اللاهثين وراء السؤال الكبير ماذا نعمل ؟ وماذا نفعل ؟ وكيف؟؟ وفجأة توقفت سيارة امام الدار الصغيرة التي كانت تضمنا ، مزق وقوفها الصمت من حولنا ، وحرك فضولنا لمعرفة الطارق او الطارقين على الباب.. ونهض زميلي «ا» ليفتح الباب لنسمعه «يتأوه ويتسهل» ويعانق القادمين وكأنهم معه على موعد طال وبعد امده .. دخلوا حجرة الجلوس ، كانــوا ثلاثة ، قدمهم صاحبي الينا قائلا «اخواني واصدقائي من الارض المحتلة من فلسطين ، لم ارهم منذ عشرين عاما» ... شاركناه فرحتــه بلقائهم ، وجلسنا لنستمع لقصة من قصص العمر ، ولعلها قصة العمر بأكمله ... اثنان عرفت من سياق الحديث ــ وبعد ان توطدت الثقة بالتعارف ــ ينتميان الى منظمة تدعى منظمة «الارض» وواحد من الحزب الشيوعي في الارض المحتلة ، وكان ثلاثتهم رفاقا لصاحبي «ا» ايام الدراسة والنضال قبــل العدوان الاول ، لقد قرر هؤلاء والفوضى ما تزال تدب في كل مكان ، ان يتدبروا امورهم فيجددوا صلاتهم وصداقتهم بصديقهم القديم .. لم يكن من السهل السيطرة على الحديث او تنظيمه في اول الامر ، فكانت ذكريات الماضي تختلط بالحاضر وتكاد تخلق جوا هستيريا طغى على الموضوعيــة طغيانا كاملا ... وبدات احس بصغر وتفاهة آلامي وأوجاعــي امام آلام وأوجاع هؤلاء الناس الذين قضوا عشرين عاما تحت الاحتلال الصهيوني ، واختلطت في ذهني الافكار وانا استمع لخيبة املهم تتدفق مرارة مــن شفاههم ، كما انني كنت المح العزيمة والاصرار والوعي يطل من خلال كل ما قالوه بينما اخذت الاعصاب والعواطف تهدأ ، وعاد الحديث الموضوعي العميق يتدفق في كلماتهم وتحليلهم للماضي وللحاضر وللمستقبل علــى ضوء التجربة والممارسة في مجتمع الصهاينة الغزاة ...

وحدهم هؤلاء الناس يعرفون الحقيقة وكل الحقيقة عن الصهيونيــة

والاحتلال واسرائيل .. وحدهم هؤلاء الناس ومعهم الثلاثمائة الف فلسطيني الذين عاشوا العشرين سنة الماضية في ظل ما يسمى بدولـــة اسرائيل ، وحدهم الذين يعرفون كل شيء .. واحسست بعد مضي الساعات الاولى الاربعة معهم بأنني تلميذ ابتدائي بسيط في دنيا المعرفة من واجبي ان اتعلم واتعلم واتعلم ، حتى استطيع ان ادافع عن بلدي وامتي واطرد اعداءها من ارضها المغتصبة ، واكتشفت عبر هذه الساعات الاولى ، ان حب الوطن وحده مهما عمق وكبر في النفس لا يكفي مطلقا لتحقيق النصر ، وانمـــا المطلوب وفي مثل قضيتنا المعقدة الشائكة ، وأمام هذا الخصم الاستعماري الاستيطاني ، ان نتزود بالمعرفة ، معرفته ، وفهمه ، ودراسته ، ماضيــا وحاضرا ، كما ان المطلوب ذلك واكثر من ذلك بكثير ...

كان الفجر يلم بقبضته الرمادية ، آخر غلالة من غلائل الليل ، يطل على الوجوه المعذبة المحتقنة باليأس والامل .. وكنت اجلس في ركني استمع على غير عادة مني ، اكثر مما اتكلم ، واختزن في ذاكرتي الفتية كل مـــا سمعت ، انقشه في خلايا عقلي باصرار لاطرد الكثير من الاوهام التي كانت تعشعش فيه ، وكنت بين الفينة والاخرى اسرح بخيالي مع الحوار والنقاش الذي يدور في اوساطنا نحن المحتلين الجدد فأتذكر الفارق الكبير في التحليل وفي التفسير وفي المعرفة بيننا وبين هؤلاء الناس ... كنا نراهن احيانا فيما بيننا فيقول احدنا سيخرج المحتل خلال ثلاثة اشهر ، ويراهنه الاخر على ستة اشهر او على سنة في الكثير الكثير ...

وحدهم هؤلاء الناس ومن يمثلون من عرب ١٩٤٨ يعرفون بأن الاحتلال لن ينتهي ، وان اسرائيل لن تخرج ، وان اسرائيل لن تهـــزم الا بشروط وبشروط قاسية جدا ، فهل هذه الشروط متوفرة ؟ انني اتساءل ولم يمض على الاحتلال سوى شهر ونصف الشهر ، اتساءل عن ذلك ، ولقد بدات من خلال المعركة ادرك بعض الحقيقة التي من خلال هذه الجلسة وما تبعها من جلسات ، ومن خلال كل ما رايته وشاهدته ومارسته سأسجله فـــي مذكراتي لعلها تكون ذات فائدة اذا ما قدر لها ان تظهر في يوم الـــى الوجود ...

٢٢ تموز ١٩٦٧ :

مرت الايام سريعة بين الخامس عشر من تموز وهذا اليوم الذي ادون

فيه هذه المذكرات . اسبوع واحد مر على لقائنا باخواننا في الارض المحتلة او الوطن المحتل على ما يحلو لبعض الكتاب تسميته .. وفي هذا الاسبوع قطعنا اشواطا نظرية وعملية فيما سميناه بالرد على السؤال الكبير ما العمل ؟

وقررنا سلسلة قرارات وتوزعنا الادوار مستفيدين من مجموعة الارشادات والنصائح والخبرة التي قدمها لنا الاخوة في مكافحة الاحتلال تحت شعار «الكفاح السلبي» ولم يكن القرار بهذه الخطوة قد تجاوز معرفته الخمسة اشخاص بما فيهم زميلنا «أ» ولقد استمر العمل في السرية فترة طويلة قبل ان نخرجه منظما الى العلنية وكان لا بد من ذلك ...

ومرة اخرى وفي عصر ذلك اليوم ، وبينما كنا نحن الخمسة نتحاور حول أسلوب العمل ، ونتدارس بعض الشائعات التي ينشرها العدو ، هنا وهناك ، ونحلل بعض الاتصالات التي فرضها بعض المسؤولين الاسرائيليين على بعض رجالات السياسة في المنطقة ، سمعنا صوت اكثر من سيارة تعلن عن وقوفها امام البيت ، قفز صاحبي الى النافذة وعاد ليقول «سيارة عسكرية واخرى مدنية توقفت ونزل منها قوم لا اعرفهم وهم يتقدمون نحو البيت» . طلبنا اليه ان يفتح الباب ، فليس عندنا ما نخشاه ، وكانت رقعة الشطرنج دوما جاهزة لتبسط في مثل هذه الحالات .. دخل ثلاثة اشخاص ومعهم ضابط ، وفجاة سمعنا احدهم يصافح الزميل «أ» ويقول له : الا تذكرني انا «عبد العزيز الزعبي» زميلك ايام الدراسة اتذكر ؟ قال صاحبنا تفضلوا ، ولكن عبد العزيز الزعبي الذي عرفت فيما بعد انه عضو في حزب المابام الاسرائيلي لم ينتظر حتى يدخل الصالة بل قال : دعني اعرّفك على السيد موشي ساسون مستشار ومدير مكتب رئيس الوزراء السيد ليفي اشكول «ووالده الوزير المعروف الياهو ساسون وهو يقوم بجولة لمقابلة بعض السياسيين والمحامين والمثقفين» تمالك صاحبي جأشه وقال : «كان يجب ان نخطر بهذه الزيارة ونحن نعتبرها مفروضة علينا ومع ذلك فأهلا وسهلا وماذا تريدون ، عندي بعض الاصدقاء» .

كانت هي المرة الاولى التي ارى فيها مسؤولا على شيء من الاهمية من اعدائنا ... قدمنا صاحبي اليهم بأسماء عابرة فيها الكثير من الابهام والخلط وقد قصد ذلك بالفعل ، ولم يظهر انهم اهتموا لوجودنا كثيرا فكان صاحبنا هو المقصود فقد كان محاميا بارزا وسياسيا قديما (طردته السلطات المحتلة فيما بعد) كما ان عبد العزيز الزعبي كان مكلفا من خلال علاقاته

الماضية بمفاجأة بعض معارفه بهذا الاسلوب ، أسلوب الزيارات . . . وهكذا بدأ السيد ساسون حديثه باللغة العربية قائلا بأنه اصلا من سوريا وانه «آن الاوان لان نتحدث حديثا صريحا عن السلام والتفاهم» . وأعلن في مطلع حديثه «بأن اسرائيل مظلومة وان العرب هم الذين اعتدوا عليها وأعلنوا الحرب ضدها وابتدأوا القتال» . ثم تكلم بصفاقة عن حق اليهود التاريخي في فلسطين . . . الخ . . . الخ . . . من الاسطوانة التي حفظناها مع الايام، وما زلنا نمجها وسنبقى حتى الابد . . .

اصغينا له على مضض .. وكان من المؤلم ان «يقود» له عبد العزيز الزعبي حاثا صاحبي على الحديث . . . وفجأة سأل ساسون وكنا ننظر بعضنا الى البعض الاخر دون ان ندري هل ننفجر ام هل نهدأ . . . ورد صاحبي على غير انذار وبشيء من العصبية المشهورة عنه محاولا ان يكبح جماحه فقال : «اسمع يا ساسون حسبنا انكم احتللتم ارضنا ، فلا تحتقروا ايضا عقولنا ، نحن الجالسين هنا على الاقل نفهم المشكلة وطبيعتها ، ولا فائدة من الحديث معا ، هل تشرب الشاي ام القهوة» ؟ وهنا نظر اليه ساسون وقال : «ولكن ماذا تقترحون نحن مفاجئون بكل الاراضي التي احتللناها ولا نعرف ماذا نفعل». ولست ادري انا ولماذا وللحظة وجيزة كدت اصدق هذا الاشقر الاملس وهو يتصرف وكأنه حائر . . . ولكن صاحبي قطع عليّ افكاري عندما قال له «النصيحة الوحيدة التي ننصحها اذا كنتم تطلبون النصيحة هي ان تنسحبوا ، هذه الارض ليست لكم ، ولا يحق لكم البقاء فيها دقيقة واحدة» . . .

وهنا انتفض ساسون وقال بشيء من الانفعال : «ولكن يا سيد «أ» هل تعتقد اننا صبرنا الفي سنة وحاربنا كل هذه الحرب وخسرنا كل هذه الخسائر حتى ننسحب بناء على رغبة منك» .

كان الموقف مفجعا ، مضحكا ومبكيا في وقت واحد ، لعبة قذرة واسلوب قذر حتى في الحوار .. ابتسم صاحبي وسأله : «اذن ماذا تقترح انت ؟» قال ساسون ببساطة بعد ان تحدث عن تضليل العالم العربي للفلسطينيين «لماذا لا ننشىء لكم كيانا خاصا تعيشون فيه معنا ، تكون وزارة الخارجية والدفاع معنا فقط ، اما المال فيصرف الامريكان علينا وعليكم ، كبروا عقولكم ولننه هذه المشكلة ، ان المثقفين مسؤولون عن اقناع الناس بالتخلي عن الدول العربية التي خدعتكم ، وعلينا نحن وانتم ان نتعايش » .

قال صاحبي : «انت تعرض علينا محمية اسرائيلية ، ونحن باختصار

نرفض الاحتلال ، واذا سولت لكم انفسكم باقامة حكومة «كويزلنج» في ارضنا ، فسيقاومها الشعب وسيرفض الاستسلام ، وانه من الطبيعي ان نرفض الاحتلال» .

وهنا احتد ساسون وقال : «انني استغرب كيف تتحدث معي بهذه اللهجة وكأنكم المنتصرون ، انك تنسى اننا هزمناكم مجتمعين في مدة ستة ايام» . تكلم ساسون بعنجهية لا تطاق فانتفض صاحبي قائلا : «نحن أدرى بهذه الحرب وملابساتها مما تظن ، ونحن لم نقاتل ، وبغض النظر عن كل شيء فاننا نشعر بأنكم لصوص دخلتم بلادنا عنوة واغتصبتم ارضنا وهذا ليس من حقكم » ...

وهنا ظهر الغضب على وجه ساسون وفقد سيطرته على نفسه وصاح قائلا : «اسمع يا سيد «أ» عليك وامتك ان تعلم انكم ترتكبون اكبر خيانة في حق وطنكم اذا شعرتم انكم بعد خمسين سنة تقدرون على هزيمتنا وتقبلون اليوم معنا اي حل وسط او تعايش ، عليكم ان تعلموا ان هذه الارض اما لنا او لكم ، انها لا تتسع لنا ولكم ، ان حلمنا هو اسرائيل الكبرى وقد حققنا بعضه واعدنا القدس وسيكون وهما منكم وغباء اذا ظننتم اننا سنتراجع عن شبر» .

انفعل ساسون وقال الحقيقة ... اغضبه واستفزه صاحبي ، فلخص الموقف الصهيوني في كلمات ... هذا الموقف الذي ازدادت قناعتنا به وتزداد يوما عن يوم كلما زادت معرفتنا بهم في ظل الاحتلال ومن خلال اللقاءات الكثيرة التي تمت مع اقصى اليمين واقصى اليسار الاسرائيلي اذا كان هناك يسار حقيقي في اسرائيل ، اذا استثنينا الحزب الشيوعي العربي «الراكاح» والذي يبلغ حوالي ٩٠بالمئة من اعضائه عربا من ابناء فلسطين(١).

كنت اكثر من صامت في هذه الجلسة ... لم انبس ببنت شفة ... كان خيالي قد شرد الى الاردن ، الى الملك حسين شخصيا ، الى العرب وكل حكام العرب في الخامس من حزيران . والغريب انني وبالرغم من جراحاتي من المعركة في حينه ، وبالرغم من الهزيمة المنكرة التي يتحملون مسؤولياتها تاريخيا ، لم اشعر بالحقد عليهم ، تذكرت السياط التي الهبت ظهورنا في اكثر من سجن عربي ، فشعرت وبالرغم من فهمي بأن «المعلم» واحد في اكثر من مكان تقريبا ، الا ان سياط بني قومي وفي هذه اللحظة

---

١ ـ هذه القضية بحاجة الى دراسة وتمحيص ، ولا ندري بناء على اي معيار جعل الشهيد هذا الحزب ثوريا ؟ «المحقق» .

بالذات أرحم من كلام هؤلاء الكلاب، المتغطرسين الذين يصرون على اغتصاب ارضنا واذلالنا ، كنت اقول لنفسي يا حبذا لو يمر بعض المسؤولين العرب بهذه التجربة ، ربما تحرك فيهم شيء ، ربما أحسوا بالخطر ... هـــذه المشاعر أسجلها في حينه دون ان اعفي احدا من مسؤولياته فالايام اثبتت في الماضي ، وستثبت الارتباط العضوي بين بعض هؤلاء المسؤولين وبين اسرائيل ، لم تكن الضفة الغربية مفرغة من السلاح بالصدفة ، ولم نمنع من القتال بالصدفة ، ولم تنهزم الامة العربية كلها بالصدفة ...

كان كل ذلك يمر في خيالي ، ويجول في خاطري وانا استمع لكل ما اسمعه من ساسون ، ولم يكن لي اي خيار في الاختيار فضلت التعاســـة والعذاب والجلد في ظل اي سجن عربي عن غطرسة واحتلال هؤلاء العبيد متمثلا قول الشاعر العربي :

وان الــذي بيني وبين بني ابـــي
وبين بنـــي عمي لمختلف جـــــدا
اذا اكلوا لحمـي وفـرت لحومهـم
وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

العدد الثاني
٥ تموز ١٩٧٢



٧ آب ١٩٦٧ :

المقابلة التي تمت في بيت زميلي المحامي «أ» مع السيد موشي ساسون مستشار ومدير مكتب رئيس الوزراء السيد ليفي اشكول اصبحت حديث البلد وانتقلت أخبارها في كل انحاء الضفة الغربية وقطاع غزة ، لقد كان كلاما هاما وخطيرا عبر عنه ساسون عندما استفز ولخص فيه الموقـــف الصهيوني تلخيصا كاملا اذ قال : «اذا كنتم تستطيعون ان تهزمونا في خلال عشرين عاما ، فانكم تخونون وطنكم وتاريخكم اذا فكرتم بالسلام (يعنـــي العرب) او بالحلول الوسط ، هذه البلاد كلها اما لنا او لكم ولا مكـــان للطرفين » .

بعد الضجة التي حدثت آثرت الانزواء وكنت انفي حضوري لتلك الجلسة العاصفة ، ولكنني ايقنت بيني وبين نفسي انني تلقيت الدرس كاملا ، وظهرت لي الحقيقة ناصعة دون طلاء ، ولم يعد عندي مجال للتمنيات، واعلنت ايضا بيني وبين نفسي انني فهمت وادركت واستوعبت وهضمت كل ما قرأته وعرفته عن الحركة الصهيونية ، واعتبرتها مرحلة ولادة جديدة لي شخصيا على حدتها يمكن ان اتحرك وان أناضل البقية الباقية من حياتي ، كما انني ادركت الخطر وادركت وعورة الطريق وصعوبتها ، والقوى الرهيبة التي سيضطر شعبنا الاعزل الى مصارعتها في ظل الاحتلال ..

انسحبت من المجموعة من ضمن خطة لانني قررت البقاء ، واتفقنا على الاتصال بوسائلنا الخاصة .. وما زلت قادرا على البقاء .. ولذلك كان من الضروري ان أغير اسلوب عملي ، ومكان اقامتي ، وابني جسورا من خلال الذين يسمون انفسهم بالمعتدلين لاتمكن من التغلغل الى هذا المجتمع الجديد الذي انفتح علينا فجأة وبدون مقدمات ، لمعرفته وتقييمه وفهم عقله واسلوبه في التحرك والعمل ، لاتمكن من نقل ذلك لابناء شعبنا ، وكنت ادرك ان طبيعة مهمتي لا تقل عن طبيعة من يخوض المعارك بالرصاص والمتفجرات بل واكثر ...

١٣ آب ١٩٦٧ :

تناقلت اوساط المدينة اليوم خبرا يفيد ان الجنرال موشي ديان يريد ان يجتمع برئيس واعضاء بلدية المدينة ـ وعددا كبيرا من الوجهاء والمخاتير وشباب البلد في مبنى البلدية ، وكانت المعلومات والاخبار التي كانت تنشر هنا وهناك عن اطلاق الرصاص على سيارات العدو ، وتفجير الالغام في كثير من الاماكن قد تأكدت للجميع ، وحتى الاصطدامات القليلة التي وقعت بين جيش (الدفاع الاسرائيلي) وبين القوى غير المنظورة والمعروفة في الضفة الغربية والقطاع قد بدأ الناس يتناقلون أخبارها في السر والعلانية لاسيما وردود الفعل الاسرائيلية كانت قاسية وعنيفة ..

وهكذا فقد بدأت ابحث عن صيغة لنفسي احضر فيها الاجتماع ، دون ان يعرفني احد لاتمكن من متابعة وفهم عقل اسلوب هذا الرجل بالذات الذي

كثرت حوله الروايات وتناقضت ، فصوّره البعض بأنه بطل بالنسبة لشعبه وعلى كثير من الوعي والفهم ، وصوره البعض بأنه انسان عادي يتحرك من ضمن آلة ضخمة يحركها ويوجهها أسياده الامبرياليون الامريكيون الذين بدأ دورهم ينكشف شيئا فشيئا حتى عند ابسط الناس .

وهكذا فقد دفعني الفضول للتحرك بسرعة ، فاتصلت بأحد اعضاء البلدية من اصدقائي في حينه، وقلت له انني سأحضر بصفتي المعلم «سليم» في مدرسة الحكومة بالقرية «ع» وسأرتدي «الحطة والعقال» وأجلس بين الناس مستمعا ، فأكد لي عضو المجلس البلدي انه يعتقد بأن احدا لن يدقق «والطاسة ضايعة» ولكنه اشار عليّ بعدم الكلام ...

في الثالثة ظهرا ، وصل موكب موشي ديان ، كنا محشورين في القاعة المتوسطة الحجم ، بعضنا يجلس على كراسي خشبية مرتفعة ، والبعض الاخر على مقاعد خشبية طويلة ، وكنا وكأننا ننتظر محاضرا ..

نظرت من مكاني في الصفوف الخلفية الى الناس ، لم يكن وحده الصمت الذي يخيم عليهم ، كان هناك اكثر من شيء في هذا الجو العابق القائظ ، كان هناك اكثر من الفضول ، وكان هناك كثير من الرفض ، واكثر من كل هذا كان يخيم على الجو «قلق المبالي» بمصيره ومصير شعبه ومستقبله مع محاولة واضحة بتغليف هذا القلق بموقف «لا مبالي» عبر عنه وترجمه الحاضرون بعدم الوقوف أو التحرك عندما دخل موشي ديان القاعة مخترقا صفوف الجالسين الى المائدة التي أعدت له في الصدر .. وحدهم اعضاء البلدية خفوا لاستقباله ، بموجب طبيعة عملهم ومنصبهم .

موشي ديان ــ المربوع القامة ، صاحب الوجه الاقرب الى الاصفرار ، العظام البارزة الناتئة في وجهه ، عينه المصابة المغطاة بالحجاب الاسود ، يحمل في يده عصا عسكرية قصيرة سوداء .. يقف وراء المائدة يفتعل ابتسامة اقرب منها الى تكشيرة القط البري عندما تقذف له بكسرة الخبز، يقترب منها وكل عضو في جسمه يرتجف بالخوف والحقد على وجوده ..

لاحت هذه الصورة امامي ظاهرة للعيان وقبل ان يتفوه بكلمة واحدة .. لست أدري ولماذا شعرت بأن هذا «القزم» الذي خاض معركتين ضد العرب هو المنهزم المنكسر على غير ما يفرضه ويقوله الواقع، حاولت ان اكبت مثل هذه المشاعر في نفسي ، وأروضها على تقبل الحقيقة وفهمها ، حاولت صادقا اقول لنفسي انك تفكر بأسلوب صبياني طوبائي لا علاقة له بالحقيقة ولا بالعصر ولا بالواقع المهين الذي اضطرك للمجيء للاستماع الى قائد من

قادة الاحتلال وبالتالي تتلقى منه التعليمات شئت ام ابيت ... ومع ذلك فلم انجح في طرد مثل هذه الاوهام ، وزادت وكبرت في خيالي عندما بدأ يتحدث متعثرا ليقول ما معناه : انه يشكر الموجودين على حضورهم ، وانه من الضروري ان يتعاون الناس مع السلطة «يعني سلطات الاحتلال» وان اسرائيل تريد السلام في المنطقة ولا تريد غير السلام ، ثم تحدث عن الحدود الآمنة ، وقال انه من الضروري ان تعرف اسرائيل حدودها ، وذلك لا يأتي الا عن طريق المفاوضات المباشرة ، مهما تكن هذه الحدود وبعدها يتــــم التعايش ونصبح جزءا من المنطقة .. ثم قال ما معناه انهم لم يبـــــداوا الحرب ، ومصر هي التي بدات بالهجوم الفعلي .. ثم تطرق الى الموضوع الداخلي وعن الاشتباكات التي تحدث والالغام التي تزرع هنا وهناك، وطلب التعاون ، وهدد وتوعد بشكل مبطن ، ثم عاد وطلب من الحضور ان يتقدموا بمطاليبهم الداخلية والحياتية والمعيشية ، وطلب من الحاضرين ان يوجهوا له اي سؤال او اي طلب ...

انهى موشي ديان حديثه .. ومرة اخرى خيم الصمت .. ماذا يمكن ان يقول الناس في مثل هذا الموقف ؟ ما زال كل شيء يكتنفــــه الغموض ، والحقد على الاحتلال وعلى كل شيء يزداد في صدور الناس يوما عن يوم.. ومع ذلك فقد كان لا بد ان يقال شيء ، لا بد ان يكسر هذا الصمت .

ومن مكاني السحيق الذي بدات أحس انه يتسع ويتسع ويبعد عـــن القاعة ومن فيها ، ومن خلال شعوري بالغثيان والعجز ، والقرف من كل شيء ، رأيت يدي ترتفع مستاذنا بالكلام .. دوى صوتي الاجوف فـــي القاعة الواجمة ، «هل تسمح يا سيد ديان» والتفتت الرؤوس الواجمة على ايقاع صوتي في حركة بطيئة تثير الضحك في غير هذا الموقف .. وشعر دايان وكان هذا الصمت انقذه هو ايضا من ارتباكــــه ومن جو الصمت الكثيف . وقال : «تفضل تفضل ما اسمك وماذا نشتغل» ..

وقفت في مكاني ، وكان يجب ان اكون واثقا من نفسي ، قلت له : «انا معلم في مدرسة قروية في المنطقة واسمي «سليــــم» احببت ان احضر للسماع اليك شخصيا ، واحب بناء على طلبك بتوجيـــه اي سؤال ، ان اسالك بصراحة ووضوح متى ستخرجون من بلادنا» ؟

ابتسم موشي دايان ، وكان بحاجة أيضا لان يتماسك ويضبط اعصابه، وقال : اشكرك على هذه الصراحة وهذا سؤال سبق واجبت عليه بشكل غير مباشر في هذه الجلسة ، ومع ذلك فسأكرره من اجل الفائدة «نحن باقون

هنا بالشكل الحالي حتى يتم صلح حقيقي بيننا وبينكم ثم نعيش معكم بسلام ونصبح جزءا سياسيا واقتصاديا ومعنويا من المنطقة .. ثم يجب تثبيت حدود آمنة لنا» .

قلت : تقول كتبكم ، وبعض فلاسفتكم ، كما هو منقوش على كنيسكم ان حدودكم من النيل الى الفرات ، وبعد ولو فرضنا جدلا ان هذا غير صحيح ، فهذه الارض التي اقمتم عليها دولة ، وهذه الارض التي تحتلونها اليوم بالقوة ، ليست ملككم ، هذه الارض للفلسطينيين العرب الذين سكنوها منذ الفي سنة ، واعتقد ان هذا ليس زمنا قصيرا ونحن نشعر ونلمس انكم اغتصبتم هذه الارض على مراحل ، وبدأنا نحس ان ما جاء في كتبكم ، وعلى لسان فلاسفتكم حول حدود ارض ما تسمونه باسرائيل الكبرى صحيح ، كما ان دولتكم لم تحدد بل رفضتم عبر العشرين سنة الاخيرة ان تعلنوا عن حدودها ؟؟ واعتقد ان هذا الكلام الذي اقوله ليس غريبا عليك ، لو فتحت راس كل شخص من الجالسين الصامتين لوجدت فيه نفس الخواطر والرفض للاحتلال ، فنحن الفلسطينيون وقع علينا ظلم منكم ، وبغض النظر عن انتصاراتكم العسكرية فهل تستطيع ان تبرر لي اخلاقيا وقانونيا كيف يحق لكم اقامة دولة على حساب واشلاء مليوني انسان، ما زال نصفهم يعيش لاجئا في الخارج ، والنصف الثاني تحت احتلالكم الآني .. انني اعلم جيدا انني اخاطبك الان من مركز الضعف والعجز ولكنني فقط من اجل ان اسمع رايك بوضوح وصراحة اطلب منك ان تجيب على سؤالي البسيط ، وهو حق لي ان اسأله طالما انت اذنت بالاسئلة ..

كنت اعرف ان هذا الكلام لا يجدي ولا يفيد ، ولا ينتج عنه اي شيء عملي ، ولكنني احببت ان اراه محرجا .. احببت ان اقلل من شأنه امام بعض افراد شعبنا المسكين المغلوب على امره ، احببت ان اراه مرتبكا ، لانني مؤمن ان مواجهة الناس بالحقيقة في ابسط الامور وأكبرها ، تربكهم ، وتفقدهم توازنهم ، وتدفعهم لان يقولوا كل شيء وتدفعهم لان يستفزوا .

ومع ذلك فلم يستفز موشي دايان ، انه يحفظ الدرس جيدا ويبدو ان الاضطهاد والنصر قد علمه درسا كبيرا ، وراح يردد الاسطوانة نفسها ، مبتدئا بالحق «التاريخي المزيف» ومنتهيا برغبتهم الاكيدة بالسلام ، وطبعا لم ينس أن يستعرض عضلاته العسكرية ، ولم ينس ان يوحي بالتناقض العربي والفلسطيني ، واننا ضحايا العرب ، ولم ينس ايضا وبأسلوب

رخيص مبطن ان يجرح كبرياء كل الجالسين ، وختم حديثه بقوله : «انت يا سيد سليم شاب مثالي ، ولا تعرف حقائق الحياة السياسية ، تتكلم عن الاخلاق والقانون وتطلب منا ان نبرر وجودنا ، انني انصحك ان تبحث لك عن بداية جديدة من ضمن الواقع ، نعم من ضمن الواقع قد تكون بعدها مفيدا ، ومع ذلك انا أرحب بالنقاش وبالحديث وأحب ان اراك اكثر من مرة لماذا لا تقوم باتصال بنا ومن خلال الحاكم العسكري للمدينة . وتحول للحاكم العسكري وقال له : «استدعه وافسح له المجال لمقابلتي في اي وقت يشاء» ..

كان وجه موشي دايان قد اربد ، وظهرت عليه رغم انفه ملامح الغدر والاستياء ، وكان لا بد ان اغطي الموقف فقلت : «انني أرحب بالزيارة وسأفعل خلال يومين» . كان لا بد من تغطية موقفي قبل ان يبدأ التساؤل بين الموجودين عن حقيقتي وحتى اتدبر امري ، وبقيت في مكاني بين الناس وهو يتحرك للانصراف ، وعندما اقترب من ناحيتي توقف وصافحني ، وقال «هل ستحضر» قلت «بالطبع سأفعل» وبالفعل رآني موشي دايان في اكثر من شكل واستمعت اليه في اكثر من مكان واكثر من جلسة ، ولكنه لم يعرفني ولن يعرفني ابدا ...

٢٨ آب ١٩٦٧ :

جاء صاحبي عضو المجلس البلدي بعد الحوار الذي دار مع موشي دايان في مبنى البلدية ليخبرني بأن الحاكم طلب منه تفاصيل عني ولم يعرف ماذا يقول له واكتفى بالمعلومات التي قدمتها انا عن نفسي في الاجتماع، ونصحني بالسفر ، او الاختفاء فرفضت وطلبت منه ان يتحمل مسؤوليته في حماية اي مواطن وان يصر على انكار معرفته بي .

كنت مصمما ان ادخل في زيارة الى الوطن المحتل عام ١٩٤٨ ، كنت اريد ان اشاهد مدنه وشبابي ، كنت اريد ان ارى مسقط رأسي ، وقراه، وكنت اريد ان اشاهد ملاعب طفولتي والبيت الذي نشأت فيه ، كنت اريد ان اقيم هناك اذا تمكنت لاعرف واتعلم قبل ان تفاجئني الايام بحادث ، او باعتقال او بانكشاف لهويتي ، ومع ذلك فقد كنت اشعر انني غطيت نفسي في اجتماع البلدية ولن يبحث عني ولن يسأل بالشكل الذي حاول ان

يضخمه عضو المجلس صديقي الوطني الذي اضطر بعد ذلك بأشهر لمغادرة البلاد . . .

كيف ادخل الارض المحتلة . . انا خارج قطاع القدس الذي اصبح السفر اليه محرجا ومتعبا . . وحتى لو وصلت كما يفعل غيري بأسلوب او بآخر فكيف العمل للوصول الى الرملة ويافا وعكا ، وصفد ، وكل هذه المناطق التي حرمت منها في العشرين سنة الماضية ، كيف سأدخل وأنا من القطاع غير المسموح له ان يدخل الا باذن خاص وبمعاملة خاصة . . . كيف سأفعل ومع ذلك فقد تحققت الامنية ، ودخلت وشاهدت بحر يافا لاول مرة بعد عشرين عاما . . فبكيت وبكيت . . شاهدت المدينة الجبارة التي تعانقت بيوتها والتصقت بعضها ببعض بفعل الشيخوخة كأنما لتحمي نفسها من الغدر والمحتلين المقيمين بها . . يافا اصبحت وكأنها مدينة الاطلال . . كيف دخلت الى الوطن المحتل وماذا رايت في الدولة التي يسمونها اسرائيل وماذا تعلمت . . هذا ما سأذكره في بقية مذكراتي . . .

العدد الثالث
١٢ تموز ١٩٧٢



١٠ أيلول ١٩٦٧ :

كانت مفاجأة كبرى لي عندما دخل «عمي الشيخ» ـ وهو ولي امرنا والمسؤول عن ادارة املاكنا القليلة في مدينة القدس ـ صباح هذا اليوم ليخبرني بانه يريدني انا وشقيقتي ان نعرف ما لنا وما علينا ونتسلم هذه الاملاك ، مع العلم بان «عمي الشيخ» قد استثمر طيلة العشرين سنة الماضية هذه الاملاك المتواضعة في القدس العربية دون ان نحاسبه او نطالبه بشيء، ولعل الاحتلال المفاجيء وقسوة ما شاهده من اهانة للانسان ، وتحقير لكل شيء بما فيها الاماكن المقدسة ، دفعه لان يريح ضميره فيأتي لتسليمنا ما نملك في هذه الظروف المضحكة المبكية . . ولما كنت انا وشقيقتي لسنا من سكان المدينة الاصليين ـ وان كنا قد مكثنا فيها طويلا وعلى امتداد اكثر من فترة زمنية ـ فقد رحبت بالفكرة ، خاصة وانه اخبرني انه سجل اسماءنا

بين مواطني اهل القدس ، وكانت السلطات الاسرائيلية المحتلة قد قامت بعملية فرز وطلبت من المواطنين ان يحددوا اماكن سكناهم وخاصة فيما يتعلق بالقدس قبل ان تقوم هذه السلطات بعمليات الاحصاء والحصر المتعددة التي قامت بها ..

اخبرني «عمي الشيخ» انه سجلني من سكان القدس الشرقية (القطاع العربي) وأكد لي ان بوسعي ان اقيم معه هناك . كان يتكلم معي راجيا ان افعل ذلك ، بينما كان خيالي شاردا فيما هو اكبر واهم من كل ذلك ، كنت اتذكر كيف ، ولايام خلت ، كنت أناقش رغبتي هذه مع بعض المقربين من الزملاء ، لاحقق امنيتي في الحركة ، وعلى قدر ما استطيع فوق الارض والدنيا التي غابت عني عشرين عاما والتي اصبحت اليوم احس انني لا اعرف عنها وما حدث فيها وفوقها بالقدر الذي يجب ان اعرفه وادركه .

كنت افكر في كل هذا ، بينما كان «عمي الشيخ» يقول لي : «انت مسجل في القدس من الشهر الاول ، فتوكل على الله واعطني وعدا بأنك ستأتي»..

لم تكن اسرائيل قد اعلنت بعد ، عن اتخاذ اي اجراء بشأن القدس ، ولم تكن اذاعتها قد نقلت الخبر الذي اذاعته في الثالث عشر من كانون الثاني عام ١٩٦٨ حول استيلائها على ثلاثمائة هكتار من الارض في القدس العربية لاسكان وتوطين سبعة آلاف عائلة صهيونية فيها في الحزام الذي بدأ بحي «الشيخ جراح» الى جبل «المكبر» ولم تكن بعد قد حصلت عمليات السلب والنهب والتهويد وتغيير معالم المدينة ، كما حدث فيما بعد بأحقر الوسائل والسبل . ولست اذكر ذلك لان مثل هذا الانتهاك كان يمكن ان يغير من قراري في السكنى هناك ، ولكن لادلل فقط على تفكير الاغلبية الساحقة من شعبنا الطيب «بما فيهم انا» وبالرغم من تجربتي المرة القاسية الهامة التي خضتها في الاشهر الاربعة الاولى من الاحتلال ، وهي اننا كنا نفكر ونعتقد بأنه حتى احتلال القدس ربما انتهى في خلال اشهر قليلة على الاكثر .. حتى القدس !!

تسلمت كافة الاوراق الخاصة المتعلقة باقامتي الجديدة ، وحملت ما خف من متاعي ، وودعت بعض زملائي على امل ان اراهم متى تسنح الظروف ، وتوجهت في سيارة ركاب عادية اقطع الثلاثين ميلا التي تفصلني عن مدينة القدس العربية وكانت هي المرة الاولى التي ازورها بعد الاحتلال..

كانت الضفة الغربية بمختلف مدنها ، ما تزال تحتفظ بطابعها السكاني العربي وبالرغم من زيارات الصهاينة المتكررة لها بمناسبة وبغير مناسبة ،

بالقياس لمدينة القدس العربية ، التي شعرت وللوهلة الاولى ان ثمة شيئا جديدا مسَّها ، ففير من هدوئها ووقارها وروحها، مئات بل آلاف مؤلفة من ابناء اسرائيل في كل مكان ، لاسيما في البلدة القديمة داخل سور القدس العريق ، السور الذي عجزت اسرائيل وغير اسرائيل عن اقتحامه في اكثر من مناسبة ، فسلم اليوم لها تسليما ، بكل ما يضم ويحتوي من تـــراث وحضارة ومقدسات ، كانوا يروحون ويسرحون في هذه البقعة المقدسـة بالذات ، وكأنهم يعلنون انتصارهم على كل قيمنا الروحية والحضارية ، كانوا يسيرون بمنجهية واضحة ، يستمرؤون ان تطأ اقدامهم اشرف الاماكن المقدسة ، يأخذون الصور في اوضاع شاذة ، ويقهقهون ، ويشربون السجائر وحتى الخمر في باحات المساجد والكنائس ، وكان من الواضح ان ذلـــك يمارس عن سابق اصرار وتصور ، حتى ان الاب «روك» وهو رجل ديـــن معروف حاول ان يثني بعضهم عن التدخين في القيامة فصفعوه ، ولكنــه صفعهم ورد لهم الكيل كيلين .

رأيت كل هذا وأنا اتجول في اليوم الاول في مدينة القدس ، من باب الساهرة ، عبر شارع صلاح الدين ، مرورا بالبلدة القديمة وانتهاء بالملعب البلدي حي الشيخ جراح حيث كان مقدرا لي ان اقيم ، لا يفصلني عـــن القدس الصهيونية (القسم الغربي) المحتل سنة ١٩٤٨ سوى حوالي نصف الميل او اقل ، فبين القدسين ، الجديدة والقديمة كان يعيش عمي الشيخ وكنت مضطرا للسكنى عنده ، في بيته الواسع العريض المترف ...

كانت السيارات في القدس قد اعطيت ارقاما اسرائيلية حمراء اللون كسكان القدس الاسرائيلية تماما ، خلافا لارقام السيارات الزرقاء التـــي اعطيت لباقي سكان الضفة الغربية . وحده هذا المعنى كان يجب ان يكشف نوايا اسرائيل المبيتة نحو القدس والتي عادت فيما بعد لتشمل كل شبر في الضفة الغربية ، والارض العربية المحتلة ، وكانت سياسة الدولة الناعمة واضحة تجاه اهل القدس في القضايا الشكلية التي اظهرت حسن النية في الشهرين الاول والثاني للاحتلال ، بحيث كانوا مثلا يسمحون لاصحـــاب السيارات الخاصة ذات الرقم الاحمر الاسرائيلي أن تزور وتسافر الى معظم ارجاء الوطن المحتل عام ١٩٤٨ بدون مضايقة او تفتيش ..

كانت هذه فرصتي التي انتظرها وأحلم بها ، وبدأت ذهنيا ونفسيـــا استعد لدخول فلسطين التي غبت عنها العشرين سنة الماضية بطولها .

١٨ ايلول ١٩٦٧ :

واخيرا .. وفجر صباح مشرق تحركت سيارة صديقي «ع» ذات الرقم الاحمر الاسرائيلي ، الى القدس اليهودية ... كانت هذه الدقائق المثيرة التي تربط بين الماضي والحاضر بالممارسة ، هي من اكثر دقائق ولحظات عمري اثارة وفضولا وحزنا وفرحا .. دقائق واكون هناك بعد ان أزيلت السدود الحجرية التي بنتها الهزيمة العربية عام ١٩٤٨ لتجزيء القدس وتجعل منها قدسين ، ولتمحو وتطمس اسم فلسطين ، وتعطيها اسم الضفة الغربية ، هذه المعاني كلها قفزت الى راسي فجأة بعد ان كاد الواحد ينساها في غمرة المعركة ضد الصهيونية ، من وراء الحدود ، في الوطن العربي الكبير ...

اجل .. انا داخل الى فلسطين ، وعائد اليها ، وفي غمرة النشـــوة المشوبة بكل آلام الهزيمة والفشل ورغم الاحتلال الاسرائيلي الجديد للضفة الغربية ، ومن خلال انفعالاتي المتباينة المتناقضة ، وعمق الجرح الذي يسيل من وجداني ، في لحظات الذهول هذه كلها ، احسست بالفعل انني ادخل واعود الى فلسطين بعد غياب طال عشرين عاما ، كان احساسي هو احساس المهاجر الذي يعود الى وطنه ، نسيت للحظات خاطفة ، الاحتلال ، والعدوان والصهيونية والامبريالية .. وشعرت انني اعود الى فلسطين .. كـــل اشواق وكبت وحرمان العشرين سنة الماضية تجمع في هذه اللحظات، كنت فقط أريد ان ارى القدس والرملة واللد ويافا وحيفا وعكا ... كنت اريد ان اصل الى هناك ، وبعدها فليكن ما يكون ...

هذه اللحظات الغريبة النادرة ، لا يفهمها ولا يعرفها الا من عاناهـــا وعاشها ، انها لحظات مجنونة مسعورة تولد في جو مرضي ونفسي محموم في ذهن انسان حاول ان يناضل عشرين عاما من اجل هذا اليوم ينتزعـــه بالنصر وبالسلاح فيدخل بحره فاتحا مزهوا ، مستردا لحقه ووطنه وداره المسلوبة ، واذا به ومن خلال منطق ووضع يقف تماما على راسه يحقق نفس الرغبة ونفس الحلم ونفس الامنية ...

لم اكن امتلك التفكير السوي في هذه اللحظات القصيرة التي تفصلني عن فلسطين ، وكدت انسى ان العودة الى فلسطين ليست امنية في حـد ذاتها بقدر ما هي رغبة في استرداد حق ووطن ضاع ، اغتصبه واستباحه اعداء امتي الصهاينة ...

كانت «عمارة النوتردام» وحدها التي تقفز بين عيني ، حـي المصرارة

وحده الذي يناديني ، «والبقعة والقطمون والطالبية» تصرخ بي وتهتف في اذني وتناديني وتدعوني لزيارتها والمرور بها .. هذه اللحظات لا يمكن الا تسجيلها في مذكراتي التي ادونها من اجل المعرفة والعبرة وانا اعيش اليوم داخل الوطن المحتل ، فمثل هذه اللحظات وغيرها عبر كل شارع وفي كل قرية وفي كل مدينة ، وعند كل جدول ونهر ، وعند كل لقاء مع البحر في الفردوس الضائع ، هي الخلفية الانسانية الوجدانية الوطنية لهذه المذكرات التي ستركز فيما بعد على نقل ودراسة وتصوير المجتمع بالرقم والخبر الصحيح والوثائق .

١٩ ايلول ١٩٦٧ :

قال صديقي «ع» صاحب السيارة وقد افقنا في الصباح بعد ليلة مضنية حافلة بالكوابيس والهواجس عند احد معارفنا القدامى ، قال : هل تسمح قبل ان نتوجه نحو الساحل ان نذهب لزيارة بيت لنا كنا نقيم فيه في احد الضواحي قبل عشرين عاما .. رافقته وانطلقنا بالسيارة الى المكان الذي يقع فيه البيت ، كان الصمت يلفنا ونحن نتجه نحوه ، باستثناء بعض العبارات التي كانت تنطلق من احدنا بين الفينة والفينة ، «كل شيء على ما هو» «كل شيء على حطت يدك» ، لا تغيير ، لا تبديل ، نفس الشوارع ، والازقة والممرات ، ولكن على اقبح واكثر قذارة واهمالا .. على السطح كانت تبدو الامور في هذه الاحياء وغيرها من الاماكن وكأن شيئا لم يحدث ولم يتغير ، ولكن سرعان ما سيظهر ان الذي حدث وتغير بفعل الاحتلال هو اكبر من الاحتلال نفسه ، وهو الشيء المخيف المقلق ، يرتبط ويتعلق ويتجسد بعقلية ونفسية شعب تجلت فيه عقد الاضطهاد والنقص الى عقد تفوق واستعلاء وغرور يرتكب من خلالها ابشع واخطر الحماقات التي لم يعرفها تاريخ البشرية بعد ، وسيظهر ذلك في سياق المذكرات ..

قرع صاحبي باب البيت ، مرة واثنتين وثلاثا .. وانشق الباب من رجل ملتح متقدم في السن بعض الشيء .. سألنا عما نريد ؟ وفي شبه استيحاء قال صاحبي : «هذا البيت لنا واحببت ان ازوره واتعرف على من يسكن فيه» قالها بأدب شديد لم انتظر معها ردة الفعل العنيفة من صاحب البيت الذي صرخ باللغة الانكليزية : «ماذا تقول ؟ هذا البيتلك ؟ الا تخجل؟ لقد مر علي وأنا اسكنه مع عائلتي ما يزيد على السبع سنوات ، هذه

وقاحة ، ولن اسمح لك حتى بالدخول» . والتفت ينادي امرأته يستعديها علينا ويقول متعجبا «اسمعي يا سارة يقول هذا السيد الواقف هنا انه يملك هذا البيت ويريد زيارته والتعرف علينا ، اليس هذا مضحكا وعجيبا ؟» وراح يقهقه ملء صوته وكأنه يريد ان ينادي الجيران سكان الحي ليستشهد بهم او ليسخر منا امامهم ..

كانت السيدة زوجته على ما يبدو اعقل منه ، تتوقع مثل هذه الزيارات التي لفتت السلطات اليها الانتباه باللغة العبرية وتوقعتها واعطت حولها تعليمات معينة وتوجيهات خاصة .. قالت المراة «كان هذا البيت لكم .. اما اليوم فهو لنا وسيبقى لنا ، وقد حصلنا عليه بالجهد والدم والدموع والعذاب ، فالرجاء ان تذهبوا مع الاسف ولا داعي لمزيد من المتاعب مع زوجي». وغمزت عليه بعينها، شأنكل الزوجات عندما تلوحلهن المناسبة.. كانت هذه فرصة لان اسألها بأدب «وهل انت ايتها السيدة قانعة بما تقولين ؟» قالت «اسمع انا لا افهم في السياسة ، انا احضروني الى هنا وسأموت هنا ، سأدافع عن هذا البيت» وكانت نبرة صوتها قد ارتفعت مما جعل احد ابنائها الذي لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يخرج من الغرفة الداخلية ليسمع العبارة الاخيرة من امه . التفت اليها دون ان ينظر حتى لنا وقال : «ماذا يفعل هؤلاء العرب الوسخون هنا وفي هذا البيت» . قالها بلهجة انكليزية جيدة .. قال صاحبي : «لا شيء ، لا شيء مطلقا مجرد سوء فهم بسيط حول «وجودنا» او وجودكم في هذه الدار لا تؤاخذونا آسفين جدا » ...

خرجنا معتذرين وركبنا السيارة ، بصمت ودون ان ننبس ببنت شفة، كانت شتيمة الغلام لنا ، «ماذا يفعل هؤلاء العرب الوسخون هنا» تطن وترن وتصرخ في آذاننا .. الجملة التاريخية التي سمعها وعاش عليها هؤلاء الناس في كل مكان ذهبوا اليه ، باستثناء الوطن العربي ، يكررونها ويقذفون بها في وجوهنا .. «اليهودي القذر» يلقي في وجوهنا المسبة التي طاردته في كل مكان عبر التاريخ والبلدان ... وسارت السيارة بنا نحو الساحل .

لست ادري وانا اغادر مشارف القدس الى مدينة الرملة لماذا تذكرت «دير ياسين» التي اصبحت اثرا بعد عين ، والتي اصبح يحل مكانها مستشفى للامراض العقلية يدعى «بيت شاوول» لعلني تذكرت دير ياسين لانها من قرى القدس ، او بسبب الحالة النفسية الرهيبة التي وضعني فيها

هذا الغلام الذي هتف في وجوهنا بأننا «عرب وسخون» . تذكرت الغطرسة وتذكرت الدماء ، فتذكرت مذبحة «دير ياسين» في التاسع من شهر نيسان سنة ١٩٤٨ وقبل حوالي الشهر من تأسيس وقيام دولتهم اللاشرعية ، تذكرت المائتي قتيل بين طفل وامرأة ورجل ، وتذكرت الموكب الملطخ بالدماء مما تبقى منهم والذي ساروا به عبر شوارع القدس ليعرضوه على جماهيرهم المتعطشة للدماء ، وتذكرت انه بعد اربعة ايام من المجزرة التي قامت بها عصابتا « شيترن زفاي لومي » اعترف بعدها قائد موقع الهاغناه في القدس ان اهل قرية «دير ياسين» الوادعة لم يشتركوا حتى بعمليات الهجوم والقتال ضد القدس التي كان يسكن اليهود في القسم الغربي منها آنذاك ...

وتابعت السيارة مسيرتها نحو الساحل ، وفي مدينة الرملة التي ما زال للنبي صالح ومقبرته وجامعه الكثير من البقايا ، توقفت سيارتنا لنطل على المدينة العربية التي ما زال يسكنها حوالي الثلاثة الاف عربي فقط ... «كل شيء على ما هو» باستثناء الشارع العام المؤدي الى يافا اضيفت له بعض التحسينات المظهرية ، اما المدينة من الداخل فقد عراها الهرم ، شوارعها تشققت بالهجران وبالاهمال ، كل معالم المدينة توحي بأن المدينة ستنهار بعضها على بعض لكثرة ما اهملت وتركت القذارات في شوارعها ، الجناح الغربي من المدينة تقيم فيه عائلات يهودية شرقية تكرس بوضوح وجلاء التفرقة الواضحة بين اليهود الشرقيين واليهود الذين جاءوا من اوروبا ، رأينا بعض البيوت التي نعرفها على حالها ، شبابيكها ، ونوافذها وابوابها كما تركت بالضبط مهملة كحدائقها التي لم تمس منذ عشرين سنة .. وضع محزن وغريب ...

تسكعنا في أحياء الرملة ، ولم اكن بعد قد وضعت خطة اتصال بأحد ، ولا اعرف احداً هناك بعد هذا الغياب ، على الرغم انني كنت اعرف كل شبر فيها وكل رجل ، ومع ذلك فقد جازفت بالسؤال والتحدث الى اول عربي توسمت فيه الخير ، كان كهلا متقدما في السن ، وأخبرناه اننا من القدس وفي زيارة لبلادنا ، فاطمأن الرجل ، ورحب بنا بالرغم من اطمئنانه بتحفظ .. لم يدعنا الى بيته ولكنه تسكع معنا .. قال : مثلما تشاهدون كل شيء هنا على حاله واسوأ ، نحن ننتظر ، انتظرنا عشرين عاما وسننتظر ، «والكل في الهوا سوا» ..

سألناه عن أموره وعن مشاكل الناس ، ومن يضبط العلاقات ويسير

الامور في المدينة ، وهنا تحفظ الرجل وقال : انا رجل كبير لا اعمل في السياسة ولا اعرف ، اولادي يعرفون ، واسمعهم يقولون منذ زمن ان هناك ضابطا مسؤولا عن الشؤون العربية في المدينة يدعى الخواجه «جبرائيل دهان» ولاحت على شفتيه ابتسامة غامضة .. وعادت الذاكرة بي وبسرعة لاذكر هذا الاسم الذي ارتبط بمجزرة «كفر قاسم» المشهورة ، هذا الجزار الذي حكم عليه سبعة عشر عاما بتهمة ذبح ثلاثة واربعين انسانا بين رجل وامرأة وطفل في قرية كفر قاسم في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٥٦ ، هذا الضابط الجزار زميل «ميلنكي» المسؤول الاول عن المجزرة .

انها سخرية القدر بعينه ان يصبح جبرائيل دهان الصهيوني الاسرائيلي القاتل وبطل مجزرة كفر قاسم مسؤولا عن الشؤون العربية والمواطنين العرب في الرملة ...

نظرنا الى الرجل ، ونظر الينا ، وفهم اننا ادركنا كل شيء .. وعدناه بزيارة الرملة مرة اخرى ، وتحركت السيارة نحو يافا .. وليافا ذكريات عزيزة عند كل فلسطيني ، رايت فيها الكثير وسمعت الكثير وعرفت الكثير وتعرفت على غير انتظار الى الكثيرين وسأنقل ذلك او بعضه في العدد المقبل ..

العدد الرابع

١٩ تموز ١٩٧٢



بحر « يافا »
يبكي في مدينة النضال .. والاطلال

١٩ ايلول ١٩٦٧ :

عندما كنت انام بعد هزيمة عام ١٩٤٨ ، كنت استيقظ من نومي مذعورا في السنوات الاولى للنكبة من جراء كوابيس واحلام كانت تعذبني باستمرار وتذكرني بالمعارك المزيفة ، والاستسلام ، والمسرحية التي مثلت على ارض فلسطين ، كما كانت هذه الكوابيس تطاردني فتصور لي الذبح والقتل الجماعي والتشريد الذي حدث لبني قومي وهم يطردون من بلادهم فلسطين . لقد شاهدت كل ذلك بعيني في مطلع شبابي الاول عندما اضطررت للانسحاب مع غيري من مدينة يافا في الثاني عشر من شهر ايار

عام ١٩٤٨ .

وعلى الرغم من انني لست من سكان مدينة يافا فلقد كنت اقيم فيها في هذه الفترة بالذات لاسباب تتعلق بطبيعة عملي في الحقل العام ... وهكذا خرجت من يافا مطرودا ، وطارتني كوابيس واحلام هذه المرحلة على امتداد عشرين عاما ، ولكن الكوابيس كانت تتحول في كثير من الحالات ومع الزمن الى احلام وردية ، برتقالية ، خضراء، وصفراء ، وحمراء، ملونة ومزركشة، بألوان الطريق الطويل بين مدينة الرملة ومدينة يافا ... تركزت كل احلامي الوردية في هذه الطريق الى مدينة يافا ، تارة على دراجة اطفال ، وطورا في سيارة والدي السوداء ...

وها انا اليوم اعبر هذه الطريق ، ليس على جناح الحلم والكابوس ولكن على جناح الحقيقة ، في سيارة صديقي «ع» التي كانت تتجه بسرعة الى مدينة يافا عبر الطريق المتشحة بالسواد ، وبيارات البرتقال والموز التي لا تعبق بالاريج . وكأنها تحس بالعدوان والاحتلال والاثم ، اكثر بكثير مما يحس بعض القادة والمسؤولين عن هذه الامة عبر العشرين سنة الماضية ...

كانت السيارة تتقدم نحو «يافا» وانا اتساءل بيني وبين نفسي عن سبب كل هذا الحب والشوق الذي احسه نحو مدينة يافا ، وفي الحقيقة ان مشاعري هي ترجمة صادقة لمشاعر كل اهل فلسطين نحو هذه المدينة بالذات ... قد يكون هناك اسباب كثيرة ومختلفة عند الواحد والاخر ، ولكن قد يكون السبب المشترك لهذه المشاعر ما كانت تمثله وتجسده مدينة يافا كقلعة مضادة تقف في وجه المدينة الصهيونية المجاورة والملاصقة « تل ابيب » التي تتجمع فيها كل طاقات ومؤامرات الحركة الصهيونية ... كان الصراع رهيبا وحادا بين المدينتين المتلاصقتين المتجاورتين منذ ان نشأت «تل ابيب» واخذت بالانتشار والتوسع ، كان سكان مدينة يافا يحسون بهذا الخطر ويدركونه بالوعي في كثير من الحالات ، وباللاوعي والغريزة في معظم الحالات . فلقد كان التوجيه مبعثرا ، وخاضعا لظروف واسباب عديدة بين الثلاثينيات واواخر الاربعينيات ، تبدأ هذه الظروف بالاحتلال البريطاني وتنتهي في عقل المواطن الفلسطيني الذي لم يكن بالفعل ليصدق ان الخطر قد يصل الى الحد الذي يطرد فيه من بلاده وينتصر عليه اليهود « أولاد الميتة » . كان هذا الشعور بعدم وجود الخطر الحقيقي من الصهيونية ، والاستهتار بقدرات الصهاينة من وراءهم ، عاملا كبيرا وسببا بارزا ، من أسباب الهزيمة بالرغم من كفاح الشعب المجيد ونضحياته منذ عام ١٩١٩

وحتى قبل ذلك ...

الا ان الاطفال والاولاد ـ وهذه ظاهرة احب تسجيلها وانا في صدد الحديث عن مدينة يافا الحبيبة ـ كانوا يرفضون هذا الجوار وهذا التوسع على حساب مدينتهم وشاطئهم الجميل ، كان أولاد «حي المنشية» و «حي العجمي» و «حي النزهة» وغيرها من الاحياء يرفضون بالغريزة كل مظاهر الوجود الصهيوني ، واعتقد ان رجال وشباب يافا اليوم الذين يعيشون في المنفى وهم اطفال واولاد الامس يذكرون اليوم جيدا . المعارك التي كانت تدور رحاها بين الاحياء المختلفة المتشابكة في المدينتين ، ولعلهم يذكرون اليوم ان كل واحد منهم اشترك في اكثر من معركة او مناوشة ، فضرب وضرب « بكسر الراء » ولكن حالات الانتصار دائما كانت في مصلحة اولاد واطفال العرب وربما كان بسبب الاحساس بالتفوق النفسي ، والشعور بالخطر من هؤلاء الاجانب الجدد الذين يختلفون كثيرا عن اليهود الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون معهم حتى في مدينة يافا بدون تعصب وبدون اي محاولة لاضطهادهم ، وعلى العكس تماما كان يسودهم جو من الالفة والمحبة والتعاون ، هذه المشاعر ، وهذا الاحساس الذي بدأ ينقلب في مطلع الثلاثينيات الى شعور يشوبه بعض الوعي عند قطاعات مختلفة من ابناء الشعب الفلسطيني .

كان لا بد ان تصل السيارة الى مدينة يافا ... أحسست لفرط انفعالي ـ وبسبب كل ما ذكرت انني دخلت الى كل فلسطين اضمها الى صدري واستعيدها من الغاصب المعتدي ... طلبت الى صديقي «ع» ان نتوجه فورا الى البحر ، كان البحر هو اول شيء اريد ان اراه والمسه ، فالبحر وبالنسبة للذين كان قدرهم ان يقطنوا في المناطق الجبلية وهي بقية ما تبقى من فلسطين بعد هزيمة ١٩٤٨ ، يمثل شوقا خاصا ، وحنينا عجيبا عبر عنه شعراء المرحلة اروع واخصب تعبير ... الشاطىء ، والساحل... والفردوس المفقود . والبحر السليب وغيره وغيره من التعابير ، وتحضرني هنا أبيات لشاعر فلسطيني تمثل قمة الحنين والعجز من قصيدة طويلة كان يتداولها الناس بعد وقبل النكبة الاولى والثانية ... ومنها :

« أيها الشاطىء الجريح بصدري ... لا ترفرف بالعجز في مقلتيا
لست اقوى على المجيء هوانا ... افتقوى على المجيء اليّا !!؟

ومنها : ـ

يا يدي المديدتين اليه ... ناء عبء الحنين بين يديا

فكأنــي وقــد بكيت عليـــه   في سعير الحرمــان ابكي عليا !

وصلنا الى «شاطىء الشباب» في بحر يافا وكم ذهلنا ونحن نراه يكاد يكون خاويا الا من بضعة كراس منثورة هنا وهناك ، ومقهى قديم يجثم في ركن ، تتحرك فيه بعض الاشباح .. كان الشاطيء يضم مجموعة من الشلل لم يسهل التأكد من هويتها الا اذا اقتربت منهـا ، وكانت الشمس تـــأذن بالمغيب ... كل شيء هادىء وشاحب وكئيب ، الا البحر الذي كان يرغي ويزبد ويصخب بشكل يلفت النظر ، وغير مألوف ... خيل الي ان البحـر يرفضنا ، برفض مجيئنا . وكأن امواجه تبصق في وجوهنـــا احتقـــارا واستهانة وخفة بنا ... عراني شعور كئيب ، اصطدم بكل الحنين الـذي يجيش بصدري للبحر ، وشعرت بضيق وانا اسير نحوه لامسح وجهي بمائه المالح المر ، وابكي ... وابكي ... وابكي ...

جلسنا على الكراسي المنثورة هنا وهناك . وبجانب شلة سرعان مــا سمعناها تتحدث بالعربية ، وتختلس النظر نحونا بفضول وتحفـــظ ... وكنت فقط انتظر المناسبة لافتعل أية مناسبة للحديث مع الشلة ، عندمــا رأيت احدهم يحدق بي وبزميلي «ع» . بادلته النظرات فلم يلوح لي وجهه المجعد وشعره الابيض بشيء، كل شيء بوجهه كان ميتا خلا عينيه، تضايقت منهما ومن فضولهما ، بالرغم من فضولي .. لم يتركنـي اتأمــل الموقف ، ضحك بصوت مرتفع ، ورنت باذني ضحكته المشهورة المستهترة ، وكان قـد بدا يمشي نحونا ... قال : فلان الست فلانا ؟ ... قلت : نعم ... نعم يا «فايز» وكان تيارا من الكهرباء والحياة انتقل الى الشلة ، بـين مندهــل ومندهش ، ومستفسر ومتحرك نحونا ... وتم التعرف والعنـــاق ... والسلامات ... والسلامات ...

لا بد من وصف «فايز» بكلمات ، مع ان الحديث عن فايز وفي غير هـذا المجال يحتاج الى مجلدات ... «فايز» هو احد ابناء العائـلات المعروفة في يافا ، من الذين رفضوا الخروج وآثر البقاء حيث هو ، والذين عرفوا فايز في الماضي يعرفون ايضا ان الموضوع بالنسبة له موضوع مزاج لا اكثـر ولا اقل ، فـ «فايز» ظاهرة خاصة وفريدة من نوعها ، قلما تجد مثلها واحدا بين الالاف او الملايين في الوطن العربي، وخاصة قبل النكبة وقبل ان تتبلور المذاهب الوجودية في العالم ... و «فايز» هذا فيلسوف وكاتب وصيدلي ومهتم بعلم الفلك ، يجمع بين الاديب والعالم ، وهو ساخر بطبعه ، لا تعرفه وطنيا او وطنجيا ، يفلسف كل شيء ، وله افكار شاذة حول كـل شـيء ،

عنيف وهادىء ، يبكي اذا سمع اغنية حزينة ، ولكنه ارتكب جريمتي قتل في حياته ، احدهما كان يهوديا والاخر عربيا . وفايز هـذا في التحليـل النهائي يعرف كل شيء . ويتحدث في كل شيء ولا يعرف شيئا في الوقت نفسه ، يساعدك من حيث يضرك ، ويضرك من حيث يريد مساعدتك .

لقد كانت صدفة . وصدفة مذهلة ، فرحت لها بقدر ما تشاءمت منها، وسلمت امري الله ، وكان قدري وحظي ان استمع اليه والى صحبه طويـلا طويلا ، وكان قدري ايضا ان اقضي اليومين المقبلين في صحبته . لاكتشف وبعد التجربة المريرة التي عاشها ــ فايز ــ فانحنى ظهره بالهم والعـذاب ، وشاب راسه الجميل بالالم والمعاناة ، ان «فايز» هذا اصبح انسانا جديـدا فقدم لي تجربته الضخمة في ظل الاحتلال والتي لخصها بقوله : « انه لا يمكن بل يستحيل التعايش مع هؤلاء الناس ، مع هذه العقليات المريضة ، مع هؤلاء الذين لا يفكرون الا بازالتنـا وابادتنـا «كعائق بشري» امام توسعهم ومطامعهم التي لا حدود لها » . . . ومع ذلك فقد احتمل «فايز» الاحتـلال عشرين عاما ، يبدو انه لم يكن من السهل عنده ان يجد البديل خارج دنيـاه وصيدليته وما تبقى من املاكه ، وشارع النزهة وحي العجمي . . . والبحر . . . وشاطىء الشباب . . . شيء واحد ظل يعيش مع فايز ، وذاك حرصه على معرفة كل شيء ، ولكن بدون فلسفة . . وهكذا كان لا بد ان يكون مفيدا في رحلتي داخل الوطن المحتل . .

قال لي ولصاحبي : « تعال وقبل ان تغرب الشمس نطوف في «مدينة الاطلال» يافا التي تحبها . . . تعال وتفرج على يافا ، كان قد بدأ يتقمـص شخصيتي ويشعر بأحزاني ، ويحس بفضولي ، بدأ يدرك انني اريـد ان اعرف واتعلم وكانت هذه فرصته . . .

بدأنا نمسح المدينة، حيا حيا ، وشارعا شارعا ، وبدأت أدرك تعبيره عن «مدينة الاطلال» وبدأت اتساءل بيني وبين نفسي احيانا ، واسالـه بعـض الاسئلة أحيانا اخرى . . . لماذا تقلصت البيوت وضمرت بهـذا الشكـل ؟ العمارات تضاءلت ، وقصرت طولا وعرضا . والشـوارع اصبحت ضيقـة ، وتعرت وكأنها ليست شوارع ، وصحيح ان المساكن والمخازن لم ترمم ولم تمس من عشرين سنة ، وتركت مهملة بالرغم من انها مسكونـة باليهـود الشرقيين ، الا ان منظرها يلفت النظر وكأنها في طريقها التداعي او العناق من فوق الارض والشوارع التي تقف فوقها . . . خراب . . . خراب في كل مكان . قبح واهمال ، وكنها ليست يافا ، عروس فلسطين. قطعت الشارع

بين العجمي مرورا بشارع اسكندر عوض الى السرايا الحكومية القديمة القريبة من مطعم «ابو عفيف» لاسمع كل حجر يجهش ويسأل ويشتم ... ولارى الموت والفناء في كل شبر... قال : «تركوها مهملة عن قصد ، والله يعلم ما هو ، جمعوا فيها كل شذاذ الافاق من اليهود الشرقيين ؛ جزائري على مغربي على يمني ؛ كما جمعوا العرب الفلسطينيين المعدمين والمرضى فيها ... مدينة بلا رقابة ، حشيش وافيون وبغاء ولصوصية ، حولوها الى كل ذلك . ويأتون بالسواح الاجانب عليها ليشاهدوا العرب فيها وكيف كانوا يعيشون» ... صمت «فايز» قليلا ونظر الي وكأنه يريد ان يتحفظ ثم قال : «ومع ذلك فهناك وجه مشرق في يافا سأحدثك عنه ولا بد ان ترى بعضه ، اريدك ان تقيم معي انت وصاحبك ضيوفا علي ، سأحدثكم كثيرا . واجعلكم تشاهدون مختلف الناس . من يعمل في التجارة ومن يعمل بالسياسة على الاسلوب الاسرائيلي طبعا ؛ اريدك ان تضحك وتبكي وتتأمل وتعرف . ومن ثم ربما تفرح اذا علمت وفهمت» ...

وسألته : ماذا يعني بكل هذا الكلام بالضبط ؛ ورجوته ان يبسط الامور لي : وكنا قد وصلنا الى بيته في «النزهة» ودخلناه هيابين ؛ مما قد تخبئه الاقدار لنا . وجلسنا في صالونه الشرقي ؛ وكان في صدر الحائط صورة كبيرة مزخرفة للمسجد الاقصى مكتوب تحتها بيت الشعر المشهور للشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود من قصيدة القاها امام الامير فيصل بن سعود عام ١٩٣٦ (الملك حاليا) عند زيارته لمدينة القدس يقول فيها :

«المسجد الاقصى اجئت تزوره ؟ ام جئت من قبل الضياع تودعه ؟»

٢٠ أيلول ١٩٦٧ :

٢٠ أيلول ١٩٦٧ : طلع الفجر علينا نتحدث بكل شيء ، وحوالي الساعة العاشرة ، وقبل ان نتناول فنجان القهوة التركي الذي طلبناه من فايز ؛ رن جرس الهاتف ، وقام صاحبنا ليرد عليه ، وفجأة سمعناه يقول لمحدثه «انتظر ، انتظر قليلا ، وتوجه لنا بالحديث قائلا : «محدثي هو عضو عربي سابق في الكنيست الاسرائيلي . من حزب الماباي ؛ وهو الحزب الحاكم القوي باسرائيل . ويريد ان يزورني الان . وبناء على موعد سابق ؛ هل

استقبله ام أوجل الموعد ، صاح بي : «فلنتسل ، ولنفهم كيف يفكر هؤلاء الناس». وكأن الواحد قد نسي في غمرة الاحداث ان حزب المباي والمؤسسة العسكرية الصهيونية قد خلقت لها اصناما ونوابا ورجالا من طراز معين ، وتحت كل الظروف يخدمون السيد الحاكم .. قلت له بغير فضول «اذا كان موعدك معه ، فليأت وماذا سنخسر نحن من رؤيته» فدعاه للمجيء دون أن يذكر ان عنده ضيوفا ...

دخل العضو العربي السابق في الكنيست الاسرائيلي يصحبه شاب لا يتجاوز الثلاثين من عمره ، قدمهما لنا الاخ فايز بقوله : «السيد «صالح خنيفس» واحد اقاربه» كما قدمنا له باسماء غير اسمائنا على اننا من عرب الضفه الغربية ..

جلس الرجل وبدون مقدمات راح يخاطب «فايز» قائلا له: «هؤلاء الكلاب ما يزالون يتابعونني ويضايقونني وقد بدات افقد صبري معهم ، لا فائدة ترجى منهم مهما خدمهم الانسان» .

كان كلامه غامضا بالنسبة لنا ، ولكن سرعان ما تدخل الاخ فايز التفسير قائلا : «الاخ صالح دخل الانتخابات النيابية مدعوما بحزب المباي ، الحزب الحاكم المؤيد من الحكم العسكري وكل اجهزة الدولة ومؤسساتها ابتداء «بالهسندروت» وانتهاء بالمخابرات العسكرية ، وقد قدم خدمات كثيرة للحزب وللدولة ، ولكنه عاد واختلف معهم ، فلم يتركوه لشانه ، فمنعوه من الترشيح في الدورة التالية ، لعام ١٩٥٩ ، وحرموه من كافة الامتيازات والحقوق التي كان يتمتع بها ، وذهبوا اكثر من ذلك ، وصادروا «ابقاره» باسم الضرائب المعلقة ، ثم صادروا مجموعة السلاح الذي كان يقتنيه بمعرفتهم ثم منعوه من تجديد الرخص لهذا السلاح ، وما زالوا يضايقونه..

سأله صديقي «ع» هل ترشحت على قائمة حزب المباي ، وهل للحزب نفوذ في الاوساط العربية ؟. قال صالح : بدأ حزب المباي بالنشاط في الاوساط العربية بعد ان استقر الحكم للدولة الجديدة بوقت قليل ، وقد دخلنا الانتخابات في قوائم عربية متحالفة مع الحزب ، والحقيقة اننا بعد النكبة وبعد خروج معظم الناس ، والقيادات ، رفعنا شعار «الذي يأخذ امي هو عمي» وثبت فيما بعد ان هذا شعار خاطيء ، وانه كان من الخطأ ان نتعاون مع هؤلاء الناس الذين ضحكوا علينا» .. وصمت الرجل وشرد فكره بعيدا ، بينما استانف الحديث قريبه الشاب فقال :

«ان حزب المباي لا يحمل بممارساته ونشاطاته في الاوساط العربية

اية اسس عقائدية من شأنها ان تعطي العرب هناك حتى بعض التمنيات في امكانيات التعايش ، وحتى العرب الذين ينافقون له ويتعايشون في ظلـــه للانتفاع غير منتظمين في حزب ، وهم عبارة عن «زلم» واتبــاع للحـــزب ومؤسساته لا يتعرف عليهم اعضاء الحزب الا وقت الانتخابات.. ان «بن غوريون» زعيم الحزب لم يتنازل ان يزورهم اكثر من مرتين عبر العشرين عاما الماضية ووعدهم وعودا كاذبة ؛ كما ان بن غوريون يحتقـــر العـــرب ويكرههم ؛ لقد قضى في فلسطين حوالي الخمسين عاما ولا يكتب او يقرأ أو يتكلم كلمة واحدة باللغة العربية ، ولقد رفض مرة ان يتسلم هويته العبرية لانها تحمل اسمه ورقمه باللغة العربية» . واستانف الشاب قـريب النائب كلامه قائلا : «ان بعض الناس التفوا حول الماباي ، وعلى استعداد ان يلتفوا حول كل حاكم . هؤلاء يمثلون المرتزقة في كل مجتمع ولكنهم آخـذون في الانقراض ؛ ان جريدتهم باللغة العربية وهي جريدة «اليوم» لا توزع اكثر من الفي عدد ، يقراها الناس من باب الفضول لا غير ؛ ان منظر اعضاء الكنيست العرب وخاصة الماباي مضحك في الكنيست الاسرائيلي . فهم يبصمـون ولا يناقشون اتفه القضايا ومع ذلك فهم محتقرون» .

كان «العضو المحترم» صامتا يسمع الى قريبه الشاب ويهـز راسـه . ويقول : «يا باطل ، يا باطل» لقد اكتشف من خلال مأساته الخاصة حقيقـة المأساة العامة ولكن بعد فوات الوقت ...

وهنا عاد قريبه ليقول : «ان وضع العرب في (اسرائيل) موضوع طويل ويحتاج الى شرح وتفسير ، وعلاقة الناس بالاحزاب المختلفة علاقة متباينـة مختلفة ، تصب في النتيجة والنهاية في خدمة الدولة، والدولة في التحليل النهائي لا تقبل ان ينمو للعرب فيها أي كيان وتواجد حقيقي وهي تعالج هذا الامر بكافة الوسائل ابتداء بالارهاب وانتهاء بالتحايل والرشوة والتمييـع لابقاء العرب فيها مواطنين من الدرجة العاشرة ، وساعطيكم آلاف الادلـــة والبراهين على ذلك» ..

وختم كلامه بقوله : «ان هذا الكلام ينسحب عـلى كافـــة الاحـــزاب الاسرائيلية مع التفاوت والبراعة في الممارسة ، باستثناء الحزب الشيوعي الذي ينشط بين العرب على اسس عقائدية محددة . وهو الحزب الوحيـد الذي استقطب الجماهير العربية القليلة التي بقيت في اسرائيل وناضل من أجل حمايتها ، وبالفعل رغم الاضطهاد الذي وقع عليه خاصة بعد الانشقاق ما زال يشكل الحماية لكثيرين من العرب يعملون تحت لوائه دون ان يكونوا

من الشيوعيين ، ان تاريخ ونضال الحزب الشيوعي في اسرائيل مليء بالمفارقات . ولا يمكن ان يفسر او يفهم التحرك والنشاط العربي في ظل الاحتلال الا من خلال فهم نضال الحزب الذي كانت ترتفع شعبيته وتنخفض بقدر ما يساند حركة الجماهير العربية خارج الوطن المحتل» . . .

صمت صاحبنا الشاب الذي بدا وكانه واحد من الذين يعملون تحت الشعارات التقدمية ووعدنا ان يعرفنا على الكثيرين من العرب في يافا وغير يافا . .

«وسننشر تباعا هذه التجربة والمعلومات في الاعداد القادمة» .

العدد الخامس

٢٦ تموز ١٩٧٢



في المثلث
عادت ذكريات مفاوضات «الربع سنتمتر»

٢٢ أيلول ١٩٦٧ :

كانت الايام القليلة التي قضيناها في مدينة يافا - مدينة الاطلال - وقضائها . كافية لنتعرف من جديد على المدينة التي غادرناها قبل عشرين عاما ، لنعود فنجدها شبه الجثة شكلا وموضوعا ، كما سلف وصورنا تجربتنا فيها في مطلع مذكرات الامس .

في صباح هذا اليوم دخل علينا الاخ فايز وابلغنا بأنه مستعد للعودة معنا الى القدس ، ونصحنا بأن لا نطيل اقامتنا اكثر في مدينة يافا ، لان بعض المتطفلين اخذوا في السؤال عنا ، كما اكد على ضرورة تواجدنا في القدس وعدم التحدث عن الرحلة : ليتمكن بعد ذلك من السفر معنا من جديد الى مناطق اخرى في الارض المحتلة .

بدأ فايز حديثه معنا في السيارة عن اوضاع ومشاكل الاقلية العربية في ظل الاحتلال . وما طرأ على اوضاعها من تبدل في العشرين سنة الماضية ، وكان ينوي ان يستفيض في الحديث والشرح ، وكنا قد وصلنا الى حدود مستعمرة «نيتر» وهي تقع على جانب اول الطريق الممتد بين مدينة يافا

ومدينة القدس ، عندما رأينا فتاة ترتدي الكاكي والبنطلون تلوح لنا وتطلب منا ان نتوقف ، وبحركة مفاجئة اوقف صاحبي ــ ع ــ السيارة قربها وسألها باللغة الانكليزية عما تريده ؛ فطلبت من دون استحياء ان ننقلها معنا الى القدس فهي في عجلة من امرها وتريد الوصول بسرعة الى هناك .

تطلع صاحبي نحوي ؛ فلم أدر كيف أتصرف . وهنا تدخل فايز وحسم الموقف لا مانع «دعها تركب» ؛ وصعدت الى المقعد الخلفي وهي تحمل حقيبة متوسطة الحجم في يدها . استأنفنا السير بينما كانت تحاول هي ان تعتذر وتشكرنا في الوقت نفسه قدمت نفسها باسم «تانيا» وهي طالبة في السنة النهائية في الجامعة العبرية تدرس التاريخ والادب. كانت ذات ملامح جذابة ، اقرب منها الى الطول تتحدث معنا بثقة في النفس وكأنها تعرفنا منذ وقت طويل .

وخيم الصمت علينا ، بينما كانت السيارة تسرع نحو القدس ، وفجأة سألها صاحبي ــ ع ــ : «هل أنت من هذه البلاد ؟» واجابت بسرعة وكأنما كانت تنتظر السؤال : «طبعا ، طبعا ، وأبائي واجدادي ، وأجداد اجدادي». قال صاحبي : ــ وهو بالمناسبة بارد الاعصاب جدا ــ «العفو يا انسة العفو ؛ ظنناك سائحة اجنبية او مقيمة هنا ، فشكلك لا يوحي بأنك من هذه البلاد ؛ العفو ، العفو وما كنا نقصد التعرض لاجدادك واجداد اجدادك» .

قالت : من انتم ؟ ألستم اسرائيليين انكم تركبون سيارة اسرائيلية ، اجاب صاحبي مرة اخرى « العفو يا آنسة لم نحصل على هذا الشرف بعد ، نحن فقط سواح في بلادك وبلاد اجدادك ، أحببنا ان نزور يافا ، وعكا ، والرملة واللد للمشاهدة والثقافة الجغرافية والسياحية في بلادكم العظيمة» . . . كانت السخرية تسيل من كلماته ، والحزن يطغي على الحروف . لكنها لم تستسلم وانبرت تقول : «يبدو لي انك تسخر ؛ وانك لا تصدقني مع انني قلت لك انني طالبة تاريخ وفي السنة الاخيرة» . وراحت الانسة تانيا وبحماس بالغ تسرد معلوماتها في التاريخ العبري قبل الفي عام ، وتأتي بالحجج والبراهين على ان البلاد كانت لهم في ذلك الوقت . . . كان الموقف مضحكا ومبكيا ؛ ماذا يمكن ان تقول لهذه الطفلة ؟ من أين نبدأ معها ؟ وهل هناك حتى ما يدعو الى ذلك ؟ وهل هناك من فائدة . . .

كنت أتفرس بعينيها المتحفزتين للصراع والحوار ، عندما سألها ــ ع ــ « اين ولدت أنت ؟ » قالت : «في القدس» . . . «وابوك» ؟ قالت : «في روسيا» «وجدك لابيك ؟» قالت : «ايضا في روسيا» . وهنا تململ صاحبي

ـ ع ـ وتحركت فيه نزوته الوطنية ، ونزوة ابناء العائلات ! وقال لها بما يشبه الانفعال : «اسمعي يا انسة : انا ولدت في القدس ، ووالدي ، ووالد والدي المباشر . وجدودهما لعشرة أجيال ، وهذا الذي وصلنا فقط من خلال تاريخ العائلة المدعم بالوثائق والصور . منذ خمسمائة سنة كان جدي الكبير واليا للقدس. فاين كنت انت؟» اخرج صاحبي ـ ع ـ محفظته، وبدا يناولها صورا لاجداده واسمائهم بمختلف الازياء والاوسمة وينثرها على حجرها ، ويسمعها محاضرة مضادة بالتاريخ الحقيقي لفلسطين ، ويعيدها الى مراجع ومصادر عالمية . لم تسمع هي بها ولم تدرسها ، لانها كانت ممنوعة عنها . .

مرة اخرى ظهر الموقف الذي وصلنا اليه مضحكا ومفجعا معا ، كان منظر صاحبي مأساويا . وكان منظرها متحديا ولكن اعترته هزة واضحة ظهرت على محياها المكابر الذي لا يريد ان يصدق هذا الذي يسمعه، ولاحت بوادر الشك على وجهها . لقد كانت الفتاة تتكلم بقناعة ، هكذا لقنوها ، وهكذا علموها. وهي ترى ان كل شيء ينهار في أمر يمس حياتها ووجودها، بل تفكيرها وعقلها وثقافتها . . .

قطعت على أفكارها الطريق . وقلت لها «اريد ان أسلم معك جدلا انكم كنتم هنا كدولة وفوق بعض هذه الارض قبل الفي عام، فهل هذا يفسر وبعد الفي عام ان تستعملوا كل الاساليب التي استعملتم كصهاينة ، لتسلبوا وتطردوا الشعب الفلسطيني الذي يقيم في هذه الارض كل هذه السنين ؟ وهل هناك أي مبرر اخلافي او انساني او قانوني لمثل كل هذه الاعمال البربرية التي قمتم بها ؟» .

قالت «لقد اضطهد شعبنا في كل العالم فكان لا بد ان يجد لنفسه مكانا يقيم عليه دولة اسرائيل ليحمي نفسه ولغته ودينه وتراثه» .

قلت لها :

«هل سألت نفسك يوما لماذا اضطهدتم كشعب ؟ وبالمناسبة انتم اضطهدتم في كل مكان ولكن ليس في بلادنا العربية ولا في فلسطين ، بل عشتم وتعايشتم ورعيناكم وساويناكم بأنفسنا ، فهل كان هذا هو الجزاء ؟ وهل كان الثمن أن تنشأ مثل هذه الحركة الصهيونية البدائية الفاشية لتمارس علينا ارهابها وتوسعها ، مستعينة بكل القوى الاستعمارية والامبريالية التي تطمع في بلادنا منذ التاريخ» ؟؟

وقلت لها : « ومع ذلك فاننا ما زلنا نفرق بين اليهودية كدين وبين

الصهيونية ، ونعتقد انكم ضللتم ، وانكم ترتكبون الخطأ تلو الخطأ بهذه الاعتداءات وهذا التوسع » .

قالت : « هذا مستحيل ، كل جيلنا الذي سيتولى المسؤولية يوما ما قانع بوعي وصدق ان هذه بلادنا، وان الحرب كر وفر، واننا انتزعناها منكم بالقتال وهذا من حقنا ، ونحن اليوم موجودون هنا وسندافع عن هذه الارض » .

قلت لها : « اعرف ذلك، وهذا يجعل مسؤولياتنا اكبر، وعبء التحرير اعظم ، تحرير الارض ، وتحريركم انتم ، أي تحرير كل اليهود من الصهيونية ، لتصبحوا شعبا سويا قادرا على التعايش مع كل الناس» .

قالت : «وهل يعني انكم وبعد كل هذه الهزائم لن تستسلموا ، ولن تتركوا لنا البلاد » ؟

قلت : «اسالي هذا الشاب الذي يجلس الى جوارك ــ واشرت الى فايز ــ لقد عاش معكم عشرين سنة وهو بالهوية اسرائيلي ، فهل استطاع ان يتعايش معكم ؟ لقد عاش كل هذه المدة مواطنا من الدرجة العاشرة ، انه حتى لا يفهم اللغة التي نتحدث بها الان» .

التفتت اليه وسألته بالعبرية : « هل انت اسرائيلي ؟ » قال «بالهوية يا انسة ، ولكنني فلسطيني وعربي وديمقراطي ، أريد ان اعيش في فلسطين ولكن ليس تحت ظل مثل هذه الدولة الفاشية العنصرية ، يجب ان نعيش كلنا في فلسطين ، وفي مجتمع ديمقراطي حقيقي ، بدون هذه الدولة التي لا تتوفر فيها مقومات الحياة ، ولكن في دولة فلسطينية تكون جزءا ملتحما ومتعايشا في هذه المنطقة العربية الواسعة» .

كنا قد وصلنا الى مشارف القدس ، وخيم الصمت والتوتر على الجميع .. ولاحت من بعيد اسوار المدينة المقدسة .. قالت « ها هي القدس » .. قلت لقد حولتموها الى قلعة حرب ، وعندما ننتصر سنحولها الى قلعة سلام .. فكري ، فكري ، وساعدي شعبك من ضمن هذه الافكار التي قلناها لك .. ان السنوات في عمر الشعوب لا قيمة لها .. والقضية بالنسبة لنا وامام توسعكم قضية حياة او موت ...

١٠ تشرين اول ١٩٧٢ :

افقت منفعلا هذا الصباح ، وفي حماس بالغ رحت أعد حوائجي للسفر

الى شمال فلسطين بعد ان طال بقائي في القدس،شاهدت اثناءه ما شاهدت من عنجهية الصهاينة ، وصلفهم ، واعتداءاتهم المتكررة على السكان ، واساليبهم الماكرة في مصادرة الاراضي والدس بين فئات الشعب وحرب الاشاعات والتخدير الذي كان يطلق هنا وهناك ..

كان «فايز» قد أعد كل شيء للرحلة ، وقدمنا الى شاب يدعى «موسى» قال «انه سيرافقكم الى الشمال ، بسيارته ، وسيؤمن لكم كل الاتصالات اللازمة» . وموسى هذا شاب في الخامسة والعشرين من عمره ؛ تمركس على يد الحزب الشيوعي الاسرائيلي منذ نعومة اظفاره ، وشب في ما يسمى بدولة اسرائيل . كان لطيفا انيسا ونحن نعبر الطريق الى يافا من جديد ، يحاول ان يوفق بين النظريات التي درسها واستوعبها، وبين تجربته الذاتية في ظل الاحتلال ، وبين الواقع وخيبة الامل التي يشعر بها كانسان لم ير شيئا تحقق في حياته القصيرة عبر الاهداف التي ناضل من اجلها في اسرائيل ، او عبر التجربة التي خاضتها الامة التي ينتمي اليها خارج اسرائيل ، والتي توجت بهزيمة الخامس من حزيران ...

من جديد سلكنا الطريق الى يافا ، ومررنا بقرى صغيرة متناثرة ومستوطنات يهودية جديدة ، ومنها الى «بتاح تكفا» ومن ثم عبرنا الطريق الى المثلث الخصيب صاحب التاريخ الطويل العريض في الاحتلال الاول واثناء الاحتلال... وللمثلث كما ذكرت شجون واشجان عند كل فلسطيني؛ اما لي ففيه اكثر من شجن واكثر من ذكرى ، لا استطيع المرور بواقعة محدودة منها بالذات ، دون ذكرها ، وانا اسجل هذه المذكرات ، ولن اتوسع فيها ؛ لان هذه الواقعة بالذات سبق ونشرت قبل عشرين عاما في مجلة كانت تصدر في مدينة رام‌الله اصدرها بعض ابناء فلسطين فيها واسمها «الجيل الجديد» .

كان ذلك وبعد ما يزيد على العام منذ انشئت اسرائيل ، وقد خرج من دخل من القوات العربية واعلنت الهدنة ووقعت المعاهدات ، وبدأت اسرائيل تناقش في الحدود من جديد على ضوء الخرائط التي وقعت في رودس . وقد يتركز الخلاف بين الصهاينة وبين بعض الدول العربية وخاصة في الاردن على «ربع سنتمتر» على الخارطة .

ويقول الذين وقعوا الهدنة ، انهم لم يقدروا ان «الربع سنتمتر» على الخارطة يعني الاف والاف من الدونمات والافدنة الخصبة من ارض فلسطين ، وكان من ابرز المفاوضين في تلك المرحلة رياض المفلح الوزير

الاردني فيما بعد وبطل مفاوضات جدة المعروف . . .

وهكذا كان ، فقد وقع الخلاف، وهددت اسرائيل بعد انسحاب الجيش العراقي مباشرة ، بالزحف على المثلث ان لم تسلم أراضيه كلها تقريبا الى اسرائيل ، بموجب الخرائط «الممضية» من الوفد الاردني المفاوض . . .

وطلبت لجنة الهدنة المشتركة ان يجتمع وفد من الاسرائيليين واخر من الاردنيين لبحث الامر على الارض وعلى الخرائط ، وكلف لهذه المهمة عن الجانب العربي احمد صدقي الجندي وهو قائد في الجيش الاردني وانتدب لمرافقته السيد احمد الخليل وكان مساعدا للحاكم العسكري في مدينة رام الله وهو محام فلسطيني من حيفا وكان في الجانب الاسرائيلي ، «موشى دايان» شخصيا ومعه مجموعة ضباط من جيش الدفاع الاسرائيلي .

اصر احمد الخليل على دعوة بعض الصحفيين المتمردين في تلك المرحلة من الذين كانوا يهاجمون النظام ويلقون عليه وعلى غيره من الانظمة العربية مسؤولية ضياع فلسطين ، اصر على دعوتهم ليثبت انه ذاهب للمراقبة وليس للتوقيع ، وكان حريصا هو وغيره من الفلسطينيين باديء ذي بدء ان لا يلوثوا بما حدث ، ولكن سرعان ما جرف النظام عشرات بل مئات من طبقته فاستسلموا للنظام ودعموه وحكموه .

وكنت آنئذ في مدينة رام الله ؛ والح صاحب «الجيل الجديد» على لمرافقته كصحفي ، وحملنا جراحاتنا ــ وكاميراتنا ــ وذهبنا لتسليم المثلث . . .

كانت المفاوضات مضحكة ؛ وكان موشي دايان يتكلم من موقع القوة ويقول : «هذه حدودنا على الخارطة التي وقعتم عليها ؛ ومعنى ذلك ان أرض المثلث هذه لنا ؛ وعليكم الانسحاب» . . .

وكان ببساطة تصل حد الغباء وحد المأساة يرد عليه اللواء احمد صدقي الجندي ــ رحمه الله ــ «اننا لم نكن نعرف ان كل هذه الارض العربية ، ستهب لكم ، هذه الارض ما زال يزرعها ابناؤها وهم مقيمون فيها ؛ فكيف يخرجون» . . . كاد كلامه يصل حتى الاستجداء والمهانة . . . وتعب الفريقان من الاخذ والرد ، وتابع موشى دايان يرسم لهم خطة الانسحاب على مراحل وتخيير المزارعين بالانضمام لهم . . . أو لهم . . .

وفجأة خرج موشى دايان من الخيمة التي كانت تجري فيها المفاوضات على الحدود في منطقة طولكرم ــ قلقيلية . وكانت هذه المرة الاولى التي أراه فيها ، كان ما زال نحيلا ، وعصبة عينه السوداء تغطي نصف خده

البارز ... وفجأة خرجت بدوري خلفه ، وكان يدير ظهره الى الخيمة وقد وقف وحيدا ينظر للساحل ... مشيت نحوه ، فاستدار ، لم يكن مهما في حينه ولا منتفخا مثلما هو الان ، ولكنه كان اسما لامعا بين ضباط الهاجناه.

تقدمت نحوه واخبرته انني اريد ان اتحدث معه . قال : «تفضل» قلت: لقد استمعت الى المهزلة في الداخل وانصح بأن لا تتم مثل هذه الاجراءات، انها خطيرة ، وتزيد اضعاف اضعاف على ما هو في قرار التقسيم ، وستزيد الحقد ضدكم ، وستشعل النار من جديد ، هذا كل ما تبقى لنا من ارض خصبة لا داعي لكل هذا التشدد ...

اليوم فقط اعرف انني كنت طفلا مراهقا ، ومع ذلك فقد أحسست انه من واجبي ان افعل شيئا من أجل انقاذ هذه الارض الخصبة الجميلة ...

نظر الي موشي دايان من فوق ، وقال : « هذه الحرب ، وسوف تنسون ، نحن نعرفكم» .

ومرت عشرون سنة ولم ننس ... وعدنا الى رام الله ؛ وكتب صاحب الجيل الجديد مقالا بعنوان : «كيف سلمنا المثلث» وافتتاحية بعنوان :

ومن دخل البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد ..

واعتقل صاحب المجلة للمرة الخامسة منذ الاحتلال، وصودرت المطبعة، واعتقل المحررون والعمال واصدقاؤهم وكل من كانت لهم علاقة بالمجلة المذكورة ...

وبينما كانت هذه الذكريات تجيش في صدري ، وصلنا الى «العفولة» ومنها راحت تقترب السيارة نحو مدينة «الناصرة» . الناصرة بلد السيد المسيح عليه السلام ، البلد التي وصلت انباء مناضليه الى كل مكان في الوطن العربي ، ولست ادري لماذا رحت افكر بقول السيد المسيح : «وهل يخرج رجل صالح من الناصرة» . مع ان المعلومات والانباء تؤكد ان عناصر متعددة ، وباتجاهات متعددة برزت هناك وناضلت ضد الاحتلال وحاولت ان تجد بعض الكيان للشعب الفلسطيني المبتلى بالاحتلال والصهيونية ...

وهنا تململ الاخ موسى ، مرافقنا الى مدينة الناصرة ، وقال : من الناصرة، انطلقت وتوسعت الحركة الوطنية ممثلة في الحزب الشيوعي الذي مارس دوره في ظل الاحتلال من ضمن رخصة قانونية ، كما من هنا انطلقت حركة الارض بمفهومها القومي وتوسعت وانتشرت لتعود وتسحق من قبل الصهاينة ...

قال موسى في معرض حديث طويل عن الاحزاب التي عملت في ظل

اسرائيل ، وعملت في الساحة العربية فيها : ان الحزب الشيوعـــي فــي اسرائيل وحتى قبل انشقاقه الى حزبين بحيث ذهبت الاكثرية العربية جهة، والاكثرية اليهودية في جهة اخرى ، كان يحاول ان يطرح افكارا معينة لحل المشكلة من ضمن عقيدته الماركسية اللينينية وتفسيرها للامور في ذلـــك الحين . والحزب الشيوعي ــ كما قال موسى ــ هو الحزب الوحيـد فــي اسرائيل الذي يتمتع بعقيدة ويضم عددا كبيرا من المواطنـــين العـــرب . والحزب يعمل من خلال فروعه المتعددة في مختلف المدن والقرى ومن خلال عدد غير قليل من الصحف والمجلات التي تنطق باسمه وابرزهــا «الاتحاد» وتصدر مرتين في الاسبوع ، و «الجديد» هي سياسية ادبية تصدر مرة في الشهر ، و «الغد» وهي مجلة شهرية للشباب ، و «الدرب» وهي مجلـــة الحزب العقائدية وتصدر في مواسم .

لقد لعب الحزب الشيوعي دورا كبيرا في حياة السكان العرب باسرائيل. فهو بالاضافة الى الطرح النظري الذي لم يوافق كل العرب عليه . وقف من الحكم موقف المعارض بعد قيام الدولة بوقت قصير ، فتصدى بذلك لمعظم عمليات القمع والاضطهاد التي كانت تتعرض لها الاقلية العربية لاسيما في السنوات الاولى من سنوات الحكم الفوضوي الـــذي شمـــل الدولـــة ومؤسساتها ، ولقد دعم الحزب في كفاحه معظم الجماهير الفلسطينية التي كانت تحت الاحتلال ، لانه كان سبيلها الوحيد لمقاومة العـــدوان عليهـــا ومؤامرات السلطة ضدها . ولقد تجلى هذا الدفاع بالممارسة والتنظيم ضد السلطة ، كما عبر عنه خاصة بالصحف العربية الشيوعية اصدق تعبير .

ولقد ازداد نفوذ هذا الحزب مع الزمن وازداد انصاره العرب ، وبدا في عام ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ وكأنه الناطق والمعبر الوحيد عن العرب داخل الوطـــن المحتل . على ان نفوذه ازداد عندما تبنى الاتحاد السوفياتي حركة التحـــرر العربي ، والقومية العربية ، ضد الامبريالية وعدوانها في الشرق الاوسط، ووصل الحزب قمته عند قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاســة جمـــال عبد الناصر ، حيث رفع الحزب معظم شعارات المرحلة بما فيه حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

●

في المذكرات المقبلة ننشر بقية التحليل عن الحزب الشيوعي وكيفيـــة

انشقاقه ومقابلتنا لابرز قياداته ، كما ننشر عـن حركـة الارض العربيـة ومقابلتنا لبعض قادتها .

العدد السادس
٢ آب ١٩٧٢



« لماذا راكاح ؟ »
في أحاديث مع
توفيق طوبي واميل حبيبي

١١ تشرين اول ١٩٦٧ :

دخلنا مدينة الناصرة ، وكانت الشمس تأذن بالمغيب ، وعبر شوارعها التي كنا نخترقها نحو هدفنا المنشود ، لاحظنا ان ثمة بعض تغييرات قد لامست شكلها الخارجي ، خلافا للمدن الفلسطينية الاخرى التي كنا قد حللنا بها وزرناها في السابق ، فالعمارات قد ازداد عددها ، والقديم منها ما زال يحتفظ برونقه أو تجدد ، والشوارع مرصوفة ونظيفة ، ودلائل الحياة واضحة في المحلات والمتاجر المنشورة على جانبي الطرق التي تغص بالناس .

ومن فوق مدينة الناصرة ، كانت تطل مدينة «الناصرة الجديدة» كما اسماها الاسرائيليون بعد الاحتلال واقاموا بها وفيها دوائر الحكومة ومصالحها ، وكأنما بنيت قصدا ، لتطويق المدينة القديمة والاشراف عليها ...

كانت السيارة تعبر بنا شارعا شارعا ، و «موسى» مرافقنا يتحدث ويشرح لنا بعض التغييرات ، أو يشير الى بعض المعالم في المدينة ، وكأننا سواح ندخلها للمرة الاولى .. وكان موسى يحرص على ان يبدو بشكل طبيعي ، فقد توقف مرتين عند بائع سجائر ، وكان يحيي معارفه وهو يمر بهم ، ومعارفه كما اتضح فيما بعد يشكلون نصف سكان المدينة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، وذلك بحكم نشأته وعلاقاته العامة بالذين يمارسون النشاط الاجتماعي والسياسي ..

وفجأة اوقف موسى السيارة عند «كشك» للصحف ونادى على رجل اسمه «ابو جورج» وسأله اذا كان الجماعة موجودين ، واذا كنا نستطيع الذهاب عندهم ، فقال ابو جورج: «لا انصح هذه الليلة فالجماعة مجتمعون،

لماذا لا تذهبوا الى بيت «ابو عطالله» وتستريحون هذه الليلة ؛ «والصباح رباح» ؟ ابتسم ابو جورج ابتسامة العارف بمجاري الامور ، وهي ابتسامة تكاد تكون من «خصائص» ابناء امتنا مهما حاولوا ان يتستروا ويلعبوا الادوار المكتومة المخصصة لهم ، كلنا يعلم ، وكلنا مطلع ؛ وكلنا من صميم الحلقة الضيقة ولذلك لا اسرار ... ذكرتني ابتسامة ابو جورج بتاريخ عشرين سنة عملنها في الحقل العام في الوطن العربي ...

توجهنا الى بيت «ابو عطالله» دون ان نعرف او نسأل حتى من هو ، وكانت عيون الفضوليين تلتهمنا في الشوارع والازقة الضيقة من على الشرفات ومن خلال النوافذ ، دخلنا البيت لتستقبلنا سيدة في الربيع الثاني من شبابها ، كلها حيوية وادب ، وترحب بنا وكأنها تعرفنا منذ أمد ، قدمنا اليها وقدمت لنا باسم الرفيقة «سهام» . وقادتنا الى صالون مسبع وجلست معنا بعض الوقت واستأذنت لتهيء لنا أسباب الراحه ، وفي هذه الاثناء طلب منا «موسى» ان نتصرف بشكل عادي ، «وان لا نتحدث نحن بالذات في السياسة . لان البيت سرعان ما يمتلىء بالاقارب والضيوف ، فاهل الناصرة يحبون السهر «وطق الحنك» ولا بد من سهرة اجتماعية نغطي بها زيارتكم للناصرة ، فانت وصاحبك من رجال الاعمال ؛ ولا داعي لان يعرف القادمون من انتم» .

وبالفعل سرعان ما توافد الجيران ، وجيران الجيران ، من رجال وسيدات ، ويبدو ان السهرات واللقاءات الاجتماعية في البيوت تزداد عند النكبات ، الناس يحبون التجمع في مثل هذه الحالات ، للاستماع وتبادل الآراء ، والتحليل طبعا واستعراض الموقف ...

وهكذا كان وبعد مضي دقائق معدودة فقط على بدء التعارف حتى بدأت النسوة تسأل وتتساءل عما يجري هنا وهناك . قالت احداهن : مسكينة «أم جبران» . وسأل صاحبي عن «ام جبران» فظهرت علامات التعجب على وجوه النسوة . واستغربن جهل صاحبي الذي خيل اليه انه ارتكب جريمة بجهله الفاضح . من لا يعرف قصة «ام جبران» التي ماتت وهي تستمع الى الراديو عندما اعلن عبد الناصر استقالته من الراديو بعد الهزيمة مباشرة ؟ ام جبران التي صرخت من اعماق قلبها «يا ولدي» فتجمعت في صرختها كل آلام وجراح الامة العربية وخيبة املها ؛ فوقعت جثة هامدة بين الناس وبين اهلها واقاربها الذين كانوا يسمعون الانباء .

من لا يعرف ام جبران ؟

كانوا يتحدثون بمرارة ، وهذه ظاهرة تستحق التسجيل ، ولقد جاءت هذه المرارة وخيبة الامل كردة فعل على كبت العشرين سنة الماضية ، وعلى الآمال التي علقوها عندما اعلنت الحرب وبدا القتال . الى حد على حسب زعم النسوة ، ان بعض العائلات اليهودية كانت تطلب الحماية سلفا من معارفها العرب ، وكان السكان العرب على حد زعم النسوة يطمئنون اليهود ويعدونهم بالحماية في حالة وصول جمال عبد الناصر ، لانهم يعرفون ان جمال عبد الناصر وكل العرب لن يذبحوا احدا في حالة انتصارهم دون اضطهاد او اعتداء .

طال الحديث عن الالم وخيبة الامل . واستعرض معظم الحاضرين مختلف احاسيسهم ومشاعرهم التي تصب وتدور في النهاية حول حقيقة واحدة ، ان عرب ما يسمى «باسرائيل» يرفضون الاحتلال البغيض ، وان الدولة المحتلة لم تقدم عبر العشرين سنة الماضية دليلا واحدا تشعر هؤلاء الناس بأنهم ليسوا غرباء في بلادهم . كانوا يشعرون بأنهم مواطنون من الدرجة العاشرة بالرغم من كافة المظاهر والمناورات السطحية التي كانت وسيجدون مخرجا لكل اليهود فيعيشون بين العرب كما عاشوا طيلة حياتهم تمارسها بعض الاحزاب من اجل استقطابهم باسم الدفاع عن مصالحهم وحماية حقوقهم ، كان ثمة ما ينقص كل هؤلاء الناس ، وهو اغلى من كل ما في الارض من كنوز ، وهو الاحساس بالكرامة ، الاحساس بالمواطنية ، الاحساس بأن من حقهم ان يحكموا انفسهم في بلادهم وفي أرضهم ...

ونمنا تلك الليلة على همسات ووساوس هذه المشاعر والاحاسيس ، ولكن ليس قبل ان نسمع الكثير من الرفيقة سهام عن المستقبل والامل ، وضرورة النضال ، والبدء من جديد .. كانت سهام تمثل حالة عقلية ونضالية ارقى من كافة الموجودات والموجودين ، فهي ابنة سجون اسرائيل ومعتقلاتها ، وتشكل صمام امان في قلب المجتمع النسائي الفلسطيني في ظل الاحتلال .

١٢ تشرين اول ١٩٦٧ :

دق جرس الباب صباح هذا اليوم ليدخل «ابو جورج» ونحن نتناول قهوتنا مع موسى وسهام في انتظار اخبار الجماعة، وبالفعل صاح ابو جورج

بلهجة العارف : «الجماعة ينتظرونكم في البيت المجاور للمكتب» . نهضت سهام وطلبت الينا ان نتبعها ، ومرة اخرى سرنا في الشوارع الضيقة الى الشارع العام ، حيث ركبنا سيارة الاخ موسى وانطلقنا الى الجماعة ...

كان الصالون الذي دخلنا اليه يضم بعض قياديي الحزب الشيوعي في (اسرائيل) وبالذات العناصر التي تقود «الراكاح» وهو النصف المنشق نهائيا عن «الماكي» اسم الحزب الشيوعي قبل الانشقاق عام ١٩٦٥ ، والذي ما زال قادته يحتفظون له بنفس الاسم . كان الصالون يضم من قيادة «الراكاح» توفيق طوبي واميل حبيبي وسليم القاسم ومنعم جرجورة وتوفيق زياد وبعض الاخرين .

كانت هي المرة الاولى التي نلتقي فيها ببعض هذه الاسماء التي لمعت وعرفت عبر العشرين سنة الماضية في الوطن العربي ، هذه الاسماء التي كانت موضع اللعنة والنقمة عند الكثيرين من الفلسطينيين بسبب موقف الحزب عام ١٩٤٧ من التقسيم ، ومع مرور الزمن وعبر نضالهم الشاق ضد الصهيونية والحكم المحتل ، اصبح لهم تقديرهم واحترامهم في كثير من الاوساط الفلسطينية والعربية التي قدرت لهم مجموعة مواقفهم كما قدرت المظلة الواقية التي شكلها الحزب الشيوعي للفلسطينيين العرب في ظل الاحتلال .

كانت هذه الطليعة الصلبة ، بالرغم من خلافنا معها في صلب المشكلة واسلوب حلها وعلاجها تمثل هي ومن حولها قمة التحدي للحكم الاسرائيلي لاسيما بين عام ١٩٥٥ – ١٩٥٨ ، وهي الاعوام التي ارتفعت فيها موجة المد القومي في المنطقة العربية والتي رافقها التأييد السوفياتي الاممي بالمشاركة والممارسة استفاد هذا الحزب من شرعيته وانطلق يعارض الحكم بمختلف الوسائل ، وكان في كل الحالات والمراحل اكثر الاحزاب في (اسرائيل) قدرة على استقطاب الجماهير العربية هناك التي كانت بعضها تنضوي تحت رايته ايمانا بعقيدته في بعض الحالات ، واتقاء للخطر الصهيوني ومن أجل ايجاد الوسيلة للنضال والتعبير في حالات اخرى .

قال توفيق طوبي وهو من رواد الحزب الاوائل ومنظريه : «لقد ناضل الحزب تحت أسوأ الظروف في العشرين سنة الماضية ، ولقد تحكمت فينا عدة ظروف داخلية وخارجية ، استطعنا ان نتجاوزها دائما واصبحنا وحدنا المعبرين عن آمال الجماهير العربية كلها في ظل الاحتلال ، وعن آمال بعض الجماهير اليهودية التي تطمع بالسلام ، ولقد رفعنا كل الشعارات التي

نعتقد انه من الممكن رفعها بما فيها حق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره ، وسنتابع النضال رغم الهزيمة التي منيت بها الانظمة العربية وعلينا جميعا ان نزيل هذا العدوان قبل ان يتكرس» .

سأله صاحبي : الا تعتقد انها فرصة لطرح القضية من جذورها من جديد ، على ضوء تجربتكم في الاحتلال وعلى ضوء هذه الهزيمة التي منينا بها جميعا ؟ فنحن كما تعلم ننظر للقضية من زاوية اخرى بالرغم من فهمنا واستيعابنا للواقع الحالي الذي نمر به » .

قال توفيق طوبي : لقد كانت تجربتنا مرة في ظل الدولة الاسرائيلية . وسنناضل طويلا من اجل تحقيق برنامجنا الديموقراطي في ظلها ؛ فالقوى الرجعية اليمينية العسكرية المتحكمة مدعومة بالامبريالية الاميركية . ونحن كما نلم لنا منهج ودليل عمل . وبغض النظر عن كل ما حدث في المنطقة فلسنا نرى ان هناك مجالا الان لاعادة النظر في صلب القضية كما تطرحون؛ ولكننا تخلصنا من شيء رهيب كان يتعل على صدورنا وهو الجناح المنشق «الماكي» من الحزب الشيوعي والذي ثبت بأنه عنصري وفاشي ويلتقي في التحليل النهائي مع الاحزاب العنصرية الصهيونية في اسرائيل» .

سألته بالتفصيل عن أسباب الانشقاق الذي تجسد عمليا عام ١٩٦٥ فقال :

«لقد حدث الانقسام بين الاعضاء اليهود انفسهم . وذلك بتأثير وضغط العقيدة الصهيونية عليهم . كما ان النزاع الاسرائيلي العربي واستمراره ادى الى مزيد من التناقض في النظرة الى طبيعة المشكلة . لاسيما وان «الماكي» اراد ان يبني حزبا شيوعيا اسرائيليا يؤيد الاوساط الحاكمة ويحرض على الاتحاد السوفياتي باسم الشيوعية . نحن نقول ان التناقض الرئيسي هو بين الاستعمار وبين الشعوب ، ولكنهم في مؤتمرهم الذي عقدوه في آب ١٩٦٥ طمسوا التناقضات الرئيسية وخلطوا بين مختلف التناقضات في العالم والمنطقة ، ووصلوا الى مقولة تزعم بأن التناقض الرئيسي هو بين «القومية اليهودية» والقومية العربية ، ونحن كما تعلم لا نعترف بالقومية اليهودية لاننا ماركسيون حقيقيون . لقد حول جماعة «ماكي» نضال الحزب من محاولة لتغيير سياسة اسرائيل الى النضال ضد البلدان العربية ، وبالتالي التوسع والحرب وقد جاء الخامس من حزيران ليفضحهم لانهم لم يرفعوا شعار انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة بل تكلموا عن سياسة اخضاع العرب من منطق القوة» . . .

وهنا سكت توفيق طوبي ، ليتابع النائب اميل حبيبي الكلام فيقول : «لقد انفتحنا على الجماهير العربية هنا وساعدناها وحميناها واصبحت هي الدرع الواقي لنضالنا ؛ ولن ننسى في عيد العمال يوم اول ايار عندما انطلقت الجماهير الفلسطينية العربية تهدر متحدية السلطة التي حاولت ان تمنع مسيرتها ، فاشتبكت معها في قتال استمر طول النهار وقع فيه عشرات بل مئات الجرحى ، ولم تكن كل هذه الجماهير شيوعية ؛ ولذلك كان لا بد من التنسيق مع قياداتها الجديدة واقامة «الجبهة العربية» في اسرائيل» .

وتابع اميل حبيبي كلامه قائلا : « لقد حاول العرب في اول الاحتلال اقامة تنظيمات عربية مستقلة ولكن لم يكتب لها النجاح ؛ فلم تكن السلطات تسمح بقيام اي تنظيم عربي يستهدف تنظيم العرب في حزب مستقل قد ينقلب عليها في كل وقت ، كما ان القيادات التي تحركت لم تكن تتمتع بالسوية الثورية التي تسمح لها بالقيادة في مثل هذه الظروف الصعبة . فقد حاول عربي من يافا يدعى ابراهيم ابو لبن وفشل ؛ كما حاول مواطن عربي يدعى داوود خوري من قرية المجيدل ففشل ؛ وحاول نقولا سابا من الناصرة وفشل ؛ وحاول المحامي محمد نمر الهواري رئيس حزب النجادة سابقا في فلسطين وفشل ؛ وحاول اخيرا عام ١٩٥٥ المحامي الياس كوسا فلم تكتب لمحاولته النجاح» .

واستطرد يقول : « لكن الاوضاع كانت قد بدأت تتغير ؛ وازداد النفس العربي باسرائيل بازدياد النفس القومي في الخارج ، واصبح يحس العرب انه لا بد ان يكون لهم تنظيماتهم الخاصة بعيدة عن التنظيمات والمؤسسات التي كانت تتبع حزب «المابام» و «الماباي» التي — وخاصة مع الحزب الاخير — كانت عميلة له بالضرورة » .

لقد اضطر الكثيرون من العرب ان يتعاونوا — كما اسلفنا — مع الحزب الشيوعي في اسرائيل ؛ فيحضرون مؤتمراتهم وندواتهم للاسهام معهم في منع الاضطهاد عن العرب . وكان من ابرز هذه الشخصيات غير الشيوعية . منصور كردوشي وطاهر الفاهوم والدكتور يوسف حداد ؛ ويني يني رئيس بلدية «كفريا سيف» ؛ وجبور جبور رئيس بلدية «شفا عمرو» وخالد عون الله ، ونور الدين العباسي وحبيب قهوجي والشيخ جمال الدين السعدي ومحمود السروجي والقس رفيق فرح وغيرهم وغيرهم وغيرهم . وقد تمخضت هذه الاجتماعات عن اقامة تنظيم عربي لمتابعة النضال بشتى الميادين ؛ وكانت الظروف ناضجة ومهيأة لمثل هذا العمل . وهكذا تألفت

لجنة تحضيرية من شكري الخازن رئيس المدرسة الارثوذكسية بحيفا ، والشاعر حبيب قهوجي لارسال الدعوات الى مختلف الشخصيات العربية . وبالفعل اجتمع نفر غير قليل من هذه الشخصيات الوطنية وتم الاتفاق ان تشكل الجبهة من العناصر القومية الوطنية مع الحزب الشيوعي ما دامت الاهداف المرحلية واحدة . وقد تم ذلك بعد نقاش طويل حدد فيه برنامج الجبهة العربية وصدر عنها بيان يعبر عن اهدافها ؛ عام ١٩٥٨ .

في المذكرات المقبلة نستعرض الخلاف في «الجبهة العربية» داخل اسرائيل بعد استعراض النشاط الذي أدته . ثم نتطرق الى الحديث عن حركة الارض التي تحدث عنها الاسير الفلسطيني في ظل الاحتلال .

العدد السابع
٩ آب ١٩٧٢



الجبهة العربية
في احاديث مع قادتها

١٤ تشرين اول ١٩٦٧ :

بعد مرور ثلاثة ايام على وجودنا في الناصرة ولقاءاتنا المتعددة مع كثير من الاطراف والمواطنين من مختلف النزعات والاتجاهات ، قررنا السفر الى حيفا مع مرافقنا الجديد «صالح» بعد ان وعدنا عناصر عربية من حزب «المابام» ان نعود فنلتقي بها في مناسبة اخرى في الناصرة او في غيرها ، لان هؤلاء الشباب العرب الذين ولدوا وترعرعوا في ظل الاحتلال وانخرط بعضهم في الاحزاب الاسرائيلية التي تنادي بالتعايش باسم التقدمية واليسار ؛ كانوا قد بدأوا يكتشفون كل الحقيقة مع الزمن ، وكانوا يرغبون بالمزيد من الحوار والحديث معنا ، وعدناهم ان نعود وحددنا معهم المواعيد.

كان «صالح» من العناصر العربية المستقلة التي تناضل من اجل اقامة التنظيم العربي الذي فشلت كافة المحاولات لاقامته في ظل الظروف القاسية تحت الحكم الاسرائيلي ، ولكن هذه العناصر قد بدات تنشط مع مرور السنين وبدأ يشتد ساعدها بنمو حركة التحرر العربي في الخارج

في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات ، وكانت هذه العناصر تبحث عن الاساليب والصيغ لتتمكن من ممارسة نشاطها الوطني في الظروف السيئة العصيبة للاحتلال . وكانت آخر هذه الصيغ التي توصلت لهـــا الفئات القومية ان تدخل في جبهة واحدة مع الحزب الشيوعي المرخص والمعترف به رسميا من الدولة ، لاسيما وان الحزب الشيوعي كان يطرح الشعارات الوطنية في تلك المرحلة والتي كان يمكن اللقاء بها معهم في برنامج مرحلي «يسهل لهم مهامهم ونضالهم» على حد تعبير مرافقنا الجديد الاخ صالح .

كانت السيارة تتجه نحو حيفا و«صالح» يحدثنا عن هذه المرحلـــــة ويستفيض في الحديث ، لاسيما ومدينة حيفا بالذات كانت المركز الرئيسي «للجبهة العربية» التي ضمت التحالف الشيوعى العربي لمدة تزيد على العام وصل فيها النضال السياسي في اسرائيل الى ذروته . أخبرنا صالح بأنه سيجمعنا الى عدد من هذه الشخصيات والعناصر العربيـــــة المناضلة ، انستمع الى قصة قيام «الجبهة العربية» والعوامل التي ادت الى الانشقاق الذي وقع في صفوفها وما نشأ عن هذا الانشقاق . .

كانت السيارة تمر من خلال قرى ومستوطنات يهودية جديدة عديدة، ولم يكن في بالنا ان نتوقف عند اية من هذه المستوطنات لضيق الوقت ؛ ولاننا لم نكن قد اتخذنا اية تدابير لمثل هذه الزيارة اذا كان لا بد منها ؛ ومع ذلك فقد شاء القدر ان نمر بتجربة بسيطة كانت ذات فائدة لنا ، فهنـــاك وقرب المستوطنة «س» طرأ عطل على السيارة ولم نكن نبعد عن احـــــدى محطات البنزين كثيرا ، فوصلنا الى المحطة مشيا ، وكانت المحطة عبارة عن مطعم ومقهى . في نفس الوقت . دخلنا الى المقهى ريثما يحاول صالح ان يستعين بأحد لاصلاح العطل ، وما كدنا نأخذ اماكننا على المائدة حتى رأينا صالح يعود لنا ويقدم لنا احد اقاربه الذين يعملون في المستوطنـــــة «س» والذي كان يمر بشاحنته على محطة البنزين .

ببساطة قال لنا «انطون» وهو قريب «صالح» انه عضو في حــــزب المابام ويسمح لهم احيانا بالعمل في «الكيبوتزات» وفي «النحاليم» احيانا كعمال واجراء . قال انطون : «انه محظوظ لانه يعمل كمساعـــد لرئيس العمال ، وقد استطاع ان يدبر نفسه لانه على حسب تعبـــيره يريد ان يعيش» .

دعانا انطون لدخول المستوطنة على مسؤوليته ، وقال يمكنكم التعرف عليها بحدود المعقول وسأعرفكم على بعض المعارف من الذين يعملون معنا

او نعمل معهم ، فاسمعوا اكثر مما تتكلمون . عاد صالح لاصلاح السيارة، وركبت انا وصديقي «ع» الشاحنة الى جانبه ودخلنا المستعمرة .. كانت الاشجار مزروعة على جوانب الطريق الطويل الذي يقودنا الى المستوطنة ، وبدا انطون يلخص لنا المستوطنة بقوله : «هذا القسم الشمالي كله مزارع وبيارات صغيرة الفاكهة ولمختلف انواع الخضار ، اما القسم الجنوبي ، فهو عبارة عن مصانع صغيرة لمختلف انواع الحرف التي يستهلك معظمها في الداخل والتي يقوم بصنعها ابناء المستوطنات انفسهم ، ومثل هذه المصانع الصغيرة موجودة في كافة انحاء المستوطنات التي يحاول الحكم ان يوفر فيها كل انواع العمل ليشد الناس اليها ، ويحول دون اكتظاظهم وبقائهم في المدن وقد نجحت الخطة الى حد بعيد» .

وفي مكتب احد المسؤولين في المستوطنة من الذين يعمل معهم الاخ انطون وبعد ان قدمنا له كأقارب من الضفة الغربية ، قال لنا «روبين» وهو من المسؤولين في حزب المابام : «اننا نرحب بكم ، ونؤكد لكم دعوتنا للسلام ؛ وان اخوانكم العرب يعملون معنا» ودعانا لزيارة بعض الاقسام في المزارع والمصانع الصغيرة ... رحبنا بالدعوة ؛ ومشينا الى جانبه ، وكنت حريصا ان الاحظ وجوه العاملين وردة فعلهم على زيارتنا .

لم يبتسم وجه «للضيوف الكرام» الذين هم نحن اثناء الطواف على هذه المصانع والمزارع ؛ كان روبين يقدمنا الى مدراء الاقسام ، وكان العمال يلتفتون قليلا ، يسمعون حديثنا بالعربية ؛ وكان الاستهجان والكراهية والرفض هي الانفعالات الاولى التي تبدو على ملامحهم قبل ان يديروا وجوههم لمتابعة العمل ..

ونادى روبين اثنين من العمال العرب؛ وسألهم ان كانوا سعداء بالعمل، وان كانت حقوقهم مؤمنة لهم ؟ وعندما نظر العمال نحوه ليجيبوا على سؤاله بالايجاب ؛ كانت هناك الف صرخة وصرخة مكتومة تنطلق من حناجرهم لتقول : كلا كلا نحن عبيد اجراء غرباء لا مكان لنا بينكم ، نعمل حتى لا نموت جوعا .. كان حول شفاههم اكثر من نداء مكبوت يقول لنا انقذونا ! انقذونا !! تذكرت كيف كنا نشعر ونحن في سجون بعض الدول العربية في الماضي ، وعندما كان يزورنا بعض الاقارب كيف كنا نخاف او نخجل من طلب المساعدة والانقاذ فكان النداء يرتسم على الوجوه والعيون.. كان العمال العرب في المستوطنات في سجون كبيرة لا علاقة لهم بما يجري ولا يعرفون ماذا يدور فيها ...

اوضح لنا انطون الذي اخبرنا ونحن نغادر المستوطنة ، ان مثل هذه المستوطنات هي عبارة عن ثكنات عسكرية لصنع الانسان اليهودي الجديد وتربيته وتعبئته على كراهية العرب الدخلاء والاستعداد دوما لابادتهم ؛ وطردهم من ارض اسرائيل ، وقد فسر لنا هذا النظرات الحاقدة التي كانت توجه لنا بشكل خاص من الصغار منهم الذين يتدربون على كراهية العرب وعلى حمل السلاح في وقت واحد بدون انقطاع او توقف ، وحيث يوجه لهم اعلام خاص وثقافة خاصة في كل يوم ، ان هذه المستوطنات وخاصة ما يكون منها اقرب الى الحدود (النحاليم) هي بالفعل معاقل الصهيونية الحاقدة التي تعمل على النفَس الطويل لتحقيق الحلم الصهيوني المريض للسيطرة على الوطن العربي ان لم يكن على العالم .. معظم هؤلاء الصغار ابناء اليهود العرب الذين خرجوا من البلاد العربية الى اسرائيل...

في حيفا استضافنا اصدقاء صالح واقمنا عندهم طيلة فترة ما بعد الظهر ، ونحن نحاول الاتصال ببعض المسؤولين في الجبهة العربية لنتعرف بهم ونستمع اليهم ، فلم يسعفنا الحظ في اليوم الاول لوجود بعض الاسماء التي يهمنا ان نلتقي بها خارج المدينة .. وقد وعدنا ان نراهم في اليوم الثاني او الثالث ، واقترح صالح ان يقوم بنا في جولة ضمن المدينة ومن ثم الى خارجها واقترح مدينة عكا وبلدة ناثانيا بالذات ، وافقنا على برامجه وتحركنا في مدينة حيفا ومعنا صديقان آخران ، امراة ورجل .

لم تصدمني حيفا مثلما صدمتني مدينة يافا او الرملة ، حتى الاحياء العربية كانت تبدو فيها امارات الحياة والحركة ، اذا ما قارناها بالمدن الاخرى السابقة ، ومع انه من الصعب الفصل كثيرا بين الاحياء العربية واليهودية في حيفا ، الا انه من الواضح ان «الجيتو» العربي كان منطويا على نفسه لا تقارن فيه الحياة الى مثيلتها الصاخبة في مرتفعات جبل الكرمل الذي حوله الصهاينة الى وكر من أوكان المتعة العريضة للسواح وغير السواح من الراغبين ليلا نهارا .

وفي مدينة عكا التي تضم حوالي التسعة آلاف عربي ، حيث تشتد وطأة الارهاب والاستفزازات ضد المواطنين العرب ، لاسيما بعد الخامس من حزيران ، ومن خلال الضابط الاسرائيلي «بن يستحاق» كان لا بد لنا من وقفة في هذ المدينة الباسلة التي يعيش سكانها في أوضاع سكنية سيئة للغاية حيث تنام الكثير من العائلات في بنايات مهددة في كل لحظة بالسقوط .

وفي بيت عضو البلدية العربي رمزي الخوري حدثنا كيف بدأت تخرج اسرائيل عن تحفظها وتستهتر بكل شيء ، حتى انهم في عيد الاستقلال بمرور عشرين عاما على احتلال مدينة عكا ، جرت الاستعراضات تحت شعار «عشرون سنة على تحرير عكا» مما جعل عضو البلدية رمزي الخوري يصرخ في وجه احد الخطباء : «ممن حررتم عكا ؟ ان هذا الشعار يمس شعور العرب» . فأجابه نائب رئيس البلدية الاسرائيلي وهو من حزب المابام : «حررناها من الانكليز» فقال العضو العربي : «لم يكن هناك انكليزي واحد في عكا لدى احتلالها» فتدخل عضو المجلس الاسرائيلي ، واسمه «يختر» وقال «انت تعرف لماذا النقاش . لقد حررت من العرب» .. وهكذا فقد سمعنا في هذه المدينة الصامدة الكثير من الاخبار وعرفنا الكثير من الاسرار حول اضطهاد الاسرائيليين للعرب وسوء معاملتهم .

وفي مدينة «ناتانيا» الاسرائيلية ، وعلى شط البحر ، في المقهى الواسع حيث جلسنا لنتناول قدحا من القهوة ونتفرج عليهم وهم يروحون ويجيئون، حدثت مفاجأة اخرى لصديقي «ع» الذي كثرت مفاجآته في هذه الرحلة العجيبة الى ارض الآباء والاجداد العرب : فبينما كنا نجلس والصمت يكاد يخيم علينا اذ برجل ومعه سيدتان يتقدمان نحونا بثياب الاستحمام ويقتربان من صديقي «ع» ويهتفان باسمه في حرارة بالغة . كان السيد «هرزغ» زميلا لصاحبنا «ع» في مدرسة الحقوق في القدس وكانت ترافقه زوجته وشقيقته وهي زميلة صاحبنا ايضا في مدرسة الحقوق .. جلسا بدون استئذان ، وبدا حديث «السلامات» التقليدي والتاريخ الشخصي المنقطع.

قال «هرزغ» لصاحبي : «ماذا فعلت في العشرين سنة الماضية» ؟ قال صاحبي «تخرجت من كلية الحقوق ، ودخلت حزبا عربيا ، وسجنت عدة مرات ولم اتزوج» (وهنا نظر الى سارد نظرة غريبة فهمتها فيما بعد) واستطرد صاحبي حديثه قائلا : ومن ثم حصلت الحرب وها نحن في بلادنا . كان من الواضح ان السخرية تختلط بالجد في حديث صاحبي ، وان هناك مودة حقيقية تجمع بينه وبين أفراد هذه العائلة ..

قال «هرزغ» : اما انا فلم احصل على شهادة الحقوق ، لقد انضممت الى الجيش عام ١٩٤٨ ، وقاتلت في عام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ ، وأنا املك اليوم مصنعا ودار سينما مع أفراد عائلتي وفي السنة الواحدة استنفر في حدود المائة الى المائة والخمسين يوما ، وأنا اعرف انك متألم من الهزيمة ولن ادخل معك في التفاصيل ، ولكننا باختصار كما كنت اقول لك في

الماضي هذه بلادنا تاريخيا ولقد استعدناها» . وراح يذكر صاحبي «ع» بالحوار الطويل والجدل الذي كان يجري بينهما في الماضي ... استأذن صاحبي بالانصراف ولم يتكلم شيئا ، وسرنا وراءه الى السيارة في شبه جنازة ..

وفي الطريق الى حيفا قال: «هل تعلم ان شقيقة هذا «الكلب»الاسرائيلي كادت تكون زوجتي ، لقد كانت حبي الاول المراهق وأنا في القدس ولم يكونوا متعصبين بهذا الشكل رغم كل ما قاله» .

قلت له : كيف تشعر الان ؟ قال : «بالرغم من ان الموضوع طوته السنون والايام لا اخفيك انني فوجئت برؤيتها ، ولكن الحب حالة عقلية ونفسية ، فلم اشعر حتى بصداقتها ، ولا يمكن ان اجدد هذه الصداقة مع انني شعرت انها كانت تعرضها عليّ من جديد» ...

١٥ تشرين أول ١٩٦٧ :

في صباح هذا اليوم قادنا مرافقنا «صالح» الى منزل في مدينة حيفا حيث اجتمعنا مع بعض المناضلين العرب من الذين اسهموا في بناء الجبهة العربية بالتعاون مع الحزب الشيوعي في اسرائيل ، كان الهدف من هذا اللقاء المزيد من الفهم والاستقصاء حول المحاولات العربية داخل اسرائيل في العشرين سنة الماضية ، للنضال ورفع الضيم والاضطهاد عن العرب هناك ، العرب الذين اصبحوا بين ليلة وضحاها الاقلية بعد ان كانوا اصحاب البلاد ، أبا عن جد .

استقبلنا في المنزل مجموعة من الاخوة العرب نذكر منهم منصور كردوش ، وشكري الخازن ، وحبيب قهوجي ، وهاني الفاهوم ، والدكتور عطاالله شيبان ومحمود السروجي وغيرهم .

كانت جلسة هامة ومفيدة ، تخللتها احاديث صريحة للغاية بالرغم من مرور السنوات الطويلة على قيام الجبهة وانفصال قطبي الرحى فيها وهما: الفئات القومية والحزب الشيوعي في اسرائيل الذي عاد وانشق هو بدوره كما أسلفنا سابقا .

اضطلعنا في هذا الاجتماع على دستور الجبهة لاول مرة، وعلى مجموعة البيانات والقرارات التي أقرها المؤتمر الذي عقدته في كل من عكا والناصرة

لتفوت على السلطات فرصة التخريب على المؤتمر الذي استعرض بشجاعة فائقة وضع السكان العرب بعد مضي عشر سنوات على حكم الاحتلال البغيض الذي لا تزال فيه الاحكام العسكرية مفروضة على حوالي مائتي الف عربي ، كما اعلن المؤتمر بدعوة من اللجنة التحضيرية اقامة «الجبهة العربية» تعمل في سبيل تحقيق الحقوق المشروعة للمواطنين العرب ، واطلاق سراح المعتقلين ، واعادة المنفيين والغاء الحكم العسكري واعادة القرويين الى قراهم ووقف سلب الاراضي وارجاع الاراضي المصادرة الى اصحابها واعادة اللاجئين الى اوطانهم ، كأداة لتوثيق التفاهم بين الشعبين وتقريب موعد حلول السلام في المنطقة .

وهنا انبرى الاخ حنا مسمار وهو مناضل متقدم في السن ليقول : «كنا نعرف سلفا ان الصهاينة لا يمكن ان يقبلوا بالتفاهم بين الشعبين ، او تحقيق الشعارات التي طرحناها ، ولكن نزولا عند راي اخواننا في الحزب الشيوعي الذين كانوا يناضلون بصدق وافقنا على البرنامج والشعارات التي طرحت ، وها قد جاءت الايام لتثبت ان الصهاينة كذبة ، لا يمكن الاطمئنان لهم ولن يتوقفوا عن سياستهم التوسعية» .

وتحدث هنا السيد شكري الخازن عن محاولتهم لتقديم طلب الى حاكم اللواء بموجب قانون الجمعيات العثمانية ، ففشلت المحاولة ، فغيروا الاسم الى «الجبهة الشعبية الديموقراطية» فلم تتسلم ردا من حاكم اللواء ، ولكن الجبهة مارست اعمالها واصدرت نشرة تحمل اسم الجبهة، وبدات الجماهير العربية تلتف من حولها ، وتشعر بأن لها قيادة عربية للمرة الاولى ، وانطلقت الجبهة تقيم لها الفروع في حيفا والناصرة وعكا ، وكفرياسيف والرملة واللد ، والبعنة والطيبة وعرابة وغيرها من المدن والقرى .

كانت الجبهة تستفيد من شرعية الحزب الشيوعي وصحفه ومطابعه ، وكان الحزب الشيوعي يستفيد من القاعدة العريضة للجبهة في صفوف العرب هناك ، وكان يساعد على كل ذلك بالطبع العلاقات بين الحزب الشيوعي وحركة التحرر العربي من جهة ، وبين حركة التحرر العربي والاتحاد السوفياتي من جهة اخرى .

واضاف حبيب قهوجي ، «لقد تحركت الجبهة وفرضت وجودها لمدة عام واحد ، ولم يكن من السهل على السلطات ان تواجهها بالضرب العلني ضمن كل الاوضاع الذاتية والعربية والدولية الموجودة ، ولكن هذا الوضع لم يستمر اكثر من عام واحد ، فقد بدات الغيوم تشوب حركة التحرر

العربية لقيادة عبد الناصر والاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية . ففي اواخر عام ١٩٥٨ في بور سعيد هاجم عبد الناصر الشيوعيين وتبعهم عام ١٩٥٩ بخطاب آخر هاجم فيه عبد الكريم قاسم وحلفاءه الشيوعيين في المنطقة » .

كان الجناح القومي قد برز في الجبهة ولم يكن هناك مناص من الخلاف، فقد وقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى جانب قاسم ، وجرت عدة محاولات لانقاذ الموقف ومنع الشيوعيين من الهجوم على عبد الناصر فلم تنجح لان الاحزاب الشيوعية في الخارج كانت في نظر التميوعيين في اسرائيل تتعرض لهجوم كبير ولا يمكنهم الا التضامن معها ، وكان امام العناصر القومية ان تستسلم امام هذا المنطق فتفقد جماهيرها ، او ان تندفع الى الاحزاب الاخرى ، يأسا فتفقد هويتها وكلا الامرين يشكل خطرا على طموح ومستقبل الحركة القومية الصاعدة هناك .. ولذلك كان لا بد من الانشقاق .

في المذكرات المقبلة نذكر نشوء حركة الارض ونضالها في الوطن المحتل .

العدد الثامن

١٦ آب ١٩٧٢



كنا نفكر بالنضال السلبي .. ولكن الجماهير سبقتنا :
لقد انطلق الكفاح المسلح

١٧ تشرين اول ١٩٦٧ :

كنا في انتظار ان يجتمع شمل بعض العناصر القومية المبعثرة هنا وهناك في مدن وقرى فلسطين المحتلة ، وشجون الوطن بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بأمتنا ، عندما دخل «صالح» مرافقنا الشاب في رحلتنا المفيدة والناجحة حتى الان ، دخل صالح ليخبرنا ان ثمة رجلا عربيا من اصدقائه يدعى «عامر» وصل من مدينة نابلس يحمل رسالة خاصة لصاحبي «ع» ويصر على رؤيته .

استغربنا لمعرفته بوجود صاحبي «ع» في مدينة حيفا ، وساورتنا

الشكوك ، ورفضنا في بادىء الامر ان نراه ، ولكن سرعان ما اكد لنا الاخ «زكي» بأن هذا الاسم معروف لديه ولا مانع من رؤيته ، وكان «زكي» هذا احد الشباب العربي الذين عاشوا في ظل الاحتلال ومن الذين اسهموا في انشاء «حركة الارض» التي سيجيء الحديث عنها فيما بعد .

التقينا «بعامر» الذي اكد لصدقي ضرورة عودته لمدينة نابلس للقاء «ابو عاصم» الذي يحمل له رسالة خاصة من «محمد رؤوف» الذي مضى على خروجه حوالي الشهرين من الضفة الغربية بعد ان خاض عدة معارك مسلحة ضد العدو الصهيوني استدعته على اثرها القيادة لترتيب أوضاعها في الخارج والتهيئة للانطلاقة من جديد ..

كانت هي المرة الاولى التي اسمع فيها بوجود التنظيم المسلح داخل الوطن المحتل ، ولم اكن اعرف ان لصاحبي «ع» مثل هذه الارتباطات ، لاننا كنا ندعو حتى الان كما سيظهر في المستقبل الى الكفاح السلبي المنظم ، ايمانا بفعاليته وجدواه في تلك المرحلة ، ولذلك فقد اظهرت استيائي من صاحبي «ع» الذي يعمل من وراء ظهري ، كما ثبت لي بأنه عضو في تنظيم يعمل منذ ١٩٦٥ في الخارج والداخل ..

وفي الطريق الى القدس قال لي صاحبي «ع» كل شيء عن التنظيم العسكري بعد ان استمعنا الى تقرير من الاخ «عامر» عن سلسلة العمليات العسكرية التي ستخوضها المقاومة المسلحة في الارض المحتلة ، ووجدت نفسي امام الامر الواقع اتحدث واناقش بعض وجهات النظر حول الموضوع، وللحقيقة فقد كنت اميل الى التريث والاستعداد ، وخاصة فقد كنت المس وأحاول تفهم نفسية الشعب بعد الاحتلال مباشرة وردود الفعل المختلفة للعنف الثوري الذي كان العدو يقابله بالسحق والذبح ، وكنت افضل ان ننظم البلاد للمقاومة السلبية كما نصحنا بعض اصدقائنا التقدميين من ابناء الارض المحتلة ، ثم نعود الى تصعيد الكفاح بالسلاح ..

ولكن يبدو انه لم يكن لي الخيار في اخذ القرار حول هذا الامر ، فقد بدات الممارسة منذ زمن وهي في طريقها الى التصعيد، وكأنما جاءت الاقدار لتقنعني بالواقع فقد اوقفت سيارتنا بين مدينة القدس ورام الله ، قرب بلدة قلنديا ، وتعرض رتل من السيارات لعملية تفتيش قاسية على اثر تفجير «لغم» في الطريق المؤدي للمطار واطلاق النار على دورية اسرائيلية مساء تلك الليلة .

كانت عملية التفتيش مزرية ومذلة ورهيبة معا ، ولم اكن بعد مهيأ

لمواجهة مثل هذه الحالة ، وربما كنت وجدت الامر ايسر علي لو لم اكن مع من انا معهم من رجال الكفاح المسلح ، الذين كانت اعصابهم باردة وهادئة ، ادركت في هذه اللحظة قيمة الاستعداد والتهيئة والتعبئة النفسية لمن يريد ان يسهم في هذه الامور ، ولا انسى حتى الان معنى هذا الفهم لضرورة التدريب والتعبئة العسكرية والنفسية منها ، وهكذا طلبت من صديقي «ع» ان ينزلني مدينة رام ـ الله ، ويستأنف رحلته الى نابلس ليتصل بمندوب محمد رؤوف على ان اتولى انا مع بقية الاخوان في القطاع المحتل تنظيم المقاومة السلبية ودراسة كل جوانبها مع اخواننا عرب الارض المحتلة ، وكان لا بد من فهم ودراسة كافة المحاولات التي جرت في الماضي لاسيما تجربة «حركة الارض» التي كنا قد رأينا بعض اعضائها وتعرفنا عليهم وتواعدنا على اللقاء في حيفا .

١٩ تشرين اول ١٩٦٧ :

في مدينة رام ـ الله التي لم أغب عنها اكثر من اسبوعين متنقلا في ارجاء فلسطين المعرفة والدراسة ، لمست بعض التغييرات البسيطة ذات المدلولات الكبيرة في قلب المجتمع الحساس الذي يعج بالمثقفين من اطباء ومحامين وصيادلة ، وكلهم بدون استثناء عمل في الحقل العام بصيغة او بأخرى ، وما زال قادرا على التأثير سلبا او ايجابا في المواطنين الذين كانوا يرفضون الاحتلال بأغلبيتهم الساحقة ، باستثناء بعض العملاء المعروفين في كل عهد ، وبعض المرتزقة الذين كانوا يحاولون الانتفاع بالاحتلال .

زرت تجمعات اخواني المثقفين ، فوجدتهم قد قطعوا شوطا بعيدا في تنظيم المقاومة السلبية على امتداد مدن وبلدان الضفة الغربية ، كانت هناك عدة محاولات مخلصة لاعطاء عملهم طابع السرية، ولكن هذه المحاولات ذهبت ادراج الرياح ، فلقد كثرت الاعتداءات والتجاوزات الاسرائيلية مما كان يدعو الى عقد سلسلة من الاجتماعات المكشوفة في رام ـ الله ، والقدس ، ونابلس ، وطولكرم ، والخليل ، وبيت لحم وغيرها وغيرها من المدن . كانت هناك قضايا التعليم ومحاولة اسرائيل تغيير البرامج الدراسية والمناهج العربية للصفوف الابتدائية والثانوية ، وكانت هناك الاجراءات المتتابعة لمصادرة الاملاك ، بحجة قانون الغائبين وغيرها من القضايا التي تكشف نوايا

الصهيونية في السيطرة على البلاد وتهويدها . امام كل هذه القضايا لم يكن من السهل المحافظة على سرية العمل لاسيما لانه كان لا بد ان تتصـــدى العناصر القيادية المتوفرة في الضفة الغربية للكفاح ضد هذه المحاولات .

وقد ترك الصهاينة المدى لهذه العناصر وتحملوا تحركها في بادىء الامر ، لمراقبتها وكشفها ومعرفة مدى نفوذها وتأثيرها في الاوساط الشعبية قبل ان تبدأ عملية المطاردة والنفي والسجن داخل اسرائيل للبعض ، ثم الابعاد عبر الجسر للبعض الاخر .. «وسيأتي الحديث في هذه المذكرات عن تجربة المقاومة السلبية وكيف اخمدت من قبل السلطات» .

شيء آخر لمسته في المدينة هو الحديث عن حركـــة الكفاح المسلح ، واهميتها وضرورة تصعيدها ، والقناعة بان هؤلاء الكلاب لن يخرجوا الا اذا دخلنا معهم في معارك مسلحة وقاتلناهم ..

وكانت تكثر الاحاديث والاشاعات عن عمليات متفرقة تحدث هنا وهناك ، مما اصبحت تقلق اسرائيل ، فترد عليها بالبطش والسحق وهدم البيوت ، والسجن بالعشرات لكل من يشتبه بهم ، ومن بعض الاخبار التي تناقلهـــا الناس في المدينة في تلك الايام ، ان الجيش طوق منطقة في البلدة القديمة في مدينة رام الله بحثا عن «العناصر المخربة» كما كان وما زال يسميهـــا العدو ، فدخلوا الى غرفة في احد البيوت ووجدوا فيها بعض المناشير التي كانت تحمل شعارات الثورة المسلحة ، كما وجدوا قليلا من الاسلحة ، ولما استجوبوا صاحبة البيت قالت : «لقد كان يقيم هنا معلم مدرسة اسمه محمد رؤوف وانني لا اعرف عنه شيئا ، وانه خرج فقط منذ نصف ساعة ودفع لها الاجر وقال بأنه لن يعود» .

حاولت ان اربط بين احاديث الناس وبين ما سمعته قبل يومين من عامر ، فأدركت ان صاحبنا ما زال في الداخل ، ولـــم اكن اعرف ان محمد رؤوف هذا هو الشخص الذي سيلعب دورا هاما في ازعاج اسرائيل واقلاق راحتها . وصرت اترقب عودة صاحبي «ع» لافهم واعرف منه الكثير عن ذلك .

٢١ تشرين اول ١٩٦٧ :

وصل «صالح» صباح اليوم ، واخبرني ان علينا ان نعود الى حيفا ، فالاخوان هناك ، وعلى استعداد لمقابلتك انت وصاحبك كما ان لهم عـــدة

ملاحظات على اسلوب العمل في الضفة الغربية يحبون نقلها اليكم .

كنت اتطلع بشوق وفضول الى التعرف على هذه المجموعة من الشباب القومي الذين عرفوا «بجماعة الارض» او حركة الارض ، هؤلاء الشباب الذين يرمزون في التحليل النهائي الى الحقيقة الوحيدة ، التي لم تستطع ان تعبث بها اسرائيل ، او تزيفها او تتحايل عليها ، وهي ان الانسان العربي الذي بقي في ظل الاحتلال ما يزيد على العشرين عاما ، ظل عربيا قوميا . لم يذبه الضغط ولا الاحتلال ، ورفض الخضوع بل رفض التعايش مع الغزاة الصهاينة الذين حاولوا على السطح ان يغروه بشتى الوسائل ، ولكنه ادرك بحسه القومي ان المحاولات تجري لابادته وابادة قوميته وصهينته .

التقيت هؤلاء الشباب ، وكانت تجربتهم المرحلية قد اخذت مداها بين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٥ وبعد ان مروا بتجربة غنية رائعة في ظل الاحتلال ، استنفدوا فيها كافة الوسائل التعبير عن وجودهم ، وتاكيد قوميتهم وعروبتهم تحت اسوا احتلال عرفه التاريخ ، فتركوا عبر تجربتهم آثارا خالدة لا تمحى على الزمن تعطي الامة العربية جمعاء فكرة عن امكانيات ابنائها المستضعفين تحت اسوا الظروف وعن قدراتهم في تحدي الموجة الصهيونية الامبريالية المحتلة . .

كانوا كلهم هناك في انتظارنا: منصور كردوش ، وحبيب قهوجي ، وحنا مسمار ، ومحمود السروجي ، وزكي دياب البحري ، وتوفيق سليمان عودة ، ومحمد عبد الرحمن ، وغيرهم وغيرهم من الجيل الطالع الذي يفهم بالضبط معنى الغزوة الصهيونية وابعادها ، ويفهم بالضبط انه لا مجال للمساومة ولا للحلول الوسط ، ولا مجال لتزييف الشعارات واللف والمناورة ، لقد حاولوا فيما مضى ان يكسبوا شيئا من الشرعية بالانضواء تحت الجبهة العربية الشعبية التي ضمتهم والحزب الشيوعي في اسرائيل ، ولكنهم سرعان ما وجدوا ان من حقهم بل واجبهم التعبير عن شعاراتهم واهدافهم القومية مهما كلف الامر ، لاسيما بعد ان فشلت الجبهة العربية للاسباب التي ذكرناها في مذكراتنا السابقة .

حدثني الاخوة عن الاضطهاد الذي كان يلاقيه المواطنون العرب والذي كان يفرض عليهم لمجرد كونهم عربا ، بغض النظر عن انتمائهم الطبقي او الديني ، ومن هنا كانت السلطة دوما تسعى الى ابقائهم مبعثرين بشتى الوسائل والطرق ، كما كانت تسعى الى اختراق التجمعات العربية ، باغرائها وتنسيبها للاحزاب الصهيونية في اسرائيل ، ومع ذلك بقيت

الجماهير ورغم كل ذلك محافظة على هويتها تتحرك من ضمن التيار العربي المتصاعد في الخارج والنامي في الداخل .

حدثني الاخوة عن الارض . وكيف نشأت التسمية من رمز الوجـــود العربي المرتبط بالارض ، ومن خلال فهمهم المعركة الاساسية بين حركــة التحرر العربي والحركة الصهيونية التي تقـــوم في الاساس على الارض الفلسطينية العربية . هكذا قرروا أن يطلقوا على صحيفتهم اسم الارض تعبيرا عن التمسك بها والدفاع عنها فراحت الجماعه تعرف بجماعة الارض.

لقد قرأت في هذه الجلسة معهم البيان الاول الذي اصدره المؤسسون الذين تداعوا لانشاء الجريدة ومن ثم الحركة ، والذي يشرحون فيه اهدافهم بكل وضوح ، والذي يعبرون انفسهم فيه اصحاب البلاد لانهم طالبـــوا بوضوح من قادة ما يسمى «باسرائيل» اذا كانوا يرغبون الشعب اليهـــودي العيش بسلام في البلاد بان ينهجوا سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي مع العرب بقطع علاقتهم بالفكر الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية ، وان يعترفوا بحركة التحرر العربي وقوتها في تقرير مصير المنطقة ، وان يعترفوا بحق تقرير المصير للفلسطينيين وكامل عودتهم لديارهم .

من هذا المنطلق تحرك شباب حركة الارض مطالبين بالترخيص لهـــم ولجريدتهم بشتى الوسائل . فاقاموا الارض من حولهم ولم يقعدوها لمدة سبع سنوات دخلوا فيها السجن والمعتقلات وعانوا من الاقامات الجبرية في منازلهم . والتفتيش والمضايقات والملاحظات ، مما ادى الى بحث قضيتهم اكثر من مرة في مجلس الوزراء الاسرائيلي واعلان عدم شرعيتهم في اكثر من مناسبة باسم المسؤولين واجهزة الصحافة والاعلان .

ففي عام ١٩٦٠ عقد «شموئيل ديفون» مستشار رئيس الحكومـــــة للشؤون العربية مؤتمرا صحفيا هاجم فيه قيادة الحركة واتهمهم بثلاثـــة صفات : الاخلاص وعدم القابلية للفساد ، والعناد . ولما تقدمت القيادة لتسجيل «شركة باسم الارض» يمارسون من خلالها نشاطهم ، رفض حاكم اللواء بموجب قانون الطوارىء . فرفع الامر الى القضاء وكاد ينقسم القضاء الاسرائيلي حول الموضوع لانها بادرة خطرة ان يمنع المواطنون من تسجيل شركة ، وبعد صراع طويل في المحاكم قررت السلطة التشريعية منحهـــم ترخيصا للشركة لانقاذ مظهر الديموقراطية في البلاد ولامتصاص نقمة العرب في اسرائيل . ولكنهم لم يسمحوا لها بالممارسة وطاردوا رجال الحركـــة واعتقلوا باكثر من تهمة .

ولعل من اكثر ما اثار نقمة السلطة على حركة الارض المذكرة التـــي ارسلتها الحركة الى الامين العام للامم المتحدة بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٦٤ وضمنتها ظلامات الشعب العربي الفلسطيني تحت الاحتلال ؛ وقد ارسلت نسخ من المذكرة الى شخصيات عالمية مثل برتراند راسل ، وتوينبي والى الصحف العالمية وسفارات الدول الاشتراكية والغربية ؛ واعضاء الكنيست انفسهم . مما ادى الى شن هجمة شرسة من التحريض والارهاب ضدهم وضد كل العرب في اسرائيل . واشتركت في الحملة كافة الصحف واجهزة الاعلام واتهمت الحركة بمختلف النعوت والاوصاف ، ولكن «هعولام هزة» وهي جريدة «اوري افنيري» والتي اشتركت في الحملة اضافت تقول «انه بالرغم من الحملة والارهاب الذي شن ضد «حركة الارض» يبقى كل ما جاء في مذكرتهم صحيحا» .

وبتاريخ ٣٠-٦-١٩٦٤ وبعد ارسال المذكرة الى يو ثانت والاصداء التي تركتها المذكرة ؛ اعلمت جماعة الارض وزارة الداخلية عن تأسيس حركـة سياسية تعرف باسم «حركة الارض» . ولكن حاكم اللواء في حيفا كتب اليهم في ٢٤-٧-١٩٦٤ يرفض تاسيس الحركة ، ويتهمها بانها تمس كيان الدولة وسلامتها . وفي نفس الليلة اذاع راديو العدو ان مجلس الوزراء بنى رفض حاكم اللواء لاقامة الحركة واشار الى مدى خطورة مثل هذه الحركات السياسية في البلاد .

بعد هذا قامت السلطات بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الحركة . واتهمت بعض اعضائها بالاتصال بالعناصر المسلحة التي كانت تأتي عبـــر الحدود للتخريب داخل اسرائيل . واتخذت المناسبة سببا لمصادرة الشركة واموالها ، ووضع معظم القادة بالاقامة الجبرية في البيوت من ساعة الغروب حتى شروق الشمس في اليوم التالي. واستمر الحال على ذلك المنوال لمدة سنة اختمرت في رأس قيادة الحركة المحظورة فكرة خوض المعركةالانتخابية التي كانت ستجري عام ١٩٦٥ بنية كسب بعض الشرعية من خلال البرلمان والقدرة على الحركة والنضال من اجل اهداف النقضة والشعارات التـــي تنادي بها حركة الارض .

تحمس العرب في اسرائيل للفكرة ، وبداوا يتكتلون حول القائمة التي شكلها قادة الحركة باسم «قائمة الاشتراكيين» ولكن السلطة بدات تضع العراقيل في وجههم ؛ فنفت اعضاء القائمة الى اماكن مختلفة في اسرائيل، مما زاد في شعبيتهم والدعاية لهم . الا ان لجنة الانتخابات التي تضم ستة وعشرين عضوا يمثلون كافة الاحزاب والكتل وبعد البيان الثوري الذي انزلته

الحركة باسم «قائمة الاشتراكيين» «ض» التي ترمز الى الارض ولفة الضاد ، رفضت ان توافق على نزول القائمة بايعاز من الدولة بحجة انها ضد الدولة ، كذلك حكمت محكمة العدل العليا لمصلحة الدولة فمنعت الحركةمن الاشتراك في الانتخابات ، واشتدت مطاردتها ، فانهيت كتنظيم مادي ملموس ، وبقيت كأفكار وكرمز وكاشخاص تركت ابلغ الاثر في المواطنين العرب هناك .

كانت فرصة لي ايضا ان اضطلع على مجموعة الاثني عشر عددا من مجلة الارض التي صدرت هناك تحمل وتمثل الفكر القومي التقدمي السليم .

بعد اربع سنوات من هذا التاريخ اعتقلت السلطات الاسرائيلية اكثر من مائة وخمسين شابا من عرب اسرائيل وادانتهم المحاكم العسكرية بتهمة التعاون مع المنظمات الفدائيه الفلسطينية .. كان هؤلاء من شباب حركة الارض .

العدد التاسع
٢٣ آب ١٩٧٢



بالعشرات حصد العدو العائدين الى أرضهم عبر «مخاضات» نهر الاردن ..

١٠ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

اكتب اليوم من قريتي الوادعة الصغيرة التي تجثم على السفح بين اربعة جبال عالية ، احاول ان استعيد تجربتي عبر الاشهر القليلة الماضية في ظل الاحتلال ، كما احاول ان اختفي عن العيون لبعض الوقت ، حتى لا ينكشف امري ، فاضطر الى مغادرة البلاد نفيا وطردا كما حصل مع بعض الاخوة ، او مللا وسأما من متابعة التسين بيت وهو الاسم الذي يطلق على المخابرات الاسرائيلية ..

استعرضت بيني وبين نفسي تجربتي المؤلمة التي مررت بها منذ الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا ، فوجدت انني بالرغم من قصر هذه المدة عرفت الكثير وتعلمت الكثير ، كما ازدادت قناعتي باننا دخلنا او ادخلنا الحرب مع «اسرائيل» دون ان نعرف الكثير مما يجب ان نعرفه عنها كمجتمع

عسكري ، له ملامح المجتمع السياسي والاقتصادي .

وكان فضولي ما زال مركزا على عرب الارض المحتلة عام ١٩٦٧ ، فمن خلالهم ، ومن خلال معاناتهم ونضالهم ، بدات اتعرف على الكثير من اساليب الصهاينة ووسائلهم في الحكم والحياة ، كما بدأت انا وزملائي نفهم وندرك ونتعلم عبر اتصالاتنا المتكررة بهم كيف نجابه اسرائيل في محنتنا الجديدة وبالوسائل القليلة التي نملكها .

كانت هناك عدة آراء واقتراحات تقدم لنا على ضوء تجربتهم في العشرين سنة الماضية ، كانوا في أغلبيتهم الساحقة قد حسموا بعدم امكانية التعايش مع الصهاينة وفي ظل دولتهم العنصرية ، وحتى المعتدلين منهم ، وحتى المواطنين العاديين الذين لم يعملوا في الحقل العام والذين كانوا يجهدون من اجل تأمين معيشتهم الشخصية ، وصلوا الى مثل هذه القناعة ، فقد شملهم الاضطهاد ، ولمسهم التمييز العنصري ، وكان الواحد منهم يصاب في النهار اكثر من مرة ويدفع ضريبة انتمائه الى الامة العربية من كرامته ، وشرفه ، وأعصابه ومزاجه ، ولهذا فقد كان يتصاعد الرفض في كل يوم ، وتنمو الاحقاد بين صفوف العرب ، هذه الاحقاد التي كان ينبه لها بعض المفكرين والمثقفين اليهود امثال يوري افنيري ، والبروفسور دان ميرون وغيرهما ، ولكن القادة الصهاينة كانوا يصمون آذانهم عن مثل هذه التنبيهات ويمعنون في اذلال العرب واحتقارهم حتى تبلورت الحركات المعادية للكيان الاسرائيلي من جذوره ، وتكرس الانقسام نهائيا في ما يسمى بالمجتمع الاسرائيلي على نحو ما اسلفنا وذكرنا في هذه المذكرات .

١٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

ما زلت اكتب من قريتي ، وبين يدي مجموعة احصاءات وأرقام مذهلة عن الاعتداءات والمخالفات الاسرائيلية في الاشهر الخمسة الماضية ، وصحيح انني عشت فترة العدوان والاغتصاب هذه ، وسمعت الكثير من القصص التي تشبه الخيال عن التعذيب والطرد والاجلاء الجماعي . الا انني كنت احيانا اتصور أن بعضها مبالغ به ، لولا وجود هذه الوثائق بين يدي والتي دونها اكثر من رجل عالم يقيم في الضفة الغربية ، وبعد تحقيقها وتمحيصها . ولولا ان جزءا كبيرا من هذه المعلومات نقلته الصحافة العالمية من خلال بعض

المراسلين والكتاب والزوار الاجانب الذين لم يسمح لهم وجدانهم ولا ضمائرهم ان يسكتوا عن هذه البشاعات فنقلوها الى الخارج بأسمائهم وبكتبهم وصحفهم .

ففي الثالث عشر من شهر حزيران عام ١٩٦٧ نشرت صحيفة الجارديان البريطانية ان ما يزيد على مائة الف فلسطيني اي حوالي عشر سكان الضفة الغربية قد طردوا من البلاد ودفعوا بالقسر والقوة نحو الضفة الشرقية .

ولقد كان مثل هذا النزوح موضع تساؤل في كثير من الاوساط العربية والاجنبية في بادىء الامر ؛ لاسيما بعد التجربة التي مر بها الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ . ولكن البراهين القاطعة والشهود وكل من عاش تلك الفترة هنا يستطيع ان يؤكد ان المخطط الاسرائيلي كان يستهدف عملية الاجلاء هذه وقد استعمل لها كل الاساليب الوحشية التي يمكن ان تستعمل مع شعب اعزل من السلاح .

وحول هذا الموضوع ذكرت كافة وكالات الانباء العالمية على لسان اربع من اعضاء مجلس النواب البريطاني وهم ايان جلمور ودنيس والترز وكولين جاكسون وروبرت ماالكيلان بأنهم شاهدوا الآلاف المؤلفة من اللاجئين يتجهون نحو شرق الضفة ، كما اكدوا ان مخيما قرب مدينة اريحا كان يأوي حوالي الثلاثين الف نسمة ، اصبح فارغا من كل ابنائه في الخامس والعشرين من شهر حزيران ، واضافت «الاسوشيتدبرس» ان اسرائيل لا تشجع الناس على الخروج فقط ولكنها تطلق النار عليهم لارهابهم ، وتخاطبهم بمكبرات الصوت وتحضر لهم السيارات ، وتدفعهم بالعنف والارهاب للخروج . قال النواب الاربعة ايضا وبلسان الصحف البريطانية ووكالات الانباء «لم نشاهد احدا يسمح له بالعودة الى الضفة الغربية ، وكان الرحيل القسري دائما نحو الشرق» .

في الثاني والعشرين من شهر حزيران ١٩٦٧ نقلت «الاسوشيتدبرس» من قلب مدينة قلقيلية ان الاسرائيليين قد نسفوا وهدموا قسما كبيرا من المدينة بمنازلها واحيائها ، وان السكان يعيشون في الجوامع والمدارس . وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه نشرت النيويورك تايمس اقتراحا للسفاح «بن غوريون» يطلب فيه هدم أسوار مدينة القدس التاريخية ؛ بالاضافة للقرار الذي كان قد اخذ بهدم حي المغاربة وتشريد الآلاف المؤلفة من العائلات .

كانت انباء واخبار الطرد والتشريد والتعذيب المدونة امامي في الوثائق

ما زالت تنبض بالحياة وانا اقلب صفحاتها لاتابع القراءة والتدوين للعبرة والتاريخ ولاطلاع شعبنا في المستقبل عن خطر هذه الموجة البدائيـــــة الصهيونية حين وقعت عيني على وثيقة ممضية باسماء بعض موظفي وكالة الاغاثة في غزة التي تؤكد ان مائة واربعة واربعين بيتا قد هدمت وجرفت بالجرافات في ليلة واحدة . وبالرغم من ادعاء الصهاينة ان احدا لم يقتل ، فقد اكد موظفو وكالة الغوث في الوثيقة ان ما يزيد عن الثلاثين جثة وجدت في قبر جماعي واحد ، عندما نبشوا القبر باشراف الصليب الاحمر ، وقد اكد هذه الرواية فيما بعد الصحفي البريطاني دافيد هولدن ونشرتهـــــا صحيفة «الساندي تايمس» البريطانية في التاســـع عشر من شهـــــر نوفمبر ١٩٦٧ .

ولعل من اكثر ما قرات اثارة عن هذه الفتره وفيه ما يدين الصهاينة كبرابـرة وسفاحين ونازيين ، مـــا كانت تنشره بعض الصحف والنشرات الصغيرة التي تصدر في اسرائيل من قبل عناصر يهودية . تزعم انها ضد الحركة الصهيونية . فمجلة «نيحاس» التي يحررها كل من دان اومـــــر واري بابر كانت تنشر الكثير من قصص الذبح الجماعي الذي كان يمارسه الصهاينة . كما كانت تفعل ايضا «نشرة الانباء العالمية الاسرائيلية» وكان هؤلاء الناس ينطلقون كما يبدو من قناعة ان مثل هذه الاعتداءات ستعود على اليهود انفسهم في المستقبل ، كما عادت على النازيين بعد الحرب ، بحيث اصبح لا يتمكن اي مواطن الماني من الدفاع عن نفسه او التهرب مـــــن مسؤوليته عن ذبح اليهود في المانيا .

وبالرغم من تقيمنا لمثل هذا الكلام فقد حملت مثـــل هاتين النشرتين الكثير الكثير منه ، وحذرت ونبهت الى خطورته ، وكان من اهم ما قامت به التقرير الذي رفعه شاهد عيان اسرائيلي لاسرة تحرير المجلة ، والذي تقدمت به للسلطات في تل ابيب في العاشر من ايلـــول ، ثم عادت «نشرة انباء اسرائيل العالمية» فنشرته على صفحاتها في اذار عام ١٩٦٨ .

والتقرير يتعلق بالقطاع المحتل على نهر الاردن بين اليرمـــوك وجسر اللنبي ، قدمه جندي اسرائيلي رفض ذكر اسمه خوفا من السلطات وهذا نصه مترجما بالحرف :

«في كل ليلة يحاول بعض الفلسطينيين العرب ان يتسللوا من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ليعودوا الى منازلهم وعائلاتهم ، بعد ان خدعتهم الحكومة الاسرائيلية لاشهر طويلة ولم تسمح لهم بالعودة المشروعة . وكنا

نغلق الممرات عليهم ، بمعنى كنا نقفل الاماكن التي يكون فيها الماء قليـــلا لمن يحاولون العبور مشيا على الاقدام، وكان الضباط يأمروننا باطلاق النار عليهم وقتلهم دون انذار ، كنا نفعل هذا كل ليلة على الرجال والنســاء والاطفال ، حتى في ليالي القمر التي كنا نستطيع ان نميز فيها الصغار من الكبار من مواقعنا القريبة ، كنا نطلق النار عليهم ونقتلهم بدون تمييز . وفي الصباح كنا نفتش المنطقة . وكانت الاوامر المشددة لنا بأن نقتل من نجد منهم أحياء في بعض المخابىء ، كما كنا نقتل الجرحى في ارجلهم او اذرعهم . وكنا نتركهم في اماكنهم حتى تأتي الجرافة وتحفر لهم وتدفنهم بالعشرات ، ومعظم هؤلاء الناس كانوا من السكان الراغبين في العــودة لاقاربهم واملاكهم ، وهناك حوادث معينة لا يمكن ان انساها . ففي صباح احد الايام وجدنا شابين وفتاة غير مصابين ، تكلمنا معهم باللغة الانكليزية، واحسست انه لا يجوز ان نقتلهم ، ولكن الضابط المسؤول اعطى اوامره فقتلناهم على الفور . مرة ثانية وجدنا اثنين من الجرحى ، طلبنا منهمـــا اوراقهما . كانا مزارعين ، طلبا منا ان ننقلهما الى المستشفى ، تهكم عليهما الضابط وأمرنا بقتلهما ، سمعنا احدهما يلفظ كلمته الاخيرة «فلسطين» . ومرة اخرى كانوا اربعة ورجونا بان لا نقتلهم، تركنا معظمنا المكان لانهم كانوا ابرياء في رأينا ومظهرهم وكلامهم يوحي بأنهم صادقون ، ولكن الضابط عاد بنفسه واطلق عليهم عشر عيارات نارية . ان القصص كثيرة ، ولكنني اروي فقط حوادث رأيتها بعيني ، اخبرني بعض زملائي الجنود انهم كانوا يحرقون الجثث بالعشرات في بعض الاحيان . رأيت مرة كومة من الجثث بينهم جثة فتاة صغيرة ، ومرة اخرى رصدنا حوالي عشرين شخصا يعبرون ، ودفعة واحدة حصدنا منهم احد عشر شخصا .. كان كل هذا في تموز عـــام ١٩٦٧ » .

وينهي العسكري الاسرائيلي حديثه بقوله : انني اعطي هذه المعلومات على امل ان تصل الى كل مواطن في اسرائيل ، لعل هناك من يستطيع ان يوقف مثل هذه الاعمال .

ولعل ايضا من افظع واشنع القصص التي سجلها التقرير الذي تقدم به مجلس السلام العالمي تحت عنوان «حقيقة الحرب في الشرق الاوسط» في شهر آب ١٩٦٧ ، التحقيق الذي اجراه في مخيم «خان دنون» قرب دمشق، وهو يضم العرب السوريين الذين نزحوا من الجولان والقنيطرة .

يروي التقرير : ان محمد القدسي من سكان قرية الحسينية كان يجلس

مع زوجته وابنتيه البالغتين وابنيه الشابين في فناء الدار عندما وصلت الدورية الاسرائيلية وبادرته بالسؤال : «ماذا تفعل هنا» ؟ قال : «انا في قريتي وفي بيتي» . قالوا له : «ليس لكم مكان هنا ويبدو ان لك ابنتين وولدين من تفضل ان نأخذ» لا تشاورت العائلة وتطوع الولدان مكان اختيهما .. اخذوهما الى الساحة العامة الفارغة واطلقوا النار عليهما ، ثم عادوا واخذوا الفتاتين .. يقول الوالد المريض «ما زالت اصواتهما ترن في اذني حتى الان» .. لقد ثبت فيما بعد ان كل قرية في الاراضي السورية المحتلة تعرضت للاذلال وللنهب والقتل الجماعي والاخراج بالقوة .

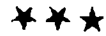
قالت الجارديان في عددها الصادر في الرابع عشر من تموز ان الطائرات الاسرائيلية كانت تقصف وترهب النازحين من المناطق العربية الى العواصم وخاصة بين طريق القدس واريحا .

اما عن الاماكن المقدسة التي دنسها الصهاينة فما اكثر الروايات واصدقها . روت «التايم ماجازين» في عددها الصادر في العشرين من شهر حزيران ١٩٦٧ رواية عن المؤرخ الاسرائيلي «الداد» عندما سئل عن كيفية اعادة بناء هيكل سليمان بدون ان يعرض المسجد الاقصى للتدمير قال : «من يدري ؟ ربما تحصل زلزلة كبيرة» ومع الايام وبعد اعلان توحيد مدينة القدس التي رفض العرب ان يعترفوا بها اصبح وزير الاديان الاسرائيلي يراقب الخطب التي تلقى في المسجد الاقصى والجوامع الاخرى. وفي السابع عشر من شهر آب ١٩٦٧ نقلت وكالات الانباء تصريحا لحاخام اسرائيل العسكري يطلب فيه اعادة بناء الهيكل في نفس فناء وباحة المسجد الاقصى والمقابل له . واما عن الحرم في الخليل فقد استولوا عليه بشكل وبآخر منذ الاسابيع الاولى للاحتلال .. وقد سجلت الوثائق مجموعة من الاعتداءات والتصرفات السيئة للصهاينة في كنيسة القيامة والاماكن المقدسة الاخرى .

هذه المعلومات الموثقة التي كنت اقراها وانا في قريتي الوادعة بعيدا ولو مؤقتا عن بعض المشاكل الحية المباشرة .. وقد حرصت على تسجيل القليل منها في مطلع اشهر الاحتلال لعام ١٩٦٧ لاعطي فكرة لبني قومنا ، وللذين يعيبون على شعبنا عدم صموده وقدرته على مواجهة الاحتلال ، والذين اساءوا تفسير نزوحه في كثير من الحالات .

العدد العاشر

٣٠ آب ١٩٧٢



المقاومة السلبية .. والكفاح المسلح

٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

فاجأني صديقي «ع» على غير موعد وقال لي ان الاخوان يريدونني في مدينة القدس لحضور بعض الاجتماعات الهامة المكشوفة مع بعض الشخصيات السياسيةالفلسطينية لدراسة اوضاع شعبنا فيظل الاحتلال، ومقاومة الاجراءات القذرة التي يتخذها الصهاينة بحق البلاد والشعب ، ولما كنت غير مؤمن بان اساليبنا قد تفيد امام الراي العام العالمي ، ولن تجدي والعجز العربي في قمته ، فقد رفضت المبدأ ورفضت ان اكشف نفسي فاتعرض للطرد خارج البلاد دون جدوى . واخبرته ان هذا العمل يجب ان ينظم مع العناصر الوطنية الثورية لتشرف على المقاومة السلبية فلا فائدة من التعاون مع الوجهاء للنفس الطويل مع علمي انهم متألمون وان مصالحهم قد تأذت وان بعضهم قد اخذ مواقف جيدة وتعرض للاقصاء والطرد ولكني كنت مع العمل من خلال التنظيم وعلى المدى الطويل وخاصة بعد ان بدأ الكفاح المسلح يأخذ مداه ..

اصر على ان يصحبني الى مدينة رام الله وان يخرجني من عزلتي ، كان يؤمن بأنني استطيع عمل الكثير في هذه الظروف وبالاسلوب العلني . وكنت اخالفه ، واخاف عليه من الانكشاف لانه كان يعمل على اكثر من جبهة داخلية وخارجية .

٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

وصلنا رام الله مدينة المثقفين من محامين واطباء وصيادلة .. ووجدناهم كالعادة يجلسون في الفندق الكبير المشهور يستمعون الى الاخبار ويحللون وينظرون ويفلسفون المأساة . كان البحث التقليدي الخالد ما زال مستمرا ، متى يخرج الصهاينة ؟ وكيف ؟ وعلى اي اسس واية شروط ؟ نفس الافكار والآراء المعادة المكررة ، وان كان وطيس الجدل والحوار قد ارتفعت حرارته فانما بسبب الانباء المتضاربة المتوقعة من هيئة الامم وقراراتها المتوقع صدورها عن مجلس الامن في دورته المنعقدة في حينه .

كان التيار قد جرف كل الناس او معظمهم على الاكثر ، ومن خلال التمنيات والالم ومختلف المشاعر التي يعانيها الناس في ظل الاحتلال صدر

قرار ٢٢ نوفمبر القاضي بالانسحاب الاسرائيلي ..
وفي غمرة الفرحة بالانسحاب لم يتمعن حتى هؤلاء المثقفون بنص القرار وكلماته والفاظه، وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة والنجاة من الاحتلال..
ومرت ايام قليلة قبل ان يبدا الخلاف على تفسير القرار الذي وضعه وصاغه اللورد كاردون البريطاني والذي ما زال الشعب العربي بأسره ، والعالم كله يناقشه ويناقش محتوياته ومعانيه والفاظه .. وبغض النظر عن من قبله او رفضه من العرب فلم تمر اسابيع قليلة حتى اتضح ان اسرائيل تستفيد كليا من غموض القرار وتلعب على معانيه وعلى الفاظه ..
اما الثوار الحقيقيون على قلتهم في تلك المراحل ، وأما الذين لم يفقدوا قدرتهم على التفكير السليم وما اقلهم ايضا في تلك المرحلة ، فلم يأبهوا للقرار لانه في رايهم لا يحل مشكلة الامة العربية ، ولانهم يفهمون طبيعة الصهيونية التوسعية ، ولانهم ادركوا ان اللعبة بدات من جديد ودخل الناس في الدوامة افواجا افواجا ..
وعدنا الى انفسنا الى عقولنا ، الى حفنة الثوار نخطط كيف نقاوم الاحتلال وكيف نفهم العقل الاسرائيلي من اجل محاربته .

٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

ما زالت عمليات التهجير القسري الفردي والجماعي على اشدها . وقد بدأ يتضح للعالم الخارجي ، العربي منه والاجنبي ، ان الآلاف المؤلفة من الفلسطينيين الذين يعبرون الجسر الى الضفة الشرقية انما يفعلون ذلك تحت ظروف لا قبل ولا قدرة لهم على منعها ، خاصة في المناطق والمخيمات التي قصفتها ودمرتها العصابات الصهيونية المسلحة ممثلة بجيش «الدفاع» الاسرائيلي الذي لم يترك وسيلة من وسائل الارهاب والقمع الا مارسها على الناس والمواطنين دون تمييز ، فكان يسوقهم سوقا الى الجسر ويقذف بهم للعراء . ولقد اكدت هذه الحقيقة كل وكالات الانباء الاجنبية وكافة الصحفيين الاجانب ومجموعة كبيرة من السياسيين الاجانب الذين دخلوا الضفة الغربية بعد الاحتلال فسجلوا ملاحظاتهم ، وكتبوا مذكراتهم ، وتقدموا بشهاداتهم لمختلف اللجان العالمية ولهيئة الامم المتحدة ، مما ازال الادعاء او الوهم عند ضعاف النفوس من ابناء امتنا ، من ضحايا اكاذيب

واشاعات العدو ، ان الشعب العربي الفلسطيني يخرج وينزح من تلقاء نفسه ودون ان يمارس عليه اي اعتداء . لقد قدمت في بعض الاجزاء السابقة من مذكراتي الوثائق والدلائل المادية حول هذا الموضوع بالذات ، كما سأفعل اليوم ، وانا احضر هذه المذكرات صباح هذا اليوم الذي تلا بأيام قليلة فقط اعلان قرار مجلس الامن . والذي بدات الشبهات تدور من حوله، وحول معانيه والفاظه ، مما زاد في خلق البلبلة والاوهام عند بعض فئات الشعب غير المعباة وغير المنتظمة والملتزمة توريا . مما لا تجوز عليها مثل هذه الاباطيل .

اكتب اليوم كل هذا لادلل على رفض شعبنا المطلق للاحتلال منذ اليوم الاول الذي وقع فيه . وساتعرض في هذا الفصل الى حركة المقاومة السلبية التي نشات مباشرة بعد الاحتلال والدور الذي لعبته على امتداد السنة الاولى لاقدم نموذجا واسلوبا نضاليا فعالا لا بد ان يستفاد منه دائما عبر صراعنا التاريخي مع الصهيونية واسرائيل حتى يتم لأمتنا النصر .

كما انه لا بد من التذكير بان هذا الاسلوب النضالي على اهميةممارسته في ظل الاحتلال لم يكن ولا يجوز ان يكون بديلا عن الكفاح المسلح طريق الثوار والثورة الوحيد للتحرير ، ومنها كان لا بد من تزاوج الاسلوبين بحيث يتمم الواحد منهما الاخر ، وهذا ما حصل بالضبط في الارض المحتلة ، مما جعل الصهاينة يستترسون امام صلابة الرفض والمقاومة الفلسطينية ، فينهجون كل الوسائل الداخلية والخارجية ، الاجنبي منها والعربي ، لقمع المقاومة وضرب الصمود بشتى الوسائل والاساليب . بدءا بالحصار الاقتصادي والتجويع وبالتالي دفع الناس للتعامل ، وانتهاء بالقتل والسجن . وتدبير المجازر هنا وهناك للشعب الفلسطيني .

٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ :

اراني مضطرا لان اعود الى بعض وثائقي ومذكراتي الخاصة عبر هذه الفترة . والتي كنت ادون فيها بعض الملاحظات في الجلسات والاجتماعات التي بدات في الايام الاولى للاحتلال لبعض رجالات وشباب الضفة الغربية من اجل مقاومة الاحتلال . ولعلي مضطر ايضا لتجاوز بعض الاسماء والاشخاص من قبل الامن وعدم كشفهم ، كما انني سأعطي لكل من أسهم

في القليل او الكثير حقه ، حتى من الذين تخلفوا وعادوا فوهنت عزائمهم وسقطوا ، محافظة مني على مصداقية هذه المذكرات ، وللتدليل ان رجال المقاومة السلبية وخاصة الثوريين منهم كانوا يدركون من الاصل ان ثمة عناصر وطبقة معينة ترفض الاحتلال عفويا وكردة فعل ، وتقاومه لمرحلة معينة ، ومن ثم تستسلم امام وطأته ؛ ومن ضمن مصالحها الخاصة ، لتصبح بالوعي او اللاوعي منتفعة بالاحتلال، تترك في بعض الحالات للاخرين مقاومته ، وتتعاون هي معه من اجل استمرار مصالحها في حالات اخرى .

ان وجود مثل هؤلاء الناس في مراحل الاحتلال لا يشكل ظاهرة غريبة وجديدة ، فهم في كل عصر ، وكل زمان وكل مكان . ومع ذلك تستمر بعض هذه الاسماء في نطاق العمل السلبي والتي كانت تدفع في كثير من الاحيان لاتخاذ المواقف الصحيحة .

نيسان عام ١٩٦٨

من الاوراق القديمة التي بين يدي ومن اوراق صديقي «ع» الذي التحق نهائيا بالكفاح المسلح وانضم الى محمد رؤوف في منطقة نابلس ، يتأكد ان حركة المقاومة السلبية بدأت في الايام الاولى القليلة للاحتلال .

١٥ حزيران ١٩٦٧

ففي الخامس عشر من شهر حزيران عام ١٩٦٧ وفي بيت الزميل «ب» التقى مجموعة من الشباب العقائديين والوطنيين في مدينة «البيرة» من قضاء رام الله . وتدارسوا امكانية بداية العمل في ظل الظروف القائمة . كانت هذه هي الجلسة الاولى الجدية التي تطرح فيها الامور طرحا صحيحا بعد ان صحا الجميع من هول الصدمة التي نزلت بنا ، وكان قد سبق هذه الجلسة جلسات مبعثرة في بيت الزميل «م» وبيت الزميل «ك» في مدينة رام الله ، ولكنها لم تكن منظمة وكانت تحليلية اكثر منها جلسات تخطيط وعمل .

في مدينة البيرة وفي منزل «ب» التقى ، وبناء على موعد ، اثنان

بعثيان ، واثنان شيوعيان ، وواحد من حركة القوميين العرب وثلاثة من الشباب الوطنيين الملتزمين وقرروا انه لا بد من تشكيل مثل هذه اللجان في كل مدينة وبلدة في الضفة الغربية على ان تكون النواة الحقيقية للعمل والتحرك من العناصر الملتزمة تتوسع من ضمن اتصالاتها وعلاقاتها بكل المواطنين . ويضاف لهذه اللجان كل العناصر التي تستطيع التفرغ والعمل، عين اثنان من اللجنة ضباط اتصال بين المدن المختلفة لتشكيل هذه اللجنة.

ولم يفاجأ ضابطا الاتصال وهما الاخ ابراهيم والاخ كمال عند بدء تحركهما في المناطق المختلفة عندما وجدا ان الشباب الوطني الملتزم قد بدأ في التجمع ، وان الجميع كان في انتظار من ينسق العمل ويدفعه الى الامام . ولم تستغرق المحاولة اكثر من اسبوع كان فيه هذا الجزء من التحرك في منتهى السرية لم تستعمل فيه السيارات الخاصة مطلقا ، ولم يكن هناك اية صعوبة في تشكيل مثل هذه اللجان . فلقد كانت النفوس مهياة ، وكان الرفض التلقائي العفوي للاحتلال هي السمة الغالبة عند كل المواطنين . وهنا احب ان اسجل ملاحظة العبرة فقط ومواجهتها بكل صدق وامانة ، حتى نتمكن من التغلب عليها في المستقبل وهي انه بالرغم من الوضع المزري السيء الذي كان يشمل الجميع في هذه المرحلة ، الا ان ما كان من خلافات وحساسيات وتعارضات بين القوى الوطنية في الماضي، سحب نفسه بعض الشيء على محاولاتنا ، مما كان يثير الاشمئزاز والقرف في بعض الحالات . كما ان الفردية الخاصة ، والذاتية ، وحب الزعامة المحلية عند الكثيرين من الوجوه البارزة في معركتنا الجديدة اضاع من وقتنا ونحن في سبيل بناء الجبهة السلبية لمقاومة الاحتلال .

بعد جهد متواصل تشكلت اللجان الملتزمة في المناطق وانبثق عنها لجنة مركزية من ثمانية اشخاص تتولى الاتصال بالمواطنين البارزين في اقاليمهم وتتولى اعداد النشرات والمذكرات ، وتعبئة الجماهير في كل مكان.

٣٠ حزيران ١٩٦٧

في الثلاثين من حزيران وزع في الاقاليم المختلفة اول منشور رسمي من رجال المقاومة السلبية باسم «الحركة الوطنية الفلسطينية» ترفض فيه الاحتلال وتحتج عليه وتدعو المواطنين في كل مكان للوقوف موقفا سلبيا

من الاحتلال وعدم التعاون ، واستنكار العدوان بكل الوسائل والسبل .
ومن باب الحقيقة والانصاف كانت هناك فئات وطنية متعددة قد بدات تتحرك وتتجمع وتتشاور في امر الاحتلال ، لاسيما انه ومن الايام الاولى قد ظهرت نوايا العدو الشريرة تجاه مدينة القدس . فبالاضافة الى مصادرة الاراضي والاملاك والاهانات المتعاقبة لرجال الدين والاماكن المقدسة ، فقد كان ضم والحاق مدينة القدس العربية للاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ مما فجر وحرك الناس في المدينة وسائر مدن الضفة الغربية .
كان الشيخ عبد الحميد السايح رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، والسيد روحي الخطيب امين عام القدس من ابرز العناصر الوطنية التي تحركت بعد الاحتلال مباشره . ولقد اشترك كلاهما في اللجان الوطنية التي كانت تجتمع للدفاع عن حقوق المواطنين وتثبيتهم في الارض ومقاومة الاحتلال .
ففي الثاني والعشرين من شهر تموز عام ١٩٦٧ وجه روحي الخطيب ومعه كافة اعضاء أمانة القدس وهم نهاد ابو غربية ، والدكتور ابراهيم طليل وفايق بركات ، وعلي الطزيز ، والدكتور رشيد نشاشيبي ، والسادة موسى البيطار وعبد الغني النتشة ، وجهوا مذكرة قوية الى الحكومة الاسرائيلية رفضوا فيها ضم القدس واعلنوا ان هذا الاجراء يعني تهويد المدينة . ولكن السلطات امعنت في غيها ولم تجب حتى على المذكرة .

٢٠ ــ ٢٤ تموز ١٩٦٧ :

بين العشرين والرابع والعشرين من شهر تموز توالت اجتماعات اللجنة المركزية وزادت من اتصالاتها مع وجهاء وأعيان الضفة الغربية ، وكانت السلطات قد بدات تراقب هذه الاجتماعات ولكن ضم القدس الى الاراضي المحتلة اخرج بعض القياديين عن تحفظهم ، واصبح الشيخ عبد الحميد السائح مركز استقطاب لكل العناصر الوطنية حول هذا الموضوع .
وفي مساء الثالث والعشرين من الشهر نفسه عقد اجتماع موسع في القدس ، ولم تكن مفاجأة لي عندما دخل صاحبي «ع» ومعه شخص آخر يدعى «ابو ربيع» . تعرف المجتمعون اليه وأبلغهم انه على استعداد ان يقوم بعملية تفجير كبيرة في المدينة ، وانه قادم من طرف محمد رؤوف ويريد

استطلاع رايهم في الموضوع قبل ان يقدم عليه . وفيما اذا كان يساعدهم في هذه المرحلة ، كما قال : «انه يقوم بهذه الاستشارة بناء على نصح صديقه «ع» الذي يعرف بطبيعة عمل هذه اللجنة» . انقسم موقف الحضور حول هذا الامر ، وارتأت الاغلبية ان يترك للشخصيات السياسية معالجة هذا الامر بوسائلهم حتى لا يزيد الضغط على المدينة .

في الرابع والعشرين وقع انفجار كبير في ضواحي القدس ، كما وقع اشتباك مسلح على طريق العيزرية وهو اليوم الذي تقدم فيه الشيخ عبد الحميد السائح ومعه مجموعة من اعيان وزعماء ووجهاء الضفة الغربية المسلمون بمذكرة شديدة اللهجة لسلطات الاحتلال حول ضم القدس ، وقد صاغ هذه المذكرة المحامي ابراهيم بكر ومعه الشيخ عبد الحميد السائح . وقد وقعها بعض المسؤولين والوجهاء على رأسهم روحي الخطيب ، والشيخ السائح ، وانور الخطيب ، محافظ القدس ، وحلمي المحتسب عضو محكمة الشريعة العليا ، والشيخ سعيد صبري قاضي القدس ، والشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس ، ومجموعة الوجهاء على راسهم المؤرخ عارف العارف ، والقاضي كمال دجاني ، وفؤاد عبد الهادي ، وعبد الرحيم الشريف ، وحافظ طهبوب ، وسعيد علاء الدين ، وعمر الوعري ، وعبد المحسن ابو ميزر ، واسحق الدزدار ، وداوود الحسيني ، وصبحي غوشة وعلي الطزيز ونهاد ابو غربية .

في هذا اليوم بالذات ، اعتقلت السلطات الاسرائيلية ليلا الشيخ عبد الحميد السائح وطردته خارج الحدود الى الضفة الشرقية ، وفرضت منع التجول على مدينة نابلس من الساعة التاسعة مساء حتى السابعة صباحا .

نشرت المذكرة التي قدمها زعماء القدس وبعض الشخصيات السياسية على نطاق واسع في العالم ، وكانت اسرائيل ما تزال تطبق قانون الطوارىء المعمول به منذ عام ١٩٤٥ على زمن الانتداب البريطاني . وقد ظنت اسرائيل ان اي اجراء تتخذه بحق بعض موقعي المذكرة سيمنع الاخرين عن الحركة . فاتخذت قرارا بنفي اربعة من موقعي العريضة الى اماكن مختلفة من الارض المحتلة ، وهم السادة : داوود الحسيني ، وابراهيم بكر ، وانور الخطيب وعبد المحسن ابو ميزر .

لم يرهب هذا الاعتقال احدا ، بل زاد حماس الناس للمقاومة السلبية . وكانت قوات العاصفة قد اعلنت قبل عدة ايام بيانها رقم «٧٢» منذ ان بدات نضالها المسلح عام ١٩٦٥ .

اوائل ايلول :

اجتمعت اللجنة المركزية في مدينة نابلس في اوائل سبتمبـر لتدرس اوضاعها وتعيد النظر في اساليبها ، وقد اعتقل احد اعضائها البارزين ، وكانت قد بدات المطاردة والمتابعة لبعض اعضائها بالرغم من تكتمهم . تقرر ان يتابع العمـل ، بمزيد من العلنية للشخصيات السياسية وبمزيـد من الكتمان للعناصر الملتزمة بالتنظيم حتى لا تفرغ البلد من القياديين .

الفهرست

هذا الكتاب

يضم هذا المجلد صفحات من كتابات كمال ناصر النثرية . وهي بالتحديد : افتتاحيات « فلسطين الثورة » وذكريات الشهيد ناصر عن تجربته في ظل الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية . وهذا هو المجلد الأول من كتاباته . وسوف تتلوه مجلدات أخرى تضم بقية الكتابات السياسية والأدبية والمقابلات الصحفية والاذاعية والتلفزيونية .

وتنبع أهمية هذا المجلد من كونه يناقش أهم القضايا التي تعيشها الثورة الفلسطينية ، وعلى مختلف الأصعدة .

وكمال ناصر الشاعر حين يكتب فإنما يكتب بشفافية الشاعر وحماسة الملتزم .

انها فعلاً « صفحات من فلسطين الثورة » ، وصفحات من سفر الشهادة الذي أضاف اليه كمال سطوراً خالدة .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
ص.ب. ٥٤٦٠ - تلفون ٢٥٦١١٠
بيروت - لبنان

الثمن ١٠ ليرات لبنانية
او ما يعادلها